JASRNB

الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية علمية محكمة

عدد خاص

ISSN (Print) 2569-7269
ISSN (Online) 2569-734X

المركز الديمقراطي العربي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

JASRNB

Journal of african studies & river nile basin

International scientific periodical journal

المركز الديمقراطي العربي

Democratic Arabic Center

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا – برلين.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل.

المجلد السادس/ العدد التاسع والعشرون

كانون الثاني – يناير 2025.

تنسيق: د. حجوبي سكينة

الترميز الدولي:

ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

التصنيف حسب AIMGSJ

B+

المركز الديمقراطي العربي-ألمانيا، برلين

Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375
030- 91499898
030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

نائب رئيس التحرير:

د. سعيد كمتي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال، المغرب

نائب رئيس التحرير التنفيذي

د. ادريس الدعيفي: تخصص علم الاجتماع، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب

مدير التحرير

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

نائب مدير التحرير

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ومتخصصة في الإعلام السياسي الدولي، المغرب

أعضاء هيئة التحرير

- د. فاطمة الزهراء زنواكي – جامعة ابن طفيل القنيطرة – المغرب.
- د. محمد أبحير– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. جمال الدين ناسك – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- حسن كلي ورتي، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكدال. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.
- د.ليلى حنانة – جامعة محمد الخامس الرباط– المغرب.

التنسيق والمراجعة اللغوية:

✓ **اللغة العربية:**

- ليلى حنانة، باحثة في السيميائيات، جامعة محمد الخامس.
- د. فاطمة الزهراء إلهامي، باحثة في السوسيولوجيا.
- د. خالد العلوي، باحث في الجغرافيا.
- أنور بنيعيش: عضو هيأة التفتيش التربوي بأكاديمية طنجة الحسيمة تطوان – المغرب.

- احمد هيهات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بني ملال خنيفرة – المغرب.
- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.
- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية–جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)
- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء–سطات المغرب.
- د. أيوب أيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب.
- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الفرنسية:**

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الإنجليزية:**

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).
- ذ.هشام معدان المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال

رئيس اللجنة العلمية:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

اللجنة العلمية:

- الدكتورة إيمان مختاري: دراسات استراتيجية–المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية – جامعة معسكر – الجزائر.
- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية– جامعة الجزائر3.
- د. عبد الرزاق أبو الصبر، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. محمد حسان دواجي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم – الجزائر.
- دة. وفاء الفيلالي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط –المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- د. عبد المالك بنصالح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. عبد العزيز والغازي: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب

- د. سعيد كمتي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب
- د. بلبول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة –الجزائر.
- د. رحماني ليلى: أستاذة محاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية– المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. عبد الواحد شيكر، ذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين خريبكة، المغرب.
- د. سالم تالحوت، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب.
- د. بوعروج لمياء: أستاذة محاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.
- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنه حسين محمد سرحان: دكتورة علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع سموك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال– المغرب.
- د. بن عمـــارة محمـد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت – الولاية تيارت الجزائر.
- د على عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفه العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. أوان عبد الله الفيضي، كلية الحقوق – جامعة الموصل، العراق.
- د. أحمد عبد السلام فاضل مهدي السامرائي، التاريخ الحديث والمعاصر، العلاقات الدولية المغرب، اسبانيا–العراق.
- د.خاليد الحاضري كلية الاداب والعلوم الانسانية مراكش
- د. محمد بواط: أستاذ محاضر قسم أ كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ محاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ محاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي –الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعميروش بهجة: أستاذ محاضر(ب) جامعة "أمحمد بوقرة" بومرداس المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس –باجي مختار–الرويبة –نع1 الجزائر.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات–الناظور–جامعة محمد الأول المغرب.
- د. بوذريع صالحة: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر.
- د. قاضي نجاة: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:
- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.

- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاته، علم الاجتماع، ليبيا.
- د. لحرش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيع صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الأفريقية – جامعة محمد الخامس –الرباط المغرب.
- د. خليدة محمد بلكبير أستاذة محاضرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلا معدّ خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليّا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسّق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:
   africa@democraticac.de
5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلّغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكّم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.

يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.

9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي:
ISSN 2569-734X
10. لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلّة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادّة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.
11. أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلّق بالسرقة العلمية فسيحمّل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.
12. تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.
13. تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.
14. لغات المجلّة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.
15. في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

–يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

–الملخص التنفيذي باللغة العربية– الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

–تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة ببليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

– أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده" المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

– تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

–ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ– إذا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب– إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج– إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د– إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن تنشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هدا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس 25/21، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

–نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو **Sakkal Majalla**

–حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

–حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 12عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

–نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية **Times New Roman** ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

–يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و2 أعلى وأسفل، قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن المجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل"

الفهـــرس

ر.ت	مؤلف/مؤلفو المقال Author(s)	عنوان المقال Title	الصفحات Page Range
01	هيئة التحرير	افتتاحية العدد التاسع والعشرون	11-10
	المقالات باللغة العربية		
02	هدى قصطال، فاطمة الزهراء، خلوقي، ابراهيم حمداوي	الإشعاع الاقتصادي والخدماتي لمدينة الفقيه بن صالح	29-12
03	مولاي الحبيب صبري العلوي	إضاءات حول مشاريع إصلاح التعليم المغربي قبل عهد الحماية.	42-30
04	زكرياء نصرالدين	التحديدات المعرفية للثقافة الأمازيغية: بين الموضوعية والذاتية	43-65
05	معتصم بوبكر	المجتمع المغربي في الأنثروبولوجية التأويلية بين كليفورد غيرتز وارنست غلنر وانتقادات عبد الله حمودي	67-78
06	للا لطيفة كربيجى	آلية تدبير شؤون المجتمع المحلي المغربي دراسة سوسيوأنثروبولوجية حول بنية "اجماعت نتاقبلت دويرة السبع إقليم فكيك نموذجا	68-93
07	بوشتى الحزيبي	التراث المعماري بين الاهتمام والإهمال: نموذج المغرب	94-101
08	محمد عبدالسلام غالب العامري	تأثير الحرب العسكرية بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع في مسار الأزمة السودانية	102-107
09	مخشان محمد، الحريشي كمال، عوكاشة عبد المنعمن فطاس حميد	التوزيع المجالي لأشكال التعرية وديناميتها في حوض كرت الأسفل بالريف الشمالي الشرقي (المغرب).	108-128
10	القلوشي محمد، بلغيثري الحسن	آليات اشتغال الحيازات الفلاحية بالجزء الغربي للريف الشرقي (إقليم الدريوش)	128-139
11	فداء منصور أبو المعاطى محمد الجوهرى	احتياطات الغاز في موريتانيا بين تحديات الواقع وآفاق المستقبل	138-157
	المقالات باللغات الأجنبية		
12	AAZIZI Dalila , IDALI Mouhsine	Changement climatique et migration forcée au Maroc entre vérité et mensonge	158-172
13	Najat Fares, Jamila Saidi	Patrimoine, mémoire et identité (Le cas de Maroc)	173-190
14	Lahrichi Kamal, Fattasse Hamid, Makhchane Mohamed, Okacha Abdelmonaim, Briouel Redouane, Gartet Jaouad.	L'impact humain sur la formation des travertins actuels : le cas du centre de Ras Elma (Sud de Taza, Maroc)	191-202

إفريقيا والتحولات الاجتماعية: و اقع يتغيرو آفاق تنتظر

إفريقيا، القارة السمراء التي تمثل إحدى أكبر جغرافيا العالم وأكثرها تنوعًا ثقافيًا وحضاريًا، تقف اليوم أمام تحولات اجتماعية عميقة تشكل واقعها ومستقبلها. هذه التحولات، التي تنبثق من تاريخ معقد من الاستعمار والتحديات الاقتصادية، تتشابك مع طموحات شعوبها في تحقيق التنمية والنهضة. إن استيعاب هذه التحولات يتطلب فهمًا عميقًا للعوامل التي تقودها والتأثيرات التي تتركها على النسيج الاجتماعي.

تشهد إفريقيا نموًا سكانيًا يُعد من الأسرع في العالم، حيث يتضاعف عدد سكان القارة بوتيرة ملحوظة. هذا التزايد يرافقه نزوح واسع من المناطق الريفية إلى المدن. الشباب، الذين يمثلون غالبية سكان القارة، يتوجهون نحو المراكز الحضرية الكبرى بحثًا عن فرص عمل وتعليم أفضل. إلا أن هذا التحول، رغم ما يحمله من إمكانيات اقتصادية، يولد تحديات كبيرة.

فالمراكز الحضرية تجد نفسها أمام ضغط هائل على بنيتها التحتية. الأحياء العشوائية تتوسع بشكل غير منظم، مما يؤدي إلى مشاكل في الإسكان، نقص في الخدمات الأساسية كالمياه والكهرباء، وتفاقم الفوارق الاجتماعية. ومع ذلك، فإن هذا التحول يعكس أيضًا حيوية المجتمعات الإفريقية ورغبتها في تحسين واقعها، وهو ما يجعل المدن الكبرى مراكز للتغيير والتجديد.

لا يمكن الحديث عن التحولات الاجتماعية دون التطرق إلى دور التعليم. في العقود الأخيرة، بدأت العديد من الدول الإفريقية تدرك أهمية الاستثمار في التعليم كوسيلة لتحقيق التنمية. المبادرات الحكومية والشراكات الدولية تسعى إلى تحسين جودة التعليم وتوسيعه ليشمل الفئات المهمشة، وخاصة النساء.

في الريف الإفريقي، لا تزال الفتيات يواجهن عقبات كثيرة تحول دون حصولهن على التعليم، مثل الزواج المبكر والأعراف الثقافية. لكن في المقابل، هناك قصص نجاح تلهم المجتمعات بأكملها، حيث تمكنت النساء المتعلمات من تغيير واقع عائلاتهن ومجتمعاتهن. التعليم لا يقتصر على اكتساب المعرفة، بل يمثل أداة للتمكين ومصدرًا للأمل في مستقبل أفضل.

في عصر الرقمنة، أصبحت التكنولوجيا الحديثة جزءًا لا يتجزأ من حياة الشباب الإفريقي. انتشار الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي غيّر جذريًا من طبيعة العلاقات الاجتماعية وأتاح للشباب نافذة على العالم. هذه الأدوات لم تُستخدم فقط للتسلية، بل أصبحت وسيلة لنشر الوعي الاجتماعي والسياسي.

الحركات الشبابية التي انطلقت من منصات التواصل الاجتماعي أصبحت قوة ضاغطة على الأنظمة السياسية، مطالبة بالإصلاحات ومكافحة الفساد. في الوقت نفسه، التكنولوجيا أتاحت فرصًا اقتصادية جديدة، حيث أصبحت التجارة الإلكترونية والعمل عن بُعد خيارًا متاحًا للشباب الطموح.

رغم هذه التحولات الإيجابية، لا تزال إفريقيا تواجه تحديات اجتماعية عميقة تعيق تحقيق التقدم المنشود. الفقر المدقع لا يزال يطوق ملايين السكان، حيث يعيش الكثيرون بأقل من دولارين يوميًا. الفجوة الاقتصادية بين المناطق الريفية والحضرية تزداد اتساعًا، مما يؤدي إلى تفاقم مشاعر التهميش.

التفاوت الجندري أيضًا يشكل عائقًا كبيرًا. النساء، رغم دورهن الحيوي في المجتمعات الإفريقية، يواجهن تمييزًا في مجالات عديدة مثل التعليم، العمل، والمشاركة السياسية. لكن هناك تقدم ملموس في العديد من الدول، حيث بدأت المرأة تأخذ مكانها في مراكز صنع القرار، وهو ما يعكس وعيًا متزايدًا بأهمية المساواة بين الجنسين.

مع انفتاح إفريقيا على العالم عبر العولمة، أصبحت المجتمعات الإفريقية تواجه تحديات جديدة تتعلق بالحفاظ على هويتها الثقافية. الشباب الذين يتفاعلون مع الثقافات العالمية عبر الإنترنت يتعرضون لتأثيرات خارجية قد تؤثر على القيم والتقاليد المحلية. لكن في الوقت نفسه، هذا الانفتاح أتاح فرصًا لإبراز التنوع الثقافي الإفريقي على الساحة العالمية.

الفن، الموسيقى، والأدب الإفريقي أصبحت تحظى باهتمام عالمي متزايد، مما يعزز من مكانة القارة كمنبع للإبداع والثقافة. الحفاظ على الهوية الإفريقية في هذا السياق يتطلب توازنًا بين الانفتاح على العالم والتمسك بالجذور الثقافية.

إفريقيا اليوم ليست كما كانت قبل عقود، فهي قارة تحمل في طياتها قصص نجاح وتحديات لا تزال عالقة. التحولات الاجتماعية التي تشهدها القارة تُظهر وعيًا متزايدًا بضرورة التغيير والتطوير. الشباب الإفريقي، بفضل طاقته وإبداعه، يقود هذه التحولات نحو مستقبل أفضل.

لكن لتحقيق هذا المستقبل، تحتاج القارة إلى استراتيجيات شاملة تركز على:

تمكين الشباب :من خلال توفير فرص عمل مبتكرة وتعليم يلبي احتياجات سوق العمل.

تعزيز المساواة :بين الجنسين وبين المناطق المختلفة.

الاستثمار في التكنولوجيا :لدفع عجلة التنمية وتحقيق التقدم الاقتصادي.

تعزيز الحوكمة الرشيدة :لمحاربة الفساد وضمان العدالة الاجتماعية.

ختامًا،إفريقيا ليست مجرد قارة تعاني من الفقر أو الصراعات كما يصورها البعض، بل هي أرض الإمكانيات التي تنتظر من يستثمر فيها. شعوبها، بإصرارها وصمودها، قادرة على تحويل التحديات إلى فرص. التحولات الاجتماعية التي نشهدها اليوم هي بداية لعصر جديد يُبشر بنهضة شاملة.

ومع كل خطوة تخطوها القارة نحو التغيير، تبقى إفريقيا رمزًا للحياة، للتنوع، وللإصرار على تحقيق الأفضل. إنها قارة تحمل في أعماقها جذور التاريخ وأجنحة المستقبل، قادرة على الإقلاع نحو آفاق جديدة تسطر فيها قصص نجاح لا تنتهي.

إبراهيم الانصاري

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد التاسع والعشرون
كانون الثاني – يناير 2025
ISSN 2569-734X

الإشعاع الاقتصادي والخدماتي لمدينة الفقيه بن صالح

Economic and Service Expansion in Fqih Ben Salah city

***هدى قصطال، **فاطمة الزهراء، ***خلوقي، ابراهيم حمداوي**

***طالبة باحثة** مختبر الجيومرفولوجية البيئة والمجتمع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة القاضي عياض مراكش

****طالبة باحثة** مختبر إعداد المجال والتنمية الترابية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية القنيطرة

*****أستاذ باحث** مختبر إعداد المجال والتنمية الترابي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية القنيطرة

ملخص: عرفت مدينة الفقيه بن صالح بناء على نتائج البحث الميداني، تحولا كبيرا تماشيا مع تطورها الزمكاني، حيث باتت تقدم خدمات للساكنة إن على المستوى المحلي، أو الجهوي، أو الوطني. خدمات متميزة ارتبطت أساسا، بالوضع السوسيو اقتصادي القائم بالمدينة، وظهيرها من خلال أهمية الفلاحة، واستثمارات المهاجرين الدوليين، وتزايد أعداد سكان المدينة. واقع رافقه تزايد الطلب على مجموعة من المواد، خاصة مواد الاستهلاك بكل أنواعها. هذا ما جعل المدينة تشكل مجال اشعاع سواء على مستوى تصدير منتجاتها، أو باعتبارها سوقا استهلاكية تفد إليها المواد والمتبضعين من جهات مختلفة بما في ذلك البعيدة منها كمدينة أكادير، ومدينة الخميسات... تتضح هذه الدينامية الاقتصادية أساسا من خلال ظاهرتي السوق الأسبوعي، الذي بات يشكل أول سوق في الجهة من حيث السيولة النقدية، بالإضافة إلى تجارة المواد غير المهيكلة، والتي تشغل نسبة مهمة من سكان المدينة. خاصة وأن المدينة ترتبط بجالية مهمة في الخارج تتعاقب عليها على مدار شهور السنة، وتفتح الباب إلى توفير عدد من المواد، سواء تعلق الأمر بالنسبة لسكان المدينة أو باقي المغرب، كما هو الحال بالنسبة لتجارة السيارات المستعملة، أو القادمة من الخارج.

Based on field research findings , the city of Fquih Ben Salalh has experienced significant trasformaition in line with its spatiotemporal development. It now provides services to residents at local and national levels. These forward-thinking services are primarily linked to the city's socio-economic structure, emerging through the importance of agriculture and and investments by international migrants, as well as the increasing pupulation of the city thishas led to a rise in demand for a variety of goods, of all types. this dynamic has positioned the city as a market for selling its products and established even extends to distant goods, such as those from the sity of khemisset. These economic liquidity,in addition to the trade of non-perishable goods, which constitutes a significant proprtion of local commerce. The city also has strong ties with its community abroad, which contributes to the supply of various goods, whether second-hand or imported from abroad.

الكلمات المفاتيح: الإشعاع-الخدمات-المدينة

I. تقديم

إن دراستنا للأنشطة الاقتصادية المتواجدة بمدينة الفقيه بن صالح، بين أنها مهمة ومختلفة على مستوى الكم والنوع، وهو ما يفسر الدينامية السوسيومجالية التي تعرفها المدينة. فإلى عهد قريب كان عدد مهما من ساكنة المدينة يضطر إلى التنقل للمدن المجاورة، لا سيما بني ملال،وخريبكة، والدار البيضاء، من أجل قضاء بعض الحاجيات التي لا توفرها مدينة الفقيه بن صالح. غير أن هذا الوضع سرعان ما بدأ يتلاشى في السنوات الأخيرة، بعدما أصبحت المدينة قبلة لعدد من الخدمات والمحلات التجارية الكبرى (كمرجان، وأتقداو، وبيم، والعيادات الطبية، ومختبرات التحاليل الطبية، ومتاجر بيع المعدات والآلات الفلاحية، والمؤسسات المالية...

II. الاشكالية

منذ نشأة الفقيه بن صالح، كمدينة أو كتجمع سكاني أولي على شكل بنايات تقليدية، (نوايل). بدأت التجمعات السكانية المكونة لها تنظم نفسها وتعمل على تحقيق التكامل الاقتصادي، من خلال توفيرها لبعضها البعض خدمات مختلفة.

مع مرور الوقت واختيار موقع مدينة الفقيه بن صالح، كموقع استراتيجي في السياسة الاستعمارية الفرنسية، بدأت المدينة تتموقع داخل سهل تادلة، وداخل المنطقة، والمغرب ككل. هذا ما ترجمه نفوذها الاجتماعي والاقتصادي المتميز جهويا ووطنيا، حيث أصبحت تشكل مجال استقطاب سكاني رافقه من دون شك رواج اقتصادي، شكلت المواد الفلاحية محركه الأساس. حركة سرعان ما بدأت تتطور بتزايد عدد السكان، وتزايد الطلب على المواد الاستهلاكية والخدماتية.

بناء على ما سلف نود الوقوف على الدينامية التي عرفتها المدينة. فما هي متجليات هذه الأنشطة ؟ وكيف تتوزع داخل المدينة؟ وما هي الآليات التي تحكمها؟ وكيف تؤثر على الدينامية الحضرية بمدينة الفقيه بن صالح؟ وما هي انعكاساتها على الوضع السوسيو مجالي لمدينة الفقيه بن صالح؟

III. النتائج

1 الفلاحة: ارتباط المدينة بظهيرها

مما لاشك فيه أن مدينة الفقيه بن صالح، ومنذ نشأتها ارتبطت بالقطاع الفلاحي، وذلك من خلال وجود عدد من الأشخاص الذين يقطنون بالمدينة ويزاولون الأنشطة الفلاحية، ويتعلق الأمر أساسا بالمهاجرين القرويين، الذين ظلت أنشطتهم الاقتصادية ترتبط أساسا بالنشاط الفلاحي. خاصة تربية المواشي وفي مقدمتها الأبقار الحلوب، أو بسبب توسع المدينة على الساكنة القروية، من خلال ضم عدد من الدواوير إلى المدار الحضري، كما هو حال سيدي شنان الشرقية، أو الغربية مثلا ودوار شنيولة، ودوار دراعو، ودوار الشمندر...

إن مزاولة النشاط الفلاحي من قبل العديد من أرباب الأسر داخل مدينة الفقيه بن صالح لازال قائما، إما بشكل أساسي أو كنشاط تكميلي، كما هو الحال لمعظم أرباب ساكنة دوار سيدي خلخال. ناهيك عن كون النشاط الفلاحي في دائرة إقليم الفقيه بن صالح، يشكل مجالا حيويا لعدد من الأفراد (ذكور وإناث) المقيمين بالمدينة، من خلال العمل اليومي في الضيعات الفلاحية المحاذية للمدينة، خلال مختلف الفصول المرتبطة بحرث وجني المحاصيل الزراعية، كالعمل في جني الخضر، والفواكه، والحوامض، والزيتون، والشمندر...

ينبغي أن لا ننسى كذلك، أن الهجرة بنوعيها الداخلية والخارجية، ساهمتا بشكل كبير في استمرار ارتباط المدينة بأريافها[1]. من خلال الخدمات التي توفرها ومن خلال عملية نقل المهاجرين لآبائهم من الأرياف، للاستقرار داخل البيوت التي تم بناءها داخل المدينة، دون أن يتخلى هؤلاء الآباء عن أراضيهم وعن مزاولة الأنشطة الفلاحية في المناطق التي انحدروا منها، والمتواجدة بمختلف جماعات دائرة الفقيه بن صالح.

رغم ضعف نسبة تشغيلها للساكنة بالمدينة، تبقى الفلاحة محركا لعدد من أنواع التجارة والخدمات، المتواجدة في قلب مدينة الفقيه بن صالح. هذا ما يظهر من خلال المحلات التي تعرض المنتوجات الفلاحية، (البذور، والأسمدة، والنخالة، والشمندر...) أو الأدوات الفلاحية، كما يتبين في اللوحة رقم 1 ومن أهم متجليات ارتباط المدينة بالعالم القروي: السوق الأسبوعي للمدينة، الذي ينعقد كل يوم أربعاء، والذي يعرض عددا من المنتوجات الموجهة للأرياف كالمنجل، والمعول، ومشط الأرض، وأواني تحصين المياه، والأحبال، وآليات مخض الحليب، وقنوات توريد المواشي... كما يشكل السوق مكانا وموعدا للتواصل بين عدد من الأفراد، في إطار وجود شركات وعلاقات اقتصادية بين سكان المدينة، وبعض القرويين في المجالات المحيطة، هو ما لم نستطع ضبطه في العمل الميداني بشكل واضح، إذ يمكن أن يشكل موضوع دراسة قائمة بذاتها.

اللوحة رقم :1 بصمة الفلاحة داخل أحياء مدينة الفقيه بن صالح

[1] Mohammed Refass, L'organisation Urbaine de la Péninsule Tingitane, Université Mohammed V publications de la Faculté des lettres et des Sciences Humaines-Rabat Série : Thèses et M mémoires- N°27.1996 ,212.

المصدر: عدسة الباحث 2021

2 الصناعة: تعايش بين صناعة تقليدية وأخرى أكثر حداثة

تشكل الصناعة في مدينة الفقيه بن صالح قطاعا ثانويا، نظرا للسياق الذي نشأت فيه المدينة خلال الفترة الاستعمارية، ثم الطبيعة الجغرافية التي جعلت المدينة كأنها الساهر على تدبير شؤون المنطقة الفلاحية، علما على أن اقتصاد هاته الأخيرة يقوم على الفلاحة بامتياز. ما جعل نسبة التمدن في الاقليم، والجهة ضعيفة مقارنة مع المستوى الوطني. حيث وصلت بالإقليم إلى 40.9% و49.1% على المستوى الجهوي، مقابل 60.3% على المستوى الوطني حسب إحصاء 2014، وهي الآن في حدود 62% وطنيا.

كما أن بنيتها الجيولوجية خلال تلك المرحلة لم تكشف عن المعادن، إما لعدم التنقيب أو لاحتفاظ المستعمر باستغلال الخيرات السطحية للمنطقة، لا سيما وأنها سهلية وتوفر ظروفا ملائمة للإنتاج الفلاحي، الذي كان المستعمر في حاجة إليه. في هذا السياق أدخلت منتوجات إما للاستهلاك المباشر أو بعض المنتوجات التي تخدم الاقتصاد الفرنسي، وفي مقدمتها الشمندر، والقطن، وأشجار الزيتون والحوامض... وجعلت من بعض المراكز المجاورة غير مؤهلة فلاحيا؛ كمدينة وادي زم، وخريبكة. دون أن ننسى أن الصناعة خلال الفترة الاستعمارية اقتصرت أساسا على استخراج المعادن، واقامة بعض الصناعات التحويلية التي وطنتها في المدن الساحلية، خصوصا مدينة الدار البيضاء.

كرست المدينة هذه الوضعية بعد الاستقلال، وظلت رائدة في عدد كبير من المنتجات الفلاحية القائمة على السقي. إن هذا الوضع هو الذي أعطى للمدينة الطابع القروي، على غرار عدد كبير من مدن الغرب، كسيدي سليمان ومشروع بلقصيري... واقع جعل من الصناعة قطاعا ثانويا وهامشيا في المدينة، ويقوم على بعض الحرف التقليدية، التي كانت توجه لإنتاج بعض الأدوات المنزلية والفلاحية، خاصة تلك المرتبطة بالحدادة، والقزدرة، والنجارة، والبناء. إذ أنها شكلت أهم الحرف الصناعية داخل المدينة، وكانت موجهة أساسا لخدمة قطاع السكن والبناء، الذي ظل في تزايد مستمر.

تكمن أهمية النسيج الصناعي في تنوعه، وتوجهه للوسطين الريفي والحضري، ومن مظاهر تأثير أرياف مدينة الفقيه بن صالح على هذا النسيج. تواجد عدد من المعاصر العصرية، والتقليدية لزيت الزيتون. نظرا لأهمية هذا المنتوج الفلاحي، فهو يعتبر أكثر انفتاحا على المجال الحضري، حيث يشكل هذا الانفتاح المزدوج، عاملا لتأكيد هوية المدينة وعلى تواجدها في بيئتها، ومن مظاهر ذلك تواجد رحبة الزيتون في المدينة، والتي يفد إليها الباعة والمشترون لشراء غلل الزيتون المنتج بالإقليم، نظرا لارتفاع جودته، إن هذا المنتوج وغيره من المنتجات المحلية، من شأنها أن تعزز مكانة مدينة

الفقيه بن صالح وتدعيم إشعاعها على المستوى الجهوي، والوطني، وذلك في ارتباطها[2] كذلك بالزراعات الصناعية كالشمندر مثلا، ومن مظاهر التأثير الفلاحي على المدينة كذلك، تواجد معامل الحليب ومشتقاته داخل المدار الحضري.

تظهر معالم الصناعة في كل أنحاء المجال المسقي المرتبط بالنشاط الزراعي، والذي مازال يحتضن مقرات لبعض الوحدات الصناعية، كوحدة معالجة الحليب (centrale laitière)، و(Jibal)،وfromagerie laiterie tadla (FROLT)، ومعالجة البذور (SONACOS)، والقطن (COMAPRA) وقنوات الماء (SNCE). إضافة إلى بعض وحدات استخراج زيت الزيتون، ووحدة لتركيب وتصنيع الأثاث المنزلي، دون أن ننسى تطور صناعات مواد البناء.

من هنا يمكن القول أن الإقليم، وضمنه مدينة الفقيه بن صالح يوفر ظروفا ومؤهلات كبيرة للصناعة الفلاحية، و قد يجعل منها قطبا صناعيا رائدا بالجهة، وعلى المستوى الوطني. سيما وأن إقليم الفقيه بن صالح ينتج مواد فلاحية متنوعة، وبكميات كبيرة على المستوى الجهوي، والوطني مثلما أسلفنا في الفصل الأول، ومن بين هذه المواد نذكر: السمسم، والشمندر، والرمان، والفلفل الأحمر، والزيتون، والقطن.

3. التجارة: التنوع وتباين التوزيع المجالي

يظهر أن الأنشطة التجارية بمدينة الفقيه بن صالح كثيرة ومتنوعة، فالنشاط التجاري بالمدينة يتميز بعدة مظاهر، وهو ما يتضح من خلال الحضور القوي للمحلات التجارية على طول الشوارع الرئيسية للمدينة وبباقي الأحياء. تكمن أهمية التجارة في النسيج الاقتصادي للمدينة من خلال تزايد الطلب على استهلاك المواد، علما أن المدينة ورثت التقاليد التجارية منذ ولادتها كسوق أسبوعي، وتطورت بنية التجارة، وأنواعها، وموادها، وكيفية الحصول عليها بتطور الوضع الاقتصادي، والاجتماعي، ومتطلبات الساكنة. أمام تزايد أعداد ساكنة المدينة، وتقوية بنيتها الطرقية مع محيطها القريب والبعيد، سعت إلى جلب أنشطة تجارية جديدة، خصوصا مع تنامي الهجرة الدولية، وما يتطلبه المهاجرون الدوليون من مواد بعد عودتهم أثناء العطل.

رغم أن الأنشطة التجارية مازالت تركز بشكل أساسي على المواد الأساسية كالسكر، والشاي، والزيت، والدقيق، ومختلف المواد الغذائية، والألبسة، والمواد الفلاحية، وكذلك مواد التنظيف... إلا أن إدخال منتجات تجارية عصرية، باتت تلعب دورا مهما في هذا النسيج. مثلا محلات بيع الأدوات الإلكترونية، والأسواق التجارية العصرية الكبرى(مرجان، وأتقداو، وبيم) وهو ما أفرز نوعا من الرقي التجاري الذي باتت تعرفه المدينة وفتحها على توافد المهاجرين.

رغم التنوع التجاري الذي أصبحت تعرفه المدينة، إلا أن ذلك لم يؤد بعد إلى خلق نسيج تجاري متوازن كميا، ونوعيا كما يظهر الجدول رقم:1

جدول رقم 1 : بنية التجارة بمدينة الفقيه بن صالح

[2] Mohamed Boulisfane, « les relations Agriculture-Industrie dans les grands Périmètres D'irrigation au Maroc » L'évolution des Rapports Villes_ Campagnes au Maghreb, Université des Lettres et des Sciences Humaines Rabat, série : Colloques et Séminaires N° 10 ,p179,1988.

الأصناف التجارية	عدد المؤسسات و المحلات التجارية	%
التغذية	711	36.99
الملابس	287	14.93
التجهيزات المنزلية	136	7.07
المواد الريفية	121	6.29
مواد البناء	111	5.7
العطور ومواد التجميل والصيدلة	100	5.20
سلع الثقافة والرياضة	52	2.70
المواد الإلكترونية	104	5.41
أجزاء الدراجات والسيارات	91	4.73
آخر	213	11.08
المجموع	1922	100

المصدر: الجرد الميداني للأنشطة 2021

تعد التجارة قطاعا حيويا في الحياة الاقتصادية لمختلف الشعوب، وتقاص اقتصادات الدول بمدى قوة قطاعها التجاري، ومدى قدرة المجتمعات على الاستهلاك. لقد عرفها **ابن خلدون**، بمحاولة الكسب عن طريق شراء السلع بالرخص، وبيعها بالغلاء أيا كانت السلع... وذلك القدر النامي يسمى ربحا[3]. بمعنى أن الهدف من وراء التجارة هو توخي الربح، وهذا الأخير يخضع للطلب والعرض، حسب السوق، وكذلك للمنافسة التي تفرض جودة السلع والثمن المنخفض. التجارة إذا هي أداة لبيع وشراء المواد، كما أنها وسيلة تفرض تحسين وتطوير جودة المنتجات، حتى يتم الطلب عليها وتجنيبها التعرض للكساد. والحالة هاته، فالتجارة بمدينة الفقيه بن صالح خاضعة لهذا الوضع ولم تخرج عن هذه القاعدة إذ تباع المواد تبعا لجودتها، وثمنها.

إذا وقفنا على البنية التجارية لمدينة الفقيه بن صالح، يتبين أنها مهمة ومتنوعة، ومتباينة، من حيث النوع والتوزيع، والأهمية. تأتي تجارة المواد الغذائية في مقدمة المواد التجارية، بما يزيد عن 700 محل أي ما يناهز 36.99% من مجموع الأنواع التجارية.

إن ارتفاع هذه النسبة أمر طبيعي، ومرده أساسا إلى أهمية المواد الغذائية في حياة السكان، لا سيما وأن المدينة عرفت تزايدا في عدد سكانها. وبعد ذلك تأتي تجارة الملابس، إذ تنتشر على قرابة 300 محل، أي ما نسبته 15%، وهو ما يتماشى وتزايد الطلب على الألبسة في ارتباطه بارتفاع عدد سكان المدينة. الملاحظ أن أغلبية هذه الملابس مصدرها مدينة الدار البيضاء.

إذا كانت المواد مهمة من حيث النسبة والعدد، فمرد ذلك إلى كونها مواد أساسية، ولا يمكن الاستغناء عنها، إلا أن ما يثير الانتباه هو إدخال أنواع تجارية جديدة لم تألفها المدينة من قبل، كتجارة المواد الإلكترونية، وتجارة أجزاء

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون،ص،64. دار صادر الطبعة الأولى 2000

السيارات، وتجارة المواد الرياضية، وتجارة العطور، ومواد التجميل. إذ أن هذه المواد الأخيرة تمثل حوالي 18.04% من مجموع المحلات التجارية، وتجدر الإشارة أن تجارة المواد الإلكترونية لوحدها تمثل 5.41% من مجموع المحلات. بمعنى آخر بدأت مدينة الفقيه بن صالح تعرف تطورا في بنياتها التجارية، وتزايدا في عدد المحلات التجارية المرتبطة بالصناعات العصرية، والمتطلبات الراهنية للساكنة. هذا ما باتت تحتويه مجموعة من القيساريات، والتي يصل عددها بالمدينة إلى 6 قيساريات؛ كقيسارية زهرة للملابس، وقيسارية الزيتوني المختصة في بيع الذهب... بالإضافة إلى الأسواق التجارية الكبرى التي تم إحداثها مؤخرا، دون أن ننسى استمرار أهمية محلات بيع المنتجات الفلاحية والمواد الموجهة للأرياف والبناء، وما يلاحظ في هذه الأنشطة التجارية أنها متباينة من حيث التوزيع.

إن هذا التحول، هو ما يفسر مواكبة المدينة للتطور العام الوطني والدولي، وفي ذات السياق يفسر الإشعاع الذي باتت تلعبه المدينة، وهو ما أدى إلى تزايد نسبة التحضر في سهل تادلة.

4: الخدمات : دينامية متواصلة ومسايرة لمتطلبات السكان

أصبحت الخدمات تشكل قطاعا حيويا في اقتصاد مدينة الفقيه بن صالح، خاصة في السنوات الأخيرة. ذلك بالنظر إلى التحولات التي عرفتها المدينة في ارتباطها بتزايد حاجيات ساكنتها، والذي مرده إلى التزايد السكاني وتطور الحاجيات، والتأثير الذي باتت تعرفه المدينة بسب الهجرة الوافدة، أو بسبب عائدات المهاجرين الدوليين، أو بسبب الأوضاع الادارية للمدينة، والفاعلين المحليين. رافق التطور الحضري لمدينة الفقيه بن صالح، تزايد الضغط على الخدمات بشقيها التقليدي والعصري، وهو ما أدى إلى تطور أعدادها وتغير بنياتها.

من هنا سنقف على الخدمات التقليدية بصفة عامة، ودورها في إشعاع المدينة. وتتمثل أهمية الخدمات من خلال أعدادها، ونوعها، والفئات التي تتوجه إليها، وهو ما يتضح من خلال الجدول التالي:

جدول رقم2 : الأنواع الخدماتية بمدينة الفقيه بن صالح

أصناف الخدمات	عدد المؤسسات والمحلات التجارية	النسبة%
الإصلاح والصيانة	371	24,8
خدمات شخصية (حدادة، حلاقة، الحمامات، الأفرنة، إسكافي...)	303	20,3
صناعة تقليدية خاصة بالخدمات	271	18,2
المطاعم و المقاهي	186	12,4
الوسطاء	164	11
المساعدة التقنية (الكتابة العمومية والعدول)	77	5,1
خدمات الترفيه	55	3,7
المساعدة القانونية	34	2,3
آخر	31	2
المجموع	1492	100

المصدر: الجرد الميداني للأنشطة 2018

يتبين من خلال البحث الميداني، أن خدمتي الإصلاح والصيانة تأتيان في المقدمة. بما مجموعه 24,8% بسبب التحولات التي عرفتها مدينة الفقيه بن صالح، وفي مقدمة هذه الخدمات، تلك المرتبطة بإصلاح السيارات والدرجات (الميكانيك، اصلاح هياكل السيارات، إصلاح العجلات، كهرباء السيارات...)، والكهرباء والماء (مرصص، كهربائي، بلومبي)، والأدوات الإلكترونية والمنزلية، (كإصلاح الثلاجات، وإصلاح أجهزة التلفاز، وخدمات التلحيم...) إن ارتفاع نسبة خدمات الصيانة والإصلاح، مرده إلى التحولات التي عرفتها المدينة وساكنتها، بسبب مجموعة من العوامل نذكر منها:

- تطور القطاع الفلاحي في دائرة المدينة، وتزايد الطلب على المعدات الفلاحية وما يرتبط بها.
- انتشار بعض الوحدات الصناعية المرتبطة بالفلاحة داخل المدينة وضواحيها
- تأثير عائدات الهجرة الدولية[4]، إذ أن هاته الأخيرة غيرت من طبيعة المشهد الجغرافي.
- انتشار وسائل الاتصال.

[4] Bachir Hamdouch , Abdallah Berrada et Autres, Migration Internationale au Maroc une enquête sur ses caractères et ses effets en milieu urbain, Université du Québec a Montréal.1981,p,131.

- انفتاح ساكنة المدينة على العولمة، وانخراطهم في منظومة الحياة العصرية، كالإقبال على شراء السيارات، والآتات المنزلي العصري...

إن العوامل السالفة الذكر وغيرها، هو ما يفسر بوضوح تزايد الضغط والطلب على الخدمات بمختلف أنواعها. سيما وأن مدينة الفقيه بن صالح باتت قبلة لعدد من الأفراد، القادمين من الأرياف، والمدن المجاورة، كمدينة سوق السبت أولاد النمة، وتادلة، ومدينة وادي زم، ومدينة أبي الجعد، ومدينة خريبكة...

إن تواجد خدمات الإصلاح والصيانة بهذا العدد، هو ما أصبح يعطي للمدينة دينامية اقتصادية متميزة داخل الإقليم، والمدن المجاورة. فمن الخدمات الأساسية تلك المرتبطة بالأفراد، وذات البعد الاجتماعي، إذ أطلقنا عليها اسم الخدمات الخاصة، والتي تمثل حوالي 20.3% نذكر منها : الحلاقة والتجميل، والحمامات والأفرنة، والنقل بالعربات، والنقل اليدوي، وخدمات النظافة، والحراس الليليون، وخدمات البناء... من الخدمات التقليدية كذلك، خدمات التوثيق المرتبطة بالكتاب العموميون، والعدول، وسماسرة العقار، وخدمات الترفيه، الممثلة في وجود قاعة للسينما، والمقاهي التقليدية التي شكلت مقرات، للعبة الورق المغربية (الكارطة)، كما شكلت مكان لتجمع الحرفيين والسماسرة... لقد باتت مدينة الفقيه بن صالح تستقطب أنشطة للقطاع الثالث، والتي تنتشر في مختلف أنحاء المدينة، وهو ما يتبين من خلال الخريطة رقم: 1

رقم: 1 توزيع الأنشطة الخدماتية والتجارية بمدينة الفقيه بن صالح

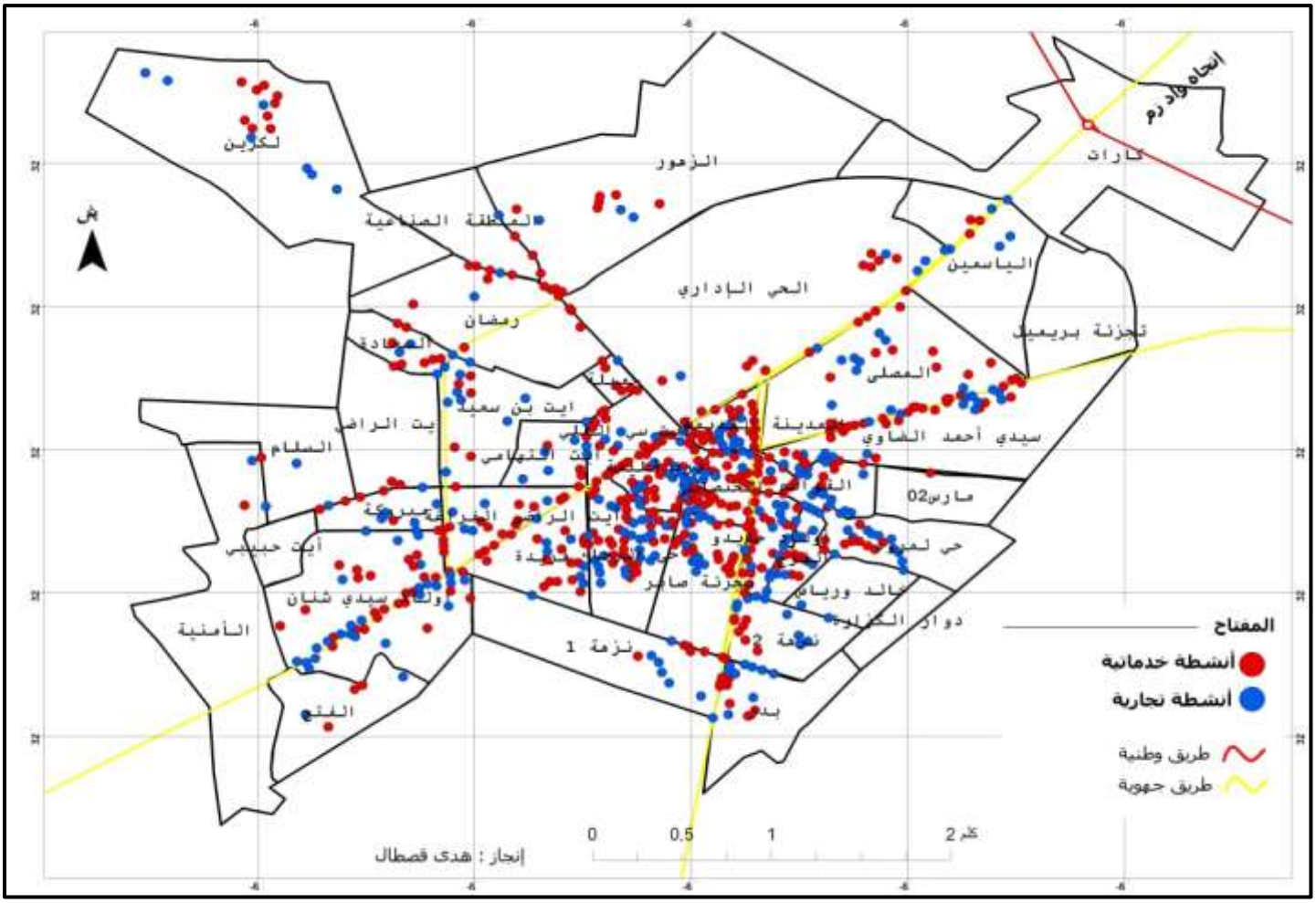

المصدر: الجرد الميداني للأنشطة باعتماد الصور الجوية

أظهر البحث الميداني الذي قمنا به، أن عددا من أرباب الأسر أكثر من قطاع، وتزاول مهنا ثانوية تضاف إلى مهنهم الأساسية

2

الجدول رقم: 2 توزيع أرباب الأسر بمدينة الفقيه بن صالح حسب القطاع المشغل في ارتباطه بممارسة المهن الثانوية وطبيعتها

القطاع المشغل	المهنة الثانوية		طبيعة المهنة الثانوية			المجموع
	المزاولون		فلاحة	صناعة	تجارة أو خدمات	
	نعم	لا				

	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
القطاع العام	47	3.45	171	12.58	38	2.79	1	0.07	8	0.60	218	16.02
القطاع الخاص	222	16.32	920	67.65	186	13.68	2	0.15	34	2.50	1142	83.98
المجموع	269	19.79	1091	80.23	224	16.47	3	0.22	42	3.1	1360	100

المصدر: البحث الميداني (2018- 2021)

5 سوق أربعاء مدينة الفقيه بن صالح : التظاهرة الاقتصادية الكبرى في المدينة

منذ أن برز التجمع الأول لمدينة الفقيه بن صالح، خلق لنفسه فضاء للتبضع، فبات يعقد هذا التجمع كل يوم الأربعاء. إذ كان يقدم في البداية السلع التي تحتاجها الساكنة (السكر، الزيت، مواد التنظيف، الخضر، الشاي، اللحوم، الحبوب، المواشي... وبعض المواد والأدوات المنزلية، والفلاحية) إلا أن السوق سرعان ما بدأ يتطور، وذلك تزامنا مع تطور المدينة، إلى أن أصبح في الوقت الراهن من أكبر الأسواق التي تعقد بسهل تادلة، إن لم نقل أكبر الأسواق التي تعقد في جهة بني ملال خنيفرة.

من هنا نتساءل عن العوامل التي ساهمت في هذا التطور، وأين تكمن أهميته الجهوية والمحلية ؟ وكيف يشكل عنصرا هاما في الدينامية الحضرية للمدينة؟

1.5: يساهم دخل السوق الأسبوعي بمدينة الفقيه بن صالح بمبلغ مالي هام في ميزانية الجماعة

تبعا لتقرير مصلحة الموارد المالية للجماعة الحضرية بمدين الفقيه بن صالح، يتم تفويت استغلال السوق الأسبوعي للمدينة، باعتباره يشكل موردا ماليا[5] مهما للجماعة، من خلال عملية الكراء[6] ويقدر المعدل السنوي لمداخيل هذا التفويت، ما بين تسع مئة إلى واحد مليار سنتيم. في سنة 2020، والمتزامنة مع جائحة كوفيد، تم كرائه بما يقارب تسع مئة وعشرون مليون سنتيم لمدة سنة كاملة، وهكذا يتم تفويته كل سنة، إلا أن هذا المبلغ يصل إلى أكثر من ذلك في السنوات العادية.

يضاف إلى مداخيل السوق مداخل أخرى، كمداخيل المجزرة الجماعية، التي يتم كراؤها أيضا لشركات مختصة عبر مسطرة طلب العروض المفتوحة لمدة ثلاثة سنوات، بما يقارب مئة وخمسون مليون سنتيم للسنة... وبالنسبة لعدد الذبائح، فهي تختلف حسب كل شهر وكل سنة. موفرة بذلك حاجيات الساكنة من اللحوم، والتي غالبا ما يكون ثمن بيعها أقل من ثمن بيعها بالمدينة، ناهيك عن كونها توفر عروضا قد لا تتوفر خلال الأيام العادية بالمدينة، كلحوم الإبل، والأرانب، وبعض الأنواع من الدواجن والطيور.

يتم تسير السوق الأسبوعي كما تمت الإشارة عن طريق الصنك، في حين المجزرة الجماعية يتم فيها التسيير عن طريق وزن الذبيحة بعد الذبح، وتأدية التسعيرة عن كل كيلوغرام. تشكل مداخيل السوق ما يناهز 8% من إجمالي المداخيل الذاتية، أما بالنسبة لتصنيف مداخيل الجماعة، فالمداخيل الذاتية المستخلصة من قسم تنمية الموارد المالية، تشكل ما نسبته تقريبا حوالي 26% من مجموع المداخيل، من هذا المنطلق تظهر أهمية السوق بالنسبة للجماعة الحضرية.

2.5 السوق في اقتصاد المدينة : دخل مالي و أثمنة مناسبة

مما لاشك فيه، أن يوم انعقاد السوق الأسبوعي له أهمية في اقتصاد المدينة، والمنطقة. علما أن أسواق المنطقة تنتظم في دورة أسبوعية موزعة على الشكل التالي: خميس أبي الجعد، سبت أولاد النمة، وأحد خريبكة، اثنين تادلة، واثنين وادي زم، ثلاثاء بني ملال، وصولا عند أربعاء الفقيه بن صالح. دون أن ننسى أهمية بعض الأسواق الأسبوعية المحيطة كأحد البرادية، وخميس أولاد عزوز، وخميس بني شكدال... إن وجود هذه الأسواق وهذه الدورة يؤثر دون محالة على الحركية الاقتصادية للكل، ويجعل الباعة أكثر المستفيدين من خلال هاته الدورة، كما يعد عرسا أسبوعيا دائم التجدد[7] بناء على ما سبق، يمكن القول أن السوق الأسبوعي يوفر دخلا ماليا كبيرا للجماعة، إذ يصل في بعض السنوات إلى مليار سنتيم. إضافة إلى أنه يوفر خدمات مهمة للساكنة المحلية، وللساكنة المتوافدة عليه. مع العلم على أن عددا

---

[5] M'hammed Dryef ,Urbanisation et Droit de L'urbanisme au Maroc N R S éditions la Porte ,p,79,1993.

[6] تعقد الأسواق فوق مساحات تابعة لأراضي الجماعة وتوزع الأنشطة وفق نوعها وغالبا ما يتم تقسيمه إلى قسمين. الأول خاص للسلع الخفيفة والثاني خاص بالدواب والمواشي داخل أسوار محكمة بأبواب، وعلى رأس كل باب قابض الجبايات التي تفرض على السلع التي تقدم للبيع وفقع لنوعها وحجمها، ويتم جمع مداخيل السوق إما بشكل مباشر من قبل الجماعة أو يتم تفويت عملية الجمع إلى مكترين وفق مبالغ مالية سنوية تحدد وفق مسطرة قانونية.

[7] Kayser Bernard J.F Troin, Les Souks Marocains, marchés ruraux Organisation de L'espace dans la moitié nord du Maroc, année1978, pp.197.198.

من هذه الخدمات تتوفر بأثمنة مناسبة، ولا نجد نظيرا لها في مدينة الفقيه بن صالح خلال باقي أيام الأسبوع، وإن وجدت فتكون بأثمنة مرتفعة. ما يعبر عن هذا كون 82% من ساكنة الفقيه بن صالح، تعتمد بشكل كلي في شراء الخضر على السوق الأسبوعي، و76% في شراء الملابس، و90% شراء الحبوب، و66% في شراء الأواني والأثاث المنزلي، و23% في شراء المواد المستعملة، سيما تلك القادمة من الخارج و34% في شراء اللحوم، والجدول رقم: 3 يوضح بشكل مفصل أماكن تزود ساكنة مدينة الفقيه بن صالح بالمواد الأساسية.

ISSN 2569-734X

الجدول رقم 3: السوق الأسبوعي أهم الأماكن التي تتزود منه ساكنة الفقيه بن صالح بالمواد الأساسية

البقالة	العدد	%	الحبوب	العدد	%	الخضر	العدد	%	اللحوم	العدد	%	الملابس	العدد	%	الأجهزة المنزلية	العدد	%	المواد المستعملة	العدد	%
دكان	665	48.89	دكان	119	8.76	دكان	45	3.30	دكان	201	14.78	محل تجاري	286	21.03	محل تجاري	260	19.11	محل تجاري	668	49.11
سوق أسبوعي	289	21.25	سوق أسبوعي	1227	90.22	سوق أسبوعي	1120	82.36	سوق أسبوعي	465	34.19	سوق أسبوعي	967	71.11	سوق أسبوعي	890	65.45	سوق أسبوعي	310	22.79
سوق نموذجي	0	0	سوق نموذجي	0	0	سوق نموذجي	87	6.39	سوق نموذجي	312	22.94	سوق نموذجي	14	1.02	سوق نموذجي	87	6.39	سوق نموذجي	119	8.75
مركز تجاري	312	23.94	مركز تجاري	0	0	مركز تجاري	80	5.89	مركز تجاري	250	18.39	مركز تجاري	79	5.81	مركز تجاري	75	5.51	باعة متجولين	177	13.01
من خارج المدينة	66	4.85	من خارج المدينة	0	0	من خارج المدينة	0	0	من خارج المدينة	87	6.39	من خارج المدينة	14	1.02	الاستيراد من الخارج	48	3.52	من خارج المدينة	43	3.17
آخر	28	2	آخر	14	1.02	آخر	28	2.06	آخر	45	3.30	أخر	0	0	آخر	0	0	آخر	43	3.17
المجموع	1360	100	**المجموع**	1360	100	**المجموع**	1360	100	**المجموع**	1360	100	**المجموع**	1360	100	**المجموع**	1360	100	**المجموع**	1360	100

المصدر: البحث الميداني (2018-2021)

إن وفرة المواد بالسوق، هو ما جعل معظم أسر مدينة الفقيه بن صالح تميل إلى التبضع الأسبوعي خاصة فيما يتعلق بالخضر والفواكه. كما تشكل رحبة الملابس بنوعيها (الجديدة والمستعملة)، ومرفق الأدوات المستعملة القادمة من الخارج، مجال إقبال و تردد لساكنة مدينة الفقيه بن صالح ونواحيها. عموما يتبين أن 67% من الساكنة المحلية تقضي معظم حاجياتها من السوق الأسبوعي، وهو ما يجعل من يوم الأربعاء يوم انعقاد أكبر تظاهرة اقتصادية بمدينة الفقيه بن صالح، بالنظر لحجم الأنشطة التي يقدمها والرواج المالي الذي يتم داخله. يتبين هذا أكثر من اللوحة رقم(1) والمبيان رقم (1)

اللوحة رقم1: جانب من أنشطة السوق الاسبوعي بمدينة الفقيه بن صالح

المصدر: عدسة الباحث (2018_ 2021)

ISSN 2569-734X

المبيان رقم: 1 أهمية السوق في عملية التبضع بالنسبة لساكنة الفقيه بن صالح

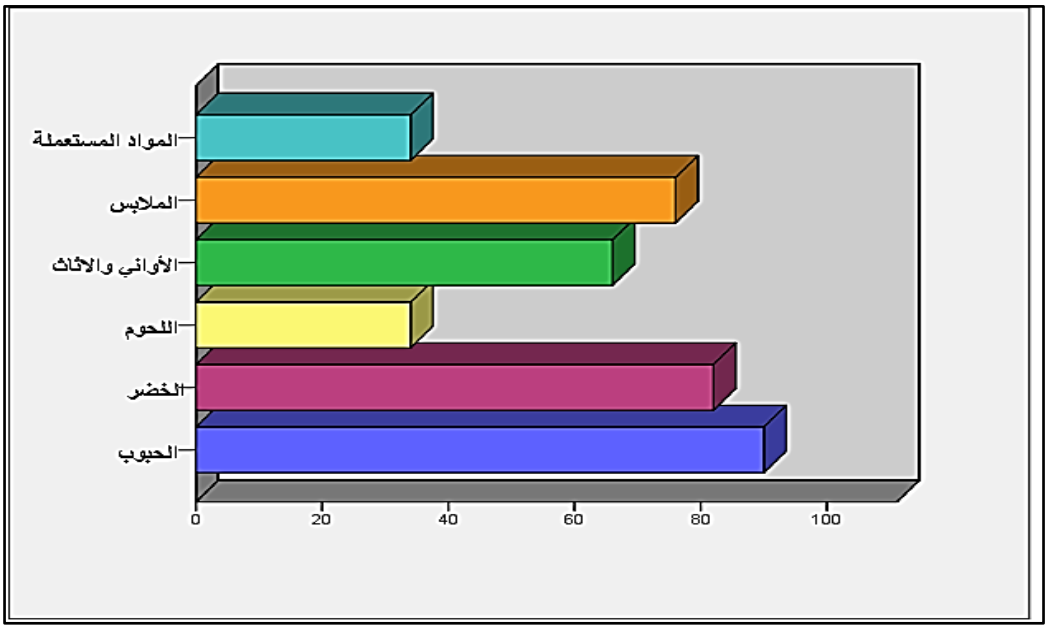

المصدر: البحث الميداني (2018- 2021)

3.1.2. بنية السوق الأسبوعي : فضاء مؤثث لمتطلبات الو افدين

يعتبر السوق الأسبوعي لمدينة الفقيه بن صالح، من أكبر الأسواق على الصعيد الجهوي، إن على مستوى المساحة والتي تقدر ب تسعة عشر هكتارا[8]، أو من حيث قدرته الاقتصادية والتجارية، ويمكن القول أنه الأول على صعيد جهة بني ملال خنيفرة9. بعد تراجع قيمة مداخيل السوق الأسبوعي لمدينة بني ملال(الذي ينعقد كل يوم الثلاثاء). بسبب نقله من وسط المدينة إلى الخارج بجوار الحي الصناعي، وهو ما أدى إلى تراجع عدد باعته والوافدين عليه، الأمر الذي جعل سوق مدينة الفقيه بن صالح يستفيد من هذه الوضعية، إذ تحول إليه عدد كبير من الباعة، وهو ما جعله يحتل الصدارة محليا، وجهويا على حد تعبير مدير مصلحة الموارد المالية كما سبق الذكر. إضافة إلى التنظيم والتقسيم الذي يعرفه هذا السوق، وإلى الرواج الذي يخلقه يوم انعقاده. ينقسم السوق الاسبوعي للمدينة، إلى إحدى عشرة مرفقا أو رحبة أساسية، موزعة مثلما هو ظاهر في الشكل رقم 1 والخريطة رقم: 2

8 مدير الموارد المالية بالجماعة الحضرية لمدينة الفقيه بن صالح.

9 جاء هذا الترتيب وفق تصريح مدير الموارد المالية بالجماعة الحضرية.

الشكل رقم: 1 مرافق السوق الأسبوعي بمدينة الفقيه بن صالح

المصدر: البحث الميداني 2018_2021

الخريطة رقم: 2 توزيع رحب السوق الأسبوعي بمدينة الفقيه بن صالح

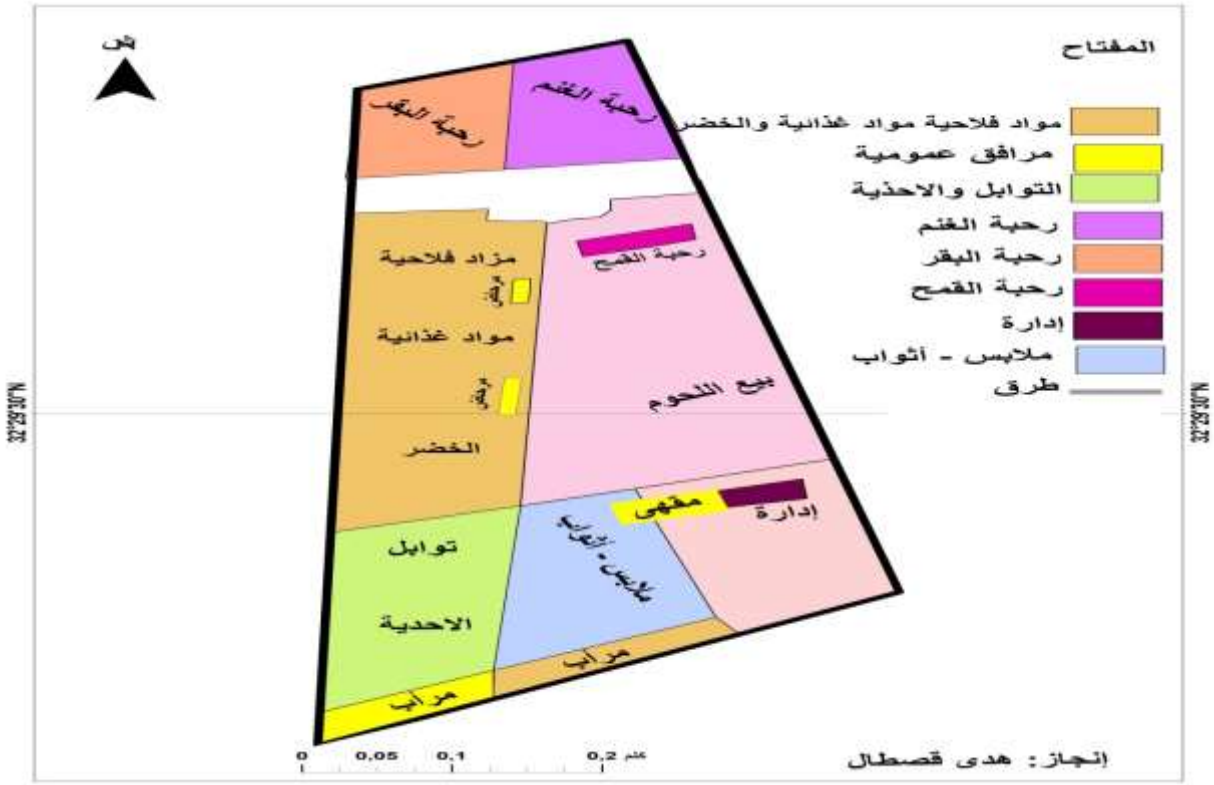

المصدر: التصميم الهندسي للسوق الأسبوعي بمدينة الفقيه بن صالح بتصرف

إن وجود هاته الرحبات،(مرفق الخضر والفواكه، مرفق مواد العلف، مرفق كيل الحبوب والقطاني، مرفق الميزان، مرفق بيع البهائم والمواشي، مرفق بيع الزيتون الموسمي، مرفق الجوطية الموسمية، مرفق السيارات والشاحنات مرفق الميزان، مرفق بيع اللحوم والدواجن، مرفق الجلد والصوف) لها دليل واضح على مدى الدور الذي يلعبه السوق في حياة سكان المدينة، ومختلف الوافدين عليه من خارجها. من مظاهر هذه القوة مثلا رحبة البهائم، إذ تعرض فيها مختلف أنواع البهائم والمواشي بما في ذلك الجمال والخيول، ناهيك على أهمية أعداد رؤوس الأبقار التي تعرض أسبوعيا، والتي تحكمها أساسا طبيعة المنطقة الفلاحية، ووجود وحدتين لتحويل الحليب ومشتقاته. (جبال وسنطرال)

إن تعدد الرحبات وكبر حجم السوق مثلما أسلفنا، يجعلنا نستخلص أهمية أعداد الباعة وعدد الوافدين عليه، وهذا ما يقف أمام تحديد رقم مضبوط. علما أن الظاهرة تختلف أهميتها من أسبوع إلى آخر، ومن شهر أو فصل إلى آخر، ومع ذلك وبناء على الكثافة السكانية التي قدرناها من خلال الزيارات الميدانية المتتالية، والجولات والمقابلات التي قمنا بها، يمكن القول أن السوق الأسبوعي يفد إليه أكثر من ستين ألف متبضع، وحوالي خمسة عشر ألف بائع، ويعرف توافدا وتدفقا كبيرين للسكان والبضائع[10].

يتضح مما سبق، أن هذا الوضع الاقتصادي المتميز لمدينة الفقيه بن صالح، هو الذي جعلها مدينة ذات نفوذ وصيت وطني، ودولي، بالنظر إلى الدور الذي باتت تلعبه في اقتصاد ساكنة عدد من المناطق القريبة، والبعيدة.

بيبليوغرافيا

- Mohammed Refass, L'organisation Urbaine de la Péninsule Tingitane, Université Mohammed V publications de la Faculté des lettres et des Sciences Humaines-Rabat Série : Thèses et M mémoires- N°27.1996.

-Mohamed Boulisfane, « les relations Agriculture-Industrie dans les grands Périmètres D'irrigation au Maroc » L'évolution des Rapports Villes_ Campagnes au Maghreb, Université des Lettres et des Sciences Humaines Rabat, série : Colloques et Séminaires N° 10 ,1988.

عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار صادر الطبعة الأولى 2000.

-Bachir Hamdouch , Abdallah Berrada et Autres, Migration Internationale au Maroc une enquête sur ses caractères et ses effets en milieu urbain, Université du Québec a Montréal.1981.

-M'hammed Dryef ,Urbanisation et Droit de L'urbanisme au Maroc N R S éditions la Porte ,1993.

-Kayser Bernard J.F Troin, Les Souks Marocains, marchés ruraux Organisation de L'espace dans la moitié nord du Maroc, année1978.

-Etude D'impact Environnent et Spatial de Ville Nouvelle de zenata2014.

[10] Etude D'impact Environnent et Spatial de Ville Nouvelle de zenata2014.

ISSN 2569-734X

إضاءات حول مشاريع إصلاح التعليم المغربي قبل عهد الحماية.

الدكتور مولاي الحبيب صبري العلوي / المعهد العالي للمهن التمريضية وتقنيات الصحة القنيطرة (**moulaylahbib6@gmail.com**)

ملخص البحث

يستمد هذا الموضوع أهميته من القيمة التاريخية والعلمية للبحث فيه، فتناول موضوع إصلاح التعليم بالمغرب خلال فترة قبل الحماية، ليس تكرار ما قيل فقط، بل خدمة للنقاش الدائر حاليا حول قضايانا التعليمية المعاصرة والراهنة، وذلك من خلال التعرف على النظم التعليمية التي تبناها المغاربة خلال هذه الفترة التاريخية ومحاولة الإحاطة بالملابسات التي فرضت كل إصلاح تعليمي.

كلمات مفتاحية : الاصلاح – التعليم –المغرب – فترة قبل الحماية -

Abstract:

This topic derives its importance from the historical and scientific value of its research, as it dealt with the issue of education reform in Morocco during the period before the protectorate. This is not just a repetition of what was said, but rather a service to the current discussion about our contemporary and current educational issues. This is done by identifying the educational systems that Moroccans adopted during this historical period and trying to understand the circumstances that imposed every educational reform.

Keywords: reform - education - Morocco - period before protection

مقدمة

يعد التعليم أحد اللبنات الأساسية لبناء الإنسان، فهو وسيلة لتثقيف وتنمية إدراك الفرد، والتعليم هو القلب النابض للمجتمع والضامن لتطوره وتماسكه. يعتبر المغرب كغيره من دول العالم لم يكن استثناء وظل يتخبط منذ حصوله على الاستقلال في قضايا إصلاح المنظومة التربوية، حيث قام بعدة تجارب وقطع مجموعة من المراحل، بدء باعتماد المبادئ الكبرى للنظام التعليمي المغربي، التعريب والتوحيد والتعميم والمغربة، لكنها لم تحقق ما كان مسطرا لها، مما حتم القيام بإصلاح شامل للمنظومة التعليمية.

يهدف هذا العمل إلى التنقيب في جذور الإصلاحات والمشاريع التعليمية بالمغرب قبل الحماية، كما يحاول هذا المقال إيجاد الخيط الرابط بين مختلف محطات الإصلاح التعليمي بالمغرب قبل الحماية وأهم محدداته وتجلياته.

يعالج هذا البحث إشكالية كبرى ترتبط أساسا بحالة الجمود التي تعرفها منظومتنا التعليمية رغم دينامية الإصلاحات التي شملتها عبر تاريخ المغرب، وهو ما يدفعنا للتساؤل عن جدوى هذه الإصلاحات ومدى تأثيرها على المنظومة التعليمية وقدرتها على التغيير.

لم يكن الإصلاح التعليمي الحالي وليد اللحظة، بل له جذو+ر تاريخية، فكل دولة تعاقبت على حكم المغرب اهتمت بقضية التعليم وعملت جاهدة على إصلاحه، بداية بالأدارسة وصولا للدولة العلوية، وقد كان النظام التعليمي بالمغرب يقوم على الدين الإسلام++ي بالأساس، بمستوياته الثلاث، وقد عمل مجموعة من السلاطين جاهدين لإصلاح بنية التعليم ال+تقليدي بالمغرب، كمبادرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومبادرة السلطان مولاي الحسن ال+أول وغيرهم، لكن هذه المبادرات تقبر بوفاة أصحابها.

1. تحديد دلالي واصطلاحي لمفهوم الإصلاح:

أ. التحديد الدلالي والاصطلاحي لمفهوم الإصلاح

يشتق مصطلح الإصلاح من فعل " أصلح"، الذي يدل تارة على معنى إجراء الصلح أو عقد هدنة، ويدل تارة عل+ى فعل الخير أو العمل الصالح، والإصلاح في الفكر الإسلامي هو العودة إلى الإسلام الأصيل استنادا إلى المبدأ الأسمى وهو العودة إلى الينابيع وإلى الأصول[11] ، ويكتسي مفهوم الإصلاح دلالة معرفيةلوحمولة تفسيرية قد لا تضاهيه مفاهيم أخرى، فلا مغالاة إذا تم ربطها ببداية خلق الإنسان الذيلظل يسعى دائما للتغيير نحو الأفضل، كما ارتبط مفهوم الإصلاح بزخم من المعاني اللغوية التي تداولها الناس في أحاديثهم وبحوثهم كاليقظة والنهضة والتغيير والتجديد والتحديث والحداثة، ويعرف الباحث العربي اسليماني الإصلاح بأنه " مجموع التغييرات التي يتم إدخالها على نظام ما، ليصبح قادرا على الاستجابة لمتطلبات المجتمع، وقد ارتبط مفهوم الإصلاح بالأدبيات السياسية والدستورية والاقتصادية أكثر من ارتباطه بالتعليم"[12].

وقد بدأ الإصلاح في الوعي العربي الحديث فكرة، ثم ما فتئ أن تحول إلى مشروع فكري كامل، بدأ كفكرة لدى الن+خب الثقافية من معاينة المقدار الهائل من وقائع التحول الذي طرأ على العالم المحيط نتيجة التصاعد الظافر للمدنية الأوروبية الحديثة، وهناك نماذج عديدة للإصلاح كالتي قادتها النخب السياسية في مصر(محمد علي باشا) وفي تونس(أحمد الباي) وفي مغرب السلطانيين المولى عبدالرحمان ومحمد الرابع[13].

ب. شروط الإصلاح

تتعدد شروط الإصلاح بتعدد مجالات استعماله لكننا سنتوقف عن أهم شروط إصلاح التعليم:

---

(11)- سيمو بهيجة، الإصلاحات العسكرية بالمغرب (1844-1912)،الرباط، المطبعة الملكية، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري،2000، ص25.

(12)-اسليماني العربي، المعين في التربية، الجزء الأول، ط10، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2018، ص20.

(13)- بلقزيز عبد الإله، « في الإصلاح وراهنيته » المناهل، العدد98، دار المناهل، الرباط، يناير فبراير مارس 2020، صص349-350. ص350 .

- شرط النسقية

يجب على الإصلاحات التعليمية أن تكون ذات بعد نسقي تحصل في أزمة القطائع الكبرى التي تعرفها بنيات المجتمع، وتهم هذه الإصلاحات البلدان النامية التي تعاني فيها النظم التعليمية من اختلالات بنيوية في مناهجها والتحصيل الدراسي بها وتكوين المدرسين والبنيات التحتية وقدرة الاقتصاد لديها على تحقيق الاندماج الاجتماعي والثقافي، ويقول المكي المروني " أن نجاح الإصلاح التعليمي يتوقف على موضعته في إطار مشروع مجتمعي عام، يأخذ بالاعتبار المكونات الأساسية للمجتمع وطموحاته وتكمن ضرورة هذا المشروع في اندماج النظام التعليمي في النظام الاجتماعي"[14].

- التشارك والتوافق

حصول التوافق والتراضي من أهم شروط الإصلاح بين قوى المجتمع من أحزاب ونقابات وسلطة، لذلك يرى الدكتور محمد جسوس أن " صلب الأزمة التعليمية هو غياب مشروع مجتمعي مستقبلي يعتمد الوفاق والتراضي بين مختلف مكونات المجتمع المغربي "[15]، كما أن أزمة التعليم معناها أزمة توافقنا وقدرتنا على التوافق حول المستقبل المنشود، وسنقف على نقطة التوافق في حديثنا عن الإصلاحات التعليمية بمغرب الاستقلال.

- شرط الحوار والتواصل

إن الحوار بين الأطراف المنخرطة في سيرورة الإصلاح التربوي يقودها لأرضية مشتركة للتوافق أما التواصل الواسع مع الفئات المجتمعية والتعليمية التي يستهدفها الإصلاح، فالغرض منه تعميق وعيها بفضائله ومحاسنه[16]، ولذا فشرط الحوار ضروري في عملية الإصلاح بشكل عام، والإصلاح التعليمي على وجه الخصوص، ولن يكون هناك حوار بدون تواصل، فالتواصل بين مختلف الفاعلين التربويين هو من يمهد الأرضية المناسبة للحوار الجاد والفعال الذي ينتج عنه إصلاح حقيقي وذو جدوى.

ج. معنى ومبنى في النظام التعليمي

يذهب أكثر علماء المعاجم إلى القول: بأن لفظة " النظام" تعني التأليف والاتساق والجمع بين شيئين، كما تعني لفظة النظام أيضا الطريقة والسيرة، ومن ذلك قولهم: ليس لأمره نظام، أي لا تستقيم طريقته [17]، وأما النظام بالمعنى الاصطلاحي، فله عدة تعريفات ولعل أهمها تعريف "بكلي" (buckly) الذي يقول: إن النظام عبارة عن " كل مركب من العناصر والمكونات المرتبطة بصفة مباشرة أو غير مباشرة بشبكة من العلاقات السببية، بحيث يرتبط كل مكون من المكونات الأخرى بطريقة ثابتة، ولفترة زمنية محددة [18]، أما التعليم فيعرفه بعض علماء التربية بأنه " صناعة تهدف إلى إنتاج أعداد من القوى البشرية التي تعمل في قطاع الحياة المختلفة، ومجالات الإنتاج المتعددة " [19] .

---

(14)- Merrouni (Mekki), le problème de la reforme dans le système éducatif marocain, rabat, édition okad, ,1993, p101 .

(15)- فاوبار محمد، مرجع سابق، ص 91.

6- نفسه، ص 93.

(17)- سانو قطب مصطفى، « النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا قراءة في البديل الحضاري » مجلة الأمة، السنة 18، العدد 63،2008، ص43.

(18)- سانو قطب، مرجع سابق، ص44.

(19)- نفسه، ص44.

د. النظام **التعليمي** الوافد (الاستعماري)

إن النظام التعليمي الوافد هو عبارة عن نظام تعليمي يصدر عن مرجعية وافدة، غريبة عن الواقع الذي يطبق فيه، ويستهدف تحقيق أهداف غامضة، ولا يتلاءم في واقع أمره مع ضروريات المجتمع وحاجاته، ويتسم بالتستر المتعمد على مرجعيته وأهدافه، كما يتجاهل تركيبة المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية [20]، وتشير المصادر إلى أنه لا يوجد نظام تعليمي رسمي بالمغرب قبل الحماية الفرنسية باستثناء جامع القرويين المتخصص في العلوم الإسلامية[21].

2. تاريخ الإصلاحات التعليمية بالمغرب

تميز تاريخ المغرب بعدة محطات إصلاحية متتالية، فكل دولة تعاقبت على حكم المغرب تركت بصمتها على النظام التعليمي، لما له من أهمية فهو يتقاطع مع مراكز القوة والنفوذ لحشد الهمم وكسب الأنصار والأتباع، كما يوظف لإبعاد الخصوم وتثبيت إيديولوجية السلطة، ولا يمكن فهم تاريخ المغرب السياسي أو الحضاري دون فهم الدور الذي لعبه التعليم الديني، فبواسطته تم إسلام سكان المغرب تدريجيا وتمت المحافظة على هويته الدينية طيلة العصر الوسيط، واستمر هذا النوع من التعليم مع بعض التغيرات إلى غاية الفترة المعاصرة.

أ. التعليم بالمغرب خلال الفترة الوسيطية

- تشكل المدرسة المغربية في عهد الأدارسة

يصعب تأكيد أو نفي وجود مدرسة مغربية قبل الفتح الإسلامي، لكن هناك إرهاصات أشار إليها إبراهيم حركات حيث ذكر أن الأدارسة لم يكونوا ذو ثروة لتشجيع الحركة الفكرية والعلمية إلى حدج يكثر معه الإنتاج وتنتشر معه حركة التأليف [22]، إلا أن الوضع تغير مع استقرار الدولة حيث برز فقهاء وعلماء مغاربة لامعين خاصة بفاس وتم بناء جامع القرويين وازدهرت حركة العلوم الدينية.

- **الوضعية** التعليمية **في العهد المرابطي.**

قامت دولة المرابطين على أساس ديني وظهرت حركة إصلاحية تنطلق من الدين لتشمل مجالات أخرى، وجعلوا من الرباطات مكانا لتدريس شتى أنواع العلوم الدينية، كما قام المرابطون ببناء عدة جوامع، التي احتضنت حلقات العلوم كمسجد علي بن يوسف بمراكش ومسجد دار الحجر، وتنسب أول مدرسة نظامية بالمغرب للمرابطين، إذ يقول في هذا الصدد الباحث عبد الله علي علام " يوسف بن تاشفين أسس مدرسة الصبارين وعرفت بالقرن الثاني عشر بمدرسة بومدين" [23]، كما لاحظ الحسن الوزان في عصره بمدينة (تيشيت) الصنهاجية أن النساء هن اللواتي يتعلمن ويقمن بدور معلمات المدارس للبنات والبنين [24]، والتعليم في العصر المرابطي كان مقتصرا على تعليم أركان الإسلام من صلاة وزكاة ومعرفة الحلال والحرام.

- التعليم بالعهد **الموحدي**

---

(20)- نفسه، ص49.

(21) - الكروي محمود صالح، التجربة البرلمانية في المغرب(1963-1997)، دار الكتب ببغداد، مطبعة البريق، ط1، 2010، ص 17.

- (22)حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1994، ص128.

- (23)علام عبدالله، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المومن بن علي، مطبعة دار المعارف، القاهرة،1971، ص 292.

- (24)أسكان الحسين، تاريخ التعليم خلال العصر الوسيط (1-9 هـ/ 7-15 م)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء، 2004، ص 36.

ابتداء من عصر الموحدين ظهر شكل رسمي من أشكال التعليم، الذي خضع له الآلاف من صغار الطلبة الموحدين، ويذكر ابن فضل العمري أن مقر المدرسة الموحدية التي بمراكش " مكان جليل به خزائن الكتب، وفيه كان خلفاء بني عبد المومن يجالسون العلماء [25]، (العمري، مسالك الأبصار، ص 162)، والحق أن عصر الموحدين يمثل الذروة في النشاط الفكري ثم إن موارد الدولة الضخمة مكنتها من أن تغدق بسخاء على طلاب العلم، فبنت لهم المدارس والمعاهد التي كان من بينها معاهد للتخصص، وفي نفس السياق يشير المنوني " إلا أن الموحدين قد أسسوا عددا من المدارس في مراكش وفاس وطنجة وسلا واستقدموا ابن رشد الفيلسوف ليستعينوا به على تنظيمها وقد كانوا حريصين على انتخاب المدرسين للتدريس بهذه المراكز [26]، وهكذا كانت هيكلة النظام التعليمي على عهد الموحدين تتكون من تعليم أساسي هو عبارة عن كتاتيب قرآنية ومساجد متوسطة للتأهيل العلمي وجامعات كبرى مثل القرويين ومدارس متخصصة كالمدرسة البحرية والملكية.

- حركة التعليم في العهد المريني

تميز العهد المريني بحركة في تأسيس المدارس العلمية، وتأسست أول مدرسة نظامية خاضعة لشروط معمارية ونظام للتسيير، وأنها ليست مؤسسة ارتجالية [27]، وهو ما يؤكده ابن مرزوق متحدثا عن السلطان ابي يوسف " وهو الذي بنى المدرسة بفاس بعدوة القرويين منها، ولم يكن لأهل المغرب عهد ولا معرفة بوضعها فيما علمت" [28]، وقد انتشرت المدارس في كبريات المدن كفاس وسبتة ومراكش ومكناسة وقد أنفق السلاطين على بناء المدارس بسخاء وجعل بعضها تحفا معمارية كما حبسوا عليها الأحباس ما سمح بأن تصبح مؤسسات رسمية ذات مكانة متميزة في الحركة التعليمية، وكانت الدراسة منظمة تنظيما دقيقا، ومواد الدراسة تشمل الفقه والنحو والقراءات وثلاثتها كانت لها الصدارة في الدراسات المغربية، تضاف إليها العلوم اللسانية وبعض فروع الفلسفة ومبادئ علوم العدد والطب والهندسة والمنطق [29]، وكان تشجيع الدولة للحركة التعليمية يتخذ صورا مختلفة من بناء المدارس إلى تزويد المساجد بالكتب العلمية وايواء الطلبة وضمان معاش الأساتذة.

ب. التعليم بالمغرب الحديث

- التعليم بالعهد الوطاسي

كانت مقاليد السلطة الثقافية والتعليمية في العهد الوطاسي بيد شيوخ الزوايا، أما الدولة فلم يكن لها نشاط ملموس في التعليم وبناء المدارس، وعرفت منطقة سوس حركة تعليمية تمثلت في بناء المدارس على يد عدد من العلماء والمحسنين كمدرسة آقا التي كان من علمائها محمد بن المبارك [30]، وظل التعليم في الكتاتيب القرآنية والمدارس شبيها بما كان في الماضي، حيث يحفظ التلاميذ القرآن ثم رسالة ابي زيد القيرواني ثم ألفية ابن مالك ثم يتفرغ الطلبة لدراسة علوم الفقه،

(25)- القبلي محمد (تنسيق)، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، ط1، الرباط، 2011، ص 263.

(26)- المنوني محمد، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، ط2، الرباط، 1977، ص 56.

(27)- بلكبير محمد، المنهاج التربوي بالمدرسة المغربية زمن الحماية: الأسس والوظائف، دار النشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 2005، ص 73.

(28)- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب الرباط، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص239.

(29)- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 256.

(30) - حركات ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1998، ص221.

وكان بفاس حوالي مائتي كتاب (مسيد) فضلا عن الجوامع والمساجد، وقد استمرت العناية بشؤون المدارس حتى وإن لم يخلد الوطاسيين مآثر في بناء المدارس الجديدة، ومع ذلك تقهقرت حركة التعليم في عهدهم.[31]

- التعليم بمغرب السعديين

أهم الإصلاحات التعليمية في العهد السعدي قام بها السلطان أحمد المنصور الذهبي متأثرا بما اطلع عليه من الدولة العثمانية، واصطبغ العصر على مستوى التعليم بطابعين: طابع الشمول من حيث التوزيع الجغرافي حيث أصبح التعليم أقرب ما يكون إلى الديمقراطية، حيث عم عدة مدن وقرى في شتى جهات البلاد، وتكاد لا تخلو حاضرة أو بادية من الكتاتيب القرآنية، حيث يتعلم الأطفال فيما بين السنتين الرابعة و العاشرة من أعمارهم مبادئ القراءة والكتابة ويحفظون القرآن، ثم طابع التنوع من حيث المادة التي يدرسها المتعلمون [32]، ولم يستكثر السعديين من المدارس لسببين: أولا وفرة المدارس المرينية، ثم إن عدد من الخواص في مراكز كثيرة أقبلوا على بناء المدارس لأغراض تثقيفية كمدرسة عقيلة من أبناء آل عمرو [33]، وقد تنوعت المواد الدراسية وتعددت على عهد السعديين ولو أنها ظلت في نطاق العلوم المتعارف عليها، أهمها العلوم الشرعية بأصنافها من تفسير وقرآن وحديث وأصول الفقه ولغة، ثم العلوم البحثية كالرياضيات والهندسة، وعلوم تجريبية كالطب والصيدلة، ولم تختلف طرق التدريس اختلافا جوهريا عما كان في العصور السابقة إلا بعض الاجتهادات لبعض العلماء ورجال التدريس استوحوها من تجاربهم الخاصة [34].

ج. الوضعية التعليمية خلال الفترة المعاصرة

انخرط العلويون في جهود الإصلاح وتحديث الدولة في ظل التربص الأجنبي و التأثر بالدولة العثمانية، ويعتبر السلطان سيدي محمد بن عبد الله مهندس المغرب الحديث [35]، ومهندس الإصلاحات التعليمية من جهة ثانية، حيث كان سيدي محمد بن عبد الله أول من وضع بشكل رسمي برنامجا دراسيا لجامعة القرويين يحدد فيه ما يدرس من العلوم، كما أنشئت المطبعة الحجرية التي ساعدت كثيرا على نشر الكتب في مختلف العلوم في عصر المولى عبد الرحمان، ولا ننسى جهود السلطان مولاي الحسن في إصلاح الوضع التعليمي خاصة فيما يتعلق بالتعليم العسكري، وقد اشتهر بإرسال البعثات التعليمية إلى مختلف بقاع العالم، وعلى نفس النهج سار من بعده وحاولوا إصلاح ما يمكن إصلاحه، لكن الضغط الأجنبي كان أكبر وأقوى من رغبة هؤلاء السلاطين، وسنأتي لذكر أهم المشاريع الإصلاحية التي أقدم عليها سلاطين الدولة المغربية خلال الفترة المعاصرة.

3. النظام التعليمي بالمغرب قبل الحماية

أ. النظام التعليمي التقليدي

(31)- حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص 224.

(32)- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، منشورات دار المغارب، سلسلة التاريخ رقم: 2،1976 ، ص81.

(33)- حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص 392.

(34)- حجي محمد، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص 93.

(35)- حركات إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية خلال قرنين ونصف قبل الحماية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1994، ص15.

ظل التعليم بالمغرب طيلة مئات السنين تعليما دينيا، فكل شيء في المجتمع المغربي يرتكز على الدين الإسلامي قضاء ومالية و إدارة [36]، وظل التعليم محافظا على تقسيم ثلاثي لمستوياته:

- التعليم الابتدائي (المسيد):

كان الكُتَّاب أو المسيد قاعدته الأولى، ففي كل دوار يوجد كُتَّاب محلي يشرف عليه الفقيه وهو شخص من حفظة القرآن وكان يسمى لدى القبائل البربرية بالطالب، ولم يكن دوره تعليميا فقط بل كان مركزا للتربية [37]، ففي فاس وحدها كان هناك 135 مسيدا في مطلع القرن العشرين، وعدد التلاميذ بلغ 150 000 من ساكنة يبلغ عدد ساكنتها أربعة ملايين و 800 000 في سن التمدرس [38]، وقد شكل القرآن المادة الرئيسية في المسيد، كما يعد (الكتاب) أيضا مكانا للتنشئة وتعلم مبادئ الأخلاق و المروءة، وقد كان حكرا على الذكور فقط خصوصا في الطور الثانوي والعالي أما في الابتدائي فكان هناك 15مسيدا للبنات في فاس [39]، ونفس الأمر في مراكش حيث كان التعليم الابتدائي يلقى في الكتاتيب القرآنية وبعض المساجد، وكان التلميذ يحفظ القرآن حيث يكتبه في اللوح الخشبي ويحفظه عن ظهر قلب، ويقوم بالاستظهار أمام الفقيه [40]، والقليل فقط من كان يتابع دراسته الثانوية، فأغلبية الأطفال يغادرون الكتاب عن عمر 10 أو12 سنة، إلا الذين تعلموا نصوص القرآن فيتابعون دراستهم الثانوية بالجوامع أو الزوايا.[41]

- التعليم الثانوي:

كان يتم بالمدارس العلمية المنتشرة في بعض المدن الكبرى وبعض البوادي كمنطقة سوس وقبائل جبالة، وكانت تؤسس على يد القبيلة أو على يد فقيه، كما تعطى دروس ثانوية في معظم الحواضر في شكل محاضرات تلقى من أحد العلماء، وكان أبناء العائلات الميسورة يتابعون دراستهم الثانوية في منازلهم على يد مدرسين خصوصيين [42].

- التعليم العالي:

كان التعليم العالي بالمغرب قبل الحماية يلقن بجامعة القرويين وجامعة ابن يوسف بمراكش إضافة إلى المدارس الأصلية وبعض المراكز الحضرية كالرباط وسلا وتطوان [43]، ولم يبق من المدارس الأصلية التسع إلا خمس تواصل عملها إلى حدود 1911، أما المواد التي كانت تدرس بالمؤسسات التعليمية وفي مقدمتها جامعة القرويين، فقد بقيت في الغالب ذات طابع ديني محض، محصورة في دائرة العلوم الشرعية حيث كان الاهتمام منصبا لدراسة الفقه و الحديث والأصول والتفسير

---

(36)- ديمس جون، حركة المدارس الحرة بالمغرب (1912-1970)، ترجمة السعيد المعتصم، ط1، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1991، ص 16.

(37)- غزالي محمد، الإصلاحات التعليمية بالمغرب: دراسة على مستوى الوظائف والمكونات(1956-2001)، جامعة الحسن الأول، دار الأحمدية، ط1،2014، ص 48.

(38)- ديمس جون، مرجع سابق، ص16.

(39)- نفسه، ص 19.

(40)- Boulahcen ali, Sociologie de l'éducation, Edition Afrique orient, Casablanca, 2002 , p13 .

(41)- Ibid , p 14.

(42)- ديمس جون، مرجع سابق، ص20.

(43)- غزالي محمد، مرجع سابق، ص 50.

واللغة.[44] وقد صنف (بيير يتي) لائحة العلوم التي كانت تدرس بالقرويين في السنوات الأولى من القرن العشرين [45] ، وهي كالتالي:

- الحديث وكان يدرس كل يوم وكان المؤلف المستعمل هو صحيح البخاري.
- الفقه وكان يسمى بالبحر لأنه لا حدود له، ومن أهم مؤلفاته مختصر خليل ورسالة ابي زيد القيرواني.
- النحو يلقن في المساء من طرف أساتذة مبتدئين حسب كتابين: الآجرومية وألفية ابن مالك.
- الأدب عبر دراسة لقصيدتي البردة والمهمزية مع شروحهما.
- أصول الفقه وكانت تدرس بالمساء ولذلك هي مادة ثانوية.
- المنطق وكان قليل الرواج بفاس.
- البيان والعروض والبديع وكانت تلن من أساتذة أجلاء.
- الحساب كان يدرس خارج الجامعة في أحد مساجد حي البليدة، وهو جامع الارنجة.

وقد كانت تلقن علوم أخرى لكنها اضمحلت شيئا فشيئا كالتنجيم وعلم الكلام والتاريخ الذي ربما لم يدرس قط بفاس، ولم تكن جامعة القرويين منظمة على غرار الجامعات الأوروبية وكانت تحت مراقبة قاضي الجماعة بفاس وهو الذي كان يعين الأساتذة ويعرضهم على موافقة المخزن [46]، غير أن التعليم العالي في العشرينات من القرن العشرين عرف انبعاثا بتعديل طريقة التدريس به.

ب. أصناف المدارس قبل الحماية:

- المدارس الأوروبية:

في ظل الحمايات القنصلية لرعايا مغاربة وتواجد مبعوثي وقناصل دول أجنبية، كانت الحاجة لتعليم أبنائهم وفق منهاج البلد الأم، وقد أحصى الدكتور محمد عابد الجابري هذه المدارس الخاصة بالجاليات سنة 1908 وحددها في 13مدرسة إسبانية و أربعة انجليزية، إلا أن أهم المدارس الأوروبية كانت المدارس الفرنسية التي تشرف عليها الرابطة الفرنسية على نوعين منها: العربية(مدرسة طنجة 1889

، مدرسة العرائش 1905، مدرسة وجدة 1907) والمدارس الفرنسية (مدرسة روبيني بطنجة 1888، ومدرسة بيري بطنجة كذلك 1904، ومدرسة بترمان بالبيضاء 1907) [47]، المدارس الأولى تلقن أبناء المغاربة تعليما فرنسيا أوليا مع بعض المواد العربية، والمدارس التي من النوع الثاني كانت خاصة بأبناء الجالية الفرنسية، وكان التعليم فيها مماثلا للذي كان موجودا

(44) - حيمر جمال، البعثات التعليمية في عهد السلطان مولاي الحسن الأول، سلسلة شرفات، العدد62، نوفمبر 2015، الرباط، ص 67.

(45) - لوطورنو روجي، فاس قبل الحماية، الجزء الثاني، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1992، صص -655 654.

(46)- لوطورنو روجي، مرجع سابق، ص656.

(47) - الجابري محمد عابد، أضواء على مشكل التعليم بالمغرب، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1973، ص16.

في فرنسا، ثم المدارس الفرنسية العربية وهي نواة التعليم الأهلي زمن الحماية، أما المدارس الفرنسية فهي نواة التعليم الأوروبي الذي كان يشكل أيام الحماية أرقى أنواع التعليم بالمغرب وهو خاص بالأوروبيين [48] .

- المدارس الإسرائيلية العالمية:

ابتدأت هذه المدارس سنة 1862، ويرجع تأسيسها إلى ظهير "الحرية لليهود" [49]، أصدره السلطان محمد بن عبد الرحمان سنة 1864، وقد ورد في هذا الظهير: " نأمر من يقف على كتابنا هذا ... من سائر خدامنا وعمالنا القائمين بوظائف أعمالنا، أن يعاملوا اليهود الذين بسائر إيالتنا بما أوجب الله تعالى من نصب ميزان الحق، والتسوية بينهم وبين غيرهم في الأحكام، حتى لا يلحق أحد منهم مثقال ذرة من الظلم، ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام" [50]، وكان من نتائج هذا الظهير قيام اليهود المغاربة بتوثيق روابطهم مع الرابطة الإسرائيلية العالمية والقيام بمجموعة من الأنشطة من جملتها انشاء مدارس عصرية بمساعدة الرابطة المذكورة وتحت رقابتها، من جملة المدارس اليهودية مدرسة بالعرائش أسست عام 1878، وأخرى بفاس عام 1882، .وبأسفي 1901، وبالرباط و البيضاء عام 1903، وكان التعليم بهذه المدارس عال المستوى وظل فرنسيا من حيث لغة التكوين، كما خصصوا حصصا لتدريس العبرية خاصة بالمدارس التلمودية [51].

ج. تعليم الفتاة قبل الحماية

تعد قضية تعليم الفتاة بالمغرب من القضايا المعقدة، لكون تعليم الفتاة كان محط معارضة من قبل بعض العلماء من جهة، ومن قبل بعض الأسر محدودة الثقافة من جهة ثانية، لذا نظر إليه أغلب المغاربة كبدعة، واختلفت آراء الفقهاء بصددها، وقد كان التعليم السائد بالمغرب إلى حدود مرحلة الحماية، تعليما دينيا يلقن في الكتاتيب القرآنية التي كانت موجودة في مختلف أحياء وأزقة المدن المغربية، غير أنه لم يخصص للبنات منها إلا (كُتَّاب) واحد، كان بقصر المدرسة بمكناس حيث تسكن العائلات المخزنية.[52]

وقد كانت الفتاة المغربية متخوفة من الذهاب للمدرسة، لذا ظلت منعزلة في المنزل حسب اعتقادها، لهذا يقول الباحث تسوريكوف (tsourikoff) " أن تعليم الفتيات المسلمات كان غير موجود بمغرب ما قبل الحماية" [53]، باستثناء فتيات مثقفات ينتمون لأسر الأعيان، في شكل مدارس قرآنية للفتيات الصغيرات، ويعد القرآن أساس التعليم بالمغرب، وكانت تسير هذه المدرسة القرآنية فقيهة (**fqiha**) تحفظ القرآن عن ظهر قلب، وكانت هذه الفقيهة تذهب أحيانا لمنازل الأسر

---

(48) - نفسه، ص16.

(49)- قصة هذا الظهير كما تحكيها المصادر التاريخية هي أن أربعة من اليهود المغاربة اتهموا بتسميم مندوب الحكومة الإسبانية المكلف باستيفاء التعويضات التي فرضتها إسبانيا على المغرب بموجب معاهدة تطوان (1860) ، ولقد طالبت الحكومة الإسبانية بمعاقبة المتهمين، فأعدم اثنين منهم عام 1863، فشكلت هذه الواقعة فرصة للرابطة الإسرائيلية العالمية للقيام بحملة ضد اضطهاد اليهود في المغرب، فأصدر السلطان المولى عبد الرحمان هذا الظهير يوم 5 **فبراير** 1864. انظر: الجابري، ص 15.

(50) - الجابري، أضواء، مرجع سابق، ص 15.

(51) - بلكبير محمد، مرجع سابق، ص 94.

(52) - العرائشي محمد، الثقافة بمدينة مكناس في حاضرها وباديتها، ضمن أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية الكبرى، تنظيم كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، أيام 16-17-18-19 أكتوبر 1988، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ص311.

(53)- Tsourikoff zenaide, l'enseignement des filles en Afrique du nord, Paris, edition pedone, 1933, p103.

الغنية لتقوم بتعليم بناتهم [54]، وهو ما يبين دور الوسط العائلي في الحظوة بالتعليم الذي كان امتيازا تتمتع به الأسر الغنية الذي يملكون المال لاستقدام المعلمات إلى منازلهم.

4. محاولات إصلاح التعليم التقليدي قبل الحماية

أ. مبادرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله

أخذ محمد بن عبد الله(1757-1789) العلوم اللغوية والشرعية عن كبار علماء عصره واشتهر بشغفه بالعلوم وحاول تشجيع دراستها ونشر كتبها، وقد بلغت الثقافة في عهده غاية الازدهار [55] ، وذكرت المصادر الأجنبية أن معرفته كانت مبنية على دراسة اللغة والدين وعلى مبادئ الحساب، هذا وقد أعرب الرحالة البارون شونينغ (**Shoening**) عن أسفه على عقم النظام التعليمي بالمغرب عندما زار هذا البلد والتقى بالسلطان سيدي محمد بن عبدالله، إذ لاحظ أن هذا النظام لم يمكن السلطان من تنمية طاقاته[56]، وبفضل هذه التجربة التي راكمها تكاملت لديه الرؤية الإصلاحية واتضحت معالم مشروعه التجديدي الذي اهتم بمجموعة من المجالات لكنه أولى أهمية قصوى للتعليم وأفرد له مؤلف بعنوان " مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليم الصبيان" وهو تأليف صغير وضعه سنة 1789 ، يمثل دليل عملي يرمي إلى تيسير عمل المعلم في القيام بمهامه التربوية، كما عمم منشور يتوخى تنظيم التعليم بمختلف جوامع مدينة فاس وبجامعة القرويين على الخصوص، كما يسعى إلى ضبط البرامج التعليمية، ويقول في كتابه عن التلميذ" إن ظهرت فيه نجابة القراءة فليتركه يقرأ، وإن لم تكن فيه نجابة في القراءة فها هو قد تعلم أمور دينه (...) فعليه أن يحترف بالحرفة التي كان والده يكتسب بها من تجارة أو صنعة يد أو فلاحة لمعاشه" [57]، كما أنه كان صاحب أول مبادرة رسمية لإصلاح جامعة القرويين في منشور موجه لقاضي فاس الشيخ التاودي ابن سودة، الذي تضمن مجموعة من الأوامر والنواهي وشكل في حد ذاته مقررا دراسيا رسميا غير أنه لم يسفر عن أي تغيير لأنه انتهى مع وفاته [58]، والذي نقتطف من فصله الثالث ما يلي: " أمرنا المدرسين بفاس ألا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره، وكتاب دلائل الخيرات والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كتب الحديث المسانيد والكتب المستخرجة منها، والبخاري ومسلما وغيرهما من الكتب الصحاح، ومن كتب الفقه المدونة، والبيان والتحصيل، ومقدمة ابن رشد والجواهر والرسالة لأبي زيد، ومن أراد أن يدرس مختصر الخليل فبشرح بهرام الكبير والحطاب والمواق، وما عداها من الشروح ينبذ ولا يدرس به.[59]

ب. مشروع السلطان مولاي الحسن الإصلاحي

لقد أدرك السلطان مولاي الحسن (1873-1894) مدى أهمية التعليم في تحديث الجيش، وبما أن البيئة التعليمية تقليدية وغير قادرة على الاستجابة لحاجة الدولة، لجأ السلطان للخارج فقام بإرسال بعثات طلابية إلى مصر وتركيا ومختلف دول أوروبا لتلقي تكوين في مختلف العلوم الحربية والرياضية، وتكلف المخزن بنفقات هذه البعثات لكن نتائجها كانت مخيبة للآمال [60]، وكان السلطان يعقب دوما عن الاقتراحات الأجنبية بالقول: " أن الحكومة مقتنعة بضرورة إدخال التنظيمات

---

(54)- Ibid, p 103.

(55)- الأخضر محمد، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1977، ص 271.

(56)- القبلي محمد، مرجع سابق، ص 429.

(57) - القبلي محمد، مرجع سابق، ص433.

(58)-عمراني محمد، جامعة القرويين والحماية، منشورات الرباط نت، ط1، الرباط،2016 ، ص35.

(59) - عمراني محمد، مرجع سابق، ص 272.

(60)-عمراني، مرجع سابق، ص38.

العصرية للمغرب ولكنها مقتنعة أيضا بأنه يجب أن تكون اليد المتصرفة والمنظمة لهذه الإصلاحات هي اليد المغربية "[61]، ولقد استأثرت المسألة العسكرية بالنصيب الأوفر من المجهود الإصلاحي الفكري بالمغرب في منتصف القرن التاسع عشر، وفي هذا السياق يخبر الكومندار فالوا (**Vallois**) حكومته أن السلطان الحسن الأول عازم على إرسال شبان مغاربة إلى مدينة صيرن (**Sering**) ومدينة لييج (**Liège**) ببلجكا ليتدربوا على صنع الأسلحة [62]، ومن الملاحظ أن أغلب البعثات التي أرسلت إلى أوروبا كانت في الغالب بقصد تحصيل مختلف أنواع العلوم العسكرية.

ج. الإصلاحات التعليمية خلال العهدي العزيزي والحفيظي

أبدى السلطان الشاب المولى عبد العزيز(1878-1943) انفتاحا كبيرا على كل مشروع إصلاحي لكن الظروف الداخلية والخارجية للمغرب لم تسمح بذلك، وقد كانت للسلطان رغبة كبيرة في الإصلاح وفي عذا الصدد يقول المنوني " ولما انتقل العزيز إلى فاس استدعى نائبه الطريس والأمين بناصر وقيل إن الغاية من ذلك أخذ رأي الموظفين السامين في **إجراء** الإصلاحات واقتراض المال من الخارج لتسديدها" [63]، ويشهد المؤرخ السليماني وهو يتحدث عن الإصلاحات الوليدة " وكان السير في ذلك على أحسن حال لو لم يكدر صفو ذلك السير قيام الزرهوني، وقد أكدت كاتبة انجليزية سنة 1901 " أن الدول النصرانية لا تنظر بعين العطف إلى عودة قيام دولة إسلامية ناهضة ولذلك فهي مجمعة على إزعاجه [64]، فلولا التدخل الأجنبي لاستطاع السلطان أن يضمن الاستقرار لبلاده وتوجيهها نحو التقدم والرقي، وفي هذا السياق دعا السلطان المولى عبد العزيز لعقد مجلس الأعيان.[65] بفاس وهكذا بعثت رسائل لمختلف القبائل والمدن تشرح للسكان خطورة الوضع وتأمر القبائل بانتخاب أفراد من كبرائها وأعيانها ممن يثقون بهم ويأتمنونهم وكلاء عليهم على أمور دينهم ومالهم وعرضهم،[66] وقد ورد بهذه الاستدعاءات صيغة موحدة تقول: " وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم: نأمركم أن تعينوا من خيار قبيلتكم... ممن تعتقدون فيه الأمانة والديانة وترضونهم وكلاء عنكم في أقوالكم وأفعالكم وتوجهونهم لحضرتنا الشريفة بقصد المفاوضة في الأمر العارض المذكور" [67]، وبعد اجتماع المجلس اتخذوا القرار النهائي في موضوع المطالب الفرنسية، أولا برفض المقترحات الفرنسية، وثانيا دعوة الدول الموقعة على ميثاق مدريد لبحث الإصلاحات الملائمة لوضع البلاد.

حاول المولى عبد الحفيظ القيام ببعض الإصلاحات في مجال التعليم، فقام بإصدار مشروع قانون التعليم الإجباري وإصلاح المدارس ولكن الحوادث تطورت في غير مصلحة البلاد وحالت دون تطبيق القانون.[68]

د. أبرز المشاريع الإصلاحية قبل الحماية:

- مشروع القائد عبد الله بن سعيد (**1901**)

---

(61)- حيمر جمال، مرجع سابق، ص 47.

(62)- حيمر جمال، مرجع سابق، ص53.

(63) - المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ج2، ط1،1985، ص 139.

(64) - نفسه، ص 141.

(65)- هو مجلس انعقد سنة 1904 بأمر من السلطان مولاي عبد العزيز باستدعاء 40 عضوا من أعيان المدن والقبائل والعلماء والقضاة الذين كونوا ما يشبه البرلمان حيث استعانت بهم الحكومة المغربية لمواجهة مقترحات الإصلاح الفرنسية. (الخديمي علال، المغرب في مواجهة التحديات).

(66) - الخديمي علال، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1851-1947، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 37.

(67)- المنوني، مظاهر يقظة المغرب،ج2، مرجع سابق، ص192.

(68)- بن جلون عبد المجيد، هذه مراكش، مطبعة الرسالة، ط1، القاهرة،1949 ، ص 140.

من أعيان المخزن ولد سنة 1866 بسلا وتوفي سنة 1923، قدم للسلطان عبد العزيز مشروعه الإصلاحي، الذي كان عبارة عن مرافعة ودفاع عن مجتمع أكثر انضباطا، وتعليم متجدد وإدارة أحسن تنظيما ومالية وجهاز قضائي عادل [69]، وقد صنفه في تسع عشرة فصلا، يقول في الفصل الأول" وإحداث مدارس لتعليم مهمات جديدة يتوقف نفوذ النجاح عليها وعلى معرفتها وذلك من الاستعدادات المأمور بها".[70]

- المشروع الدستوري لعلي زنيبر (1907)

ولد بسلا سنة 1844، وكان تاجرا بمدينة فاس وأقام طويلا بمصر وتشبع بالأفكار الحداثية الرائجة في مصر والمشرق، وقد قدم مشروعا من ثلاث وعشرين مادة في ضرورة اختيار نخبة تسند إليها مهمة إعداد برنامج إصلاح شامل مع ضرورة استحضار النموذج الياباني.[71]

- مشروع دستور لسان المغرب(1908)

يعتبر هذا المشروع الأكثر شيوعا وإعدادا في مشاريع الإصلاح التي عرفها المغرب ما قبل الحماية ، صدر نونبر 1908 عن الصحيفة الطنجية (لسان المغرب)، حمل هذا المشروع تطلعات فئات مثقفة مغربية فضلت عدم الإفصاح عن هويتها كما حمل أفكارا حداثية لحركة (تركيا الفتاة) وانتزع تنازلات من المولى عبد الحفيظ، وهو ما أدى لاحتجاب الصحيفة سنة 1909 [72]، وقد كتبت المجلة عن المولى عبد الحفيظ مايلي:" والذي نرجوه منه أولا، وقبل كل شيء هو فتح المدارس ونشر المعارف، وأن يكون التعليم الابتدائي إجباريا و أن يولى ذوي الكفاءة و الاستحقاق و الأهلية [73]، وفي ما يلي مقتطف من نص الرسالة:

أيها الجناب العالي،

إن الله تسامت حكمته وتباركت مشيئته بأن جعلكم اليوم إماما على السدة المغربية أدام الله بنيانها و أيد أركانها(...) ووجه إليك تدبيره السماوي العجيب عيون الرعية، وألقى إليك مقاليد أمورها وأعطاك أزمة قلوبها، فالمغرب ينتظر منك أن ترفعه بحول الله من وهدته وتنعشه من عثرته وتصلح ما فسد فيه وتعمر ما خرب منه وتضيء ما انطفأ من أنواره، وترجع ما ذهب من مجده وتجدد ما تقدم من عزه، وتنشر ما انطفأ من علومه ومعارفه وتحيي ما اندثر من مدارسه ومكاتبه فالحمد لله على ذلك[74]، وفي رسالة ثانية مؤرخة في غشت 1908 موجهة للمولى عبد الحفيظ أيضا تضمنت ما يلي:

ويشق على اللسان أن يقول إن الدولة التي كان قديما يستضاء بأنوارها ويستفاد من علومها باتت على هذه الحالة فكفى أن نقول أنه ليس بموجود بين ملايين المغاربة ألف رجل ممن يحسنون القراءة والكتابة، أما من الإناث فلا تظن أن فيه عشر قارئات أو دون(...) فعلى ذلك إن وجود المدارس والجرائد ضروري فلذا نذكر جلالتكم بأمر المدارس ولزوم فتحها في

(69) - بيضا جامع، ،« الفكر الإصلاحي في مغرب ما قبل الحماية »، ترجمة عبد العزيز اعمار، مجلة المناهل، العدد 93-94، نونبر 2012، صص 347-358، ص 350.

(70)- المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج2، مرجع سابق، ص 131.

(71)- بيضا جامع، مرجع سابق، ص350.

(72)- بيضا جامع، مرجع سابق، ص 351.

(73) - بن جلون عبد المجيد، مرجع سابق، ص 67.

(74) - بيضا جامع، رسائل مفتوحة إلى السلطانيين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001، صص 502-501.

كل مدينة من السلطنة، مدارس تعلم العلوم العصرية بالطرائق والكتب الحديثة فإن هذه هي الخطوة الأولى في سبيل الحياة [75]، وقد كان لسان المغرب يعير مسألة التعليم اهتماما خاصا ويعتبرها اللبنة الأولى لكل إصلاح وهذا ما جعله يكتب أنه لا جدوى للمغرب من دستور ومجلس شورى مادام لم يتجهز بذخائر العلم الصحيح والمدنية الحقة، وذلك لا يكون إحرازه إلا بالمدارس والجرائد اللذين هما أنجع الوسائل لنشر العرفان بين كل طبقات الشعب.

خاتمة

حافظت بنية المجتمع في القرن التاسع عشر على بنيتها التقليدية، وظل نسق المغرب والتعليم غارقا في التقليد لدى الأهالي من مسلمين ويهود يبجل تأليف الأقدمين ويعاود إنتاج نفس النظام التربوي، الذي يقوم على حفظ المختصرات أكثر مما يقوم على الفهم والدراية، ولم تكن المناهج الإسلامية تختلف من منطقة لأخرى.

إن الامتثال لقواعد تحصيل المواد الأساسية كالقرآن والحديث ومختصر الشيخ خليل وكتب الفقه وتعكس القرويين هذه الحالة المعرفية والتعليمية إذ يعاد إنتاج نفس النخبة بفكر ومنهج تقليديين، وقد علق القبلي عن هذه الوضعة بالقول " ورغم محاولات الإصلاح فإن الأمر لم يخرج عن نطاق العلوم الشرعية وهكذا ظلت مضامين الدروس وطريقة تلقينها مرتبطة بمقتضيات الشريعة الإسلامية وحبيسة قوالب التجود والدغمائية" [76]، كما يذكر الفقيه المصلح أبي بكر زنيبر أن المرحلة كانت مخيبة للآمال ولم تحقق طموحات مغرب كان تواقا للتطور ورغبة منه في مجاراة الشرق والغرب، ومنه فشل البعثات التعليمية لأوروبا في الوقت التي عادت به البعثات اليابانية بالخير على بلادهم، ويرجع أسباب الفشل في أربعة أسباب:

1. سوء الاختيار في من يحق بهم أن يكونوا أعضاء هذه البعثات.
2. عدم الاكثرات بالسن المناسب للدراسة وغياب التوجيه.
3. قصر مدة الدراسة أي البعثة.
4. لا مبالاة المسؤولين وعدم حرصهم على الاستفادة ممن نبغ من أعضاء هذه البعثات.[77]

ومن بين أسباب الفشل أيضا الضغوطات الأجنبية التي كانت عنصرا أساسيا في إفشال المحاولات الإصلاحية بل عملت على توجيهها خدمة لمصالحها، في حين يرجع جرمان عياش فشل المحاولات الإصلاحية التي قام بها المخزن وتقدم بها بعض الفقهاء أنها لم تزد أن تكون حبرا على ورق، أشباحا دون جسم، دخانا تلعب به الرياح.[78]

---

(75)- بيضا جامع، وقفات مرجع سابق، ص 505.

(76)- القبلي محمد، مرجع سابق، ص 450.

(77)- البوكيلي فائزة، « من الفكر التنويري الإصلاحي بالمغرب أبوبكر زنيبر وقضية التعليم» ، مجلة المناهل، العدد 93-94، نونبر 2012، صص 325-343، ص329.

(78)- عياش جرمان، دراسات في تاريخ المغرب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ط1، 1986، ص 348.

ISSN 2569-734X

التحديدات المعرفية للثقافة الأمازيغية: بين الموضوعية والذاتية

Cognitive Determinants of Amazigh Culture: Between Objectivity and Subjectivity

زكرياء نصرالدين، باحث في علم الاجتماع القنيطرة

ملخص:

يتسم الواقع الاجتماعي والثقافي في المغرب بالحضور القوي للثقافة الأمازيغية. ومع ذلك، فإن هذه الثقافة الوطنية، التي ظلت مهمشة لفترة طويلة، لم تحظَ بالاهتمام إلا مؤخرًا. يسعى مختلف الفاعلين - من سياسيين وعلماء ومدنيين - إلى الاعتراف بهذه الثقافة وإدماجها في المشهد الثقافي العام. هدفهم هو منحها المكانة التي تستحقها وتصحيح الظلم التاريخي الذي أدى إلى إهمال البعد الأمازيغي للثقافة المغربية.

فيما يتعلق بتصورات الثقافة الأمازيغية، يمكننا أن نلاحظ في البداية أنها انتقائية وبالتالي متعددة. تتأرجح هذه التصورات بين خصائص موضوعية وأحكام قيمية ذاتية. تشير الخصائص الموضوعية إلى مساحة جغرافية محددة وأحداث تاريخية دقيقة، بينما تضع الأحكام الذاتية الثقافة في أطر غير دقيقة وغير رسمية. ولهذا السبب، ينبغي أن تكون الأبحاث حول دلالات الثقافة الأمازيغية منهجية ولا تُختزل في عنصر أو حكم قيمي واحد.

يكز بحثنا على العلاقات الجدلية والتفاعلات المستمرة بين البعدين المادي والرمزي للثقافة. تنبع هذه العلاقات من تفاعل معقد للغاية بين العقلية الفردية (التي تكتسب الثقافة وتنقلها) وطبيعة الأشياء والآثار القائمة.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الأمازيغية – المشهد الثقافي المغربي – التوظيف التنموي

ABSTRACT:

The social and cultural reality in Morocco is characterized by the strong presence of Amazigh culture. However, this national culture, long marginalized, has only recently garnered attention. Various stakeholders—political, scientific, and civil—are striving to recognize and integrate this culture into the broader cultural landscape. Their aim is to grant it the place it deserves and to rectify a historical injustice that resulted in the neglect of the Amazigh dimension of Moroccan culture.

Regarding perceptions of Amazigh culture, we can initially observe that they are selective and, therefore, diverse. These perceptions oscillate between objective traits and subjective value judgments. The objective traits refer to a precisely defined geographical space and historical events, while the subjective judgments confine the culture to imprecise and informal frameworks. For this reason, research into the meanings of Amazigh culture should be systematic and not reduced to a single element or value judgment.

Our research focuses on the dialectical relationships and constant interactions between the material and symbolic dimensions of culture. These relationships stem from a highly complex interplay between the mindset of individuals (who acquire and transmit culture) and the nature of existing objects and artifacts.

Keywords: Amazigh Culture – Moroccan Cultural Landscape – Developmental Integration

مقدمة:

يتعلق موضوع دراستنا بمجال ثقافي وتاريخي وأنثروبولوجي جغرافي غني للغاية، وهو الثقافة الأمازيغية في المغرب. ينصبّ اهتمامنا الأول بالطبع على تصور هذه الثقافة، ولكننا ندرك أنه، من جهة، لا يمكن فهم الثقافة الأمازيغية إلا في سياق وطني أوسع (سياسي، اجتماعي-ثقافي واقتصادي)، ومن جهة أخرى، هناك ثلاثة مستويات تبدو حاسمة في معالجة هذا الموضوع:

1. المستوى الأول يتعلق بالثقافة بشكل عام، من أجل تسليط الضوء على أبعادها المختلفة.
2. المستوى الثاني يتناول الثقافة الأمازيغية لتحديد خصائصها.

3. والمستوى الثالث يرتبط بتصور الثقافة الأمازيغية من خلال التعبيرات المادية التي ترتبط بها وكذلك ملامحها الذاتية.

الثقافة مفهوم متعدد الدلالات، يمتد عبر الزمن والمجالات العلمية المختلفة: فنحن نتحدث عن الثقافة الفنية، الأدبية، العمرانية، المعمارية، المناظر الطبيعية، السياسة، الطبخ، الملابس، الصناعة، الزراعة، وغيرها. ولكن بشكل عام، ورغم تعددية دلالاتها، فإن الثقافة لها جانبان رئيسيان: جانب مادي وآخر رمزي. الشخص الذي يتحدث اليوم عن الهوية الثقافية أو يتناول إشكالية الثقافة، يسعى في الأساس إلى تحديد خصائصها وعناصرها الجوهرية، سواء المادية أو غير الملموسة، التي تميزها عن الثقافات المجاورة الأخرى.

إذا كانت المسألة الثقافية في العديد من البلدان تعكس حالة من الإحباط أو الارتباك الهوياتي بسبب الطابع التعددي للمجتمعات المعاصرة، فإن الاهتمام الموجه إلى الثقافات في المغرب يتبع نهجًا مختلفًا. يتعلق الأمر بمقاربة جديدة تُحدث قطيعة مع سياسة التوحيد التي تم تبنيها منذ الاستقلال وحتى قبله.

الواقع الاجتماعي والثقافي في المغرب يتميز بالحضور القوي للثقافة الأمازيغية، إلا أنه لم يتم الالتفات إلى هذه الثقافة الوطنية التي ظلت مهمشة لفترة طويلة إلا مؤخرًا. يسعى مختلف الفاعلين (سياسيين، علميين، ومدنيين) إلى الاعتراف بهذه الثقافة وإدماجها في المشهد الثقافي العام. هدفهم هو منحها المكانة التي تستحقها، وتصحيح خطأ تاريخي تمثل في إهمال البعد الأمازيغي للثقافة المغربية.

ومع ذلك، على الرغم من النوايا الحسنة لتعزيز الأمازيغية، التي تشكل عنصرًا رئيسيًا من الإرث المشترك لجميع المغاربة، لا تزال هناك جيوب مقاومة قائمة. وهذا يسبب أحيانًا توترات سياسية وإعلامية. ومن ثم، فإن النقاش الذي يجري اليوم في هذا المؤتمر يحظى بأهمية بالغة. سيمكننا من إثبات أن الثقافة الأمازيغية تُعد في الوقت نفسه مصدرًا لا غنى عنه للثقافة المغربية وأساسًا لا ينفصل عن خصوصية شمال إفريقيا.

فيما يتعلق بتصورات الثقافة الأمازيغية، يمكننا أن نلاحظ بشكل أولي أنها انتقائية وبالتالي متعددة. فهي تتوزع بين سمات موضوعية وأحكام قيمية ذاتية. تشير السمات الموضوعية إلى مساحة جغرافية وأحداث تاريخية محددة بدقة، في حين تُقيَّد الأحكام الذاتية الثقافة في نماذج غير دقيقة وغير رسمية. ولهذا السبب، من المستحسن أن تكون الأبحاث حول دلالات الثقافة الأمازيغية منهجية وألا تُختزل في عنصر واحد أو حكم قيمي واحد.

فيما يتعلق ببحثنا، فإنه يركز على العلاقات الجدلية والتفاعلات الدائمة الموجودة بين البعدين (المادي والرمزي) للثقافة. هذه العلاقات تنبع من ارتباط معقد للغاية بين الحالة الذهنية للأفراد (الذين يكتسبون الثقافة وينقلونها) وطبيعة الأشياء والآثار الموجودة.

منهجيًا، يمكن تناول "تصور الثقافة الأمازيغية" من خلال معطيات موضوعية تتعلق بجانبها المادي ومعطيات ذاتية تشير إلى جانبها الرمزي:

1. المعطيات المادية الموضوعية :ترتبط بالواقع الجغرافي (شمال إفريقيا)، واللغوي (اللغة ورسم تيفيناغ TIFINAGH)، والزمني المكاني (الهندسة المعمارية، المعالم، الأثاث).

2. المعطيات الرمزية :تختلف حسب شخصية كل فرد، وتشمل الشعور الذي يحمله الأمازيغ تجاه ثقافتهم (كونها تاريخية، أصيلة، وأصلية)، بالإضافة إلى الصورة التي ينسبها غير الأمازيغ لهذه الثقافة (حيث تُوصف الأمازيغية بأنها ثقافة شفوية، شعبية، إلخ).

هدفنا في هذه الدراسة هو إذًا فهم الخصائص المختلفة للثقافة الأمازيغية التي تمتد جذورها عبر عدة آلاف من السنين. تنعكس هذه الثقافة في مجموعة من السمات الفكرية، الروحية، العاطفية، ومنتجات مادية وغير مادية تُستخدم لتعريفها، توثيقها، وتأكيدها. ستكون مقاربتنا استنتاجية حيث ستخصص الجزء الأول من البحث لتقديم مقدمة عامة

حول مفهومي الثقافة والهوية، وكذلك العلاقات بين الآثار الثقافية والتصورات الهوياتية. في الجزء الثاني، سنركز على معنى الأمازيغية التي تشير إلى ثقافة ولغة وشعب، مع الإشارة إلى السياقات (السياسية، الاقتصادية، والتاريخية) لتفكيرنا حول هذه الثقافة. في الجزء الثالث والأخير، سنعرض تعبيرات الثقافة الأمازيغية (اللغة، المعمار، الأثاث) مع تطوير أبعادها المادية والرمزية.

1- مداخل معرفية لمفهومي الثقافة والهوية

1-1 الثقافة

تم تحديد معنى كلمة "الثقافة" لأول مرة في عام 1871 من قبل إدوارد تايلور E TAYLOR في كتابه "الثقافة البدائية". وفقًا لتعريف تايلور، الثقافة هي مجموعة معقدة تشمل المعرفة، والمعتقدات، والفن، والعادات، والقوانين، والعرف، وجميع القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع. يستخدم تايلور كلمة الثقافة كمرادف للحضارة ويربطها بشكل خاص بالحقائق التي يمكن ملاحظتها.

في معناها الخاص والقيمي، تُختزل الثقافة، من جهة، فقط في مجالات متقدمة من النظرية والممارسة الفكرية: مثل الفن والأدب. إنها مجموعة من المعارف، والرموز، والقيم، أو التصورات التي ترتبط بمجالات ممارسة منتظمة. بعبارة أخرى، هي "الثقافة الرفيعة" التي تميز نفسها، في إطار علاقات القوة، عن "اللا ثقافة" التي لا تستحق شرعية ثقافية معينة (مثل الرسوم الجدارية مثلاً). من جهة أخرى، يُخصص مصطلح الثقافة، بالنسبة للبعض، للإنتاجات غير المادية للمجتمع، ويفضلون الحديث عن "الحضارة" فيما يتعلق بالإنتاجات المادية، التي هي موضوع فخر الأمة وشهادات تقدمها. تتجمع العديد من المفاهيم حول هذه الفكرة والتي تميز نفسها بالنسبة لها (الحضارة) أو تقف في معارضتها (الطبيعة).

في معناها العام والشامل، تشمل الثقافة (الفردية والاجتماعية) مجموعة من السمات ذات الصلة: الفكرية، الروحية، المادية والعاطفية (مثل الأدب، والفنون، والتقاليد، والمعتقدات، ونمط الحياة، والقيم...). من وجهة نظر أنثروبولوجية: "الثقافة هي البُعد الرمزي لكل ممارسة اجتماعية، بدءًا من الأكثر عادية ومادية وصولًا إلى الأكثر علمية، وهي مجال ممارسات محدد يختلف عن المجالات الأخرى."[79] في الواقع، الثقافة تنبثق من المجتمع بأسره ويجب أن تعود إليه: لا ينبغي أن تكون إنتاجها أو فوائدها حكرًا على النخبة.

يمتلك الأنثروبولوجيون وعلماء الاجتماع مقاربات مختلفة لمفهوم الثقافة بسبب اختلاف مواضيع دراستهم. في الواقع، تكمن الاختلافات في وجود ثقافات مستقلة متعددة في الأنثروبولوجيا وثقافة واحدة (تجمع بين أفراد المجتمع) ولكن على مستويات مختلفة (ثقافة أولية وثقافة ثانوية) في السوسيولوجيا. بالنسبة للأوائل، هناك ثقافات بعدد الأفراد. كما يقول سوسيل Soustelle: "أطلق على الثقافة مجموعة السلوكيات، والتقنيات، والمعتقدات، والطقوس، والمؤسسات التي تميز الإنسان والمجتمعات البشرية..."[80] هذه هي جميع الطرق التي يفكر بها الإنسان، ويشعر بها، ويتصرف بناءً عليها. إنها القيم والمعايير نفسها التي شكلت شخصية الفرد أو المجتمع.

بالنسبة لعالم الاجتماع فرناند دومون Fernand Dumont، يمكن تصور ثقافة أولية تجمع كافة عناصر عالمنا المألوف، على أن جزءًا منها قد يُعاد النظر فيه من خلال المعارف والأعمال التي يتم بناؤها في الثقافة الثانوية. لا يمكن إنكار الطابع

[79] Lahire Bernard, 2006: «< culture » dans, Mesure Sylvie et Savidian Patrick, Le dictionnaire des OWSs sciences humaines, Presses Universitaires de France, Paris, pp 232-233.
[80] Soustelle, 1967 : Les quatre Soleils, CNRS Éditions originale, Paris, Plon, p. 110

القابل للتفكيك لهذين العنصرين الفرعيين للثقافة. علاوة على ذلك، يمكن لبعض عناصر الثقافة الثانوية أن تنتقل تدريجيًا إلى الثقافة الأولية، والعكس صحيح، مما يفسر ديناميكية الثقافة.[81]

1-2 الدلائل الثقافية:

الآثار الثقافية تُنتج بطرق مختلفة: مُنشأة، مُصنعة، منحوتة، مكتوبة أو مؤلفة. للتعبيرات الثقافية والفنية وجهان (مادي وغير مادي) وهي من أنواع متنوعة: معمارية، متحفية، أدبية، فكرية، جمالية وروحية. كما أن لها أشكالًا ووظائف متنوعة: مساجد، مدن، قلاع، خزف، سجاد، أغاني، أمثال، روايات، قصائد... هذه الآثار لا تمثل إلا جزءًا من مجموعة النشاطات الإنسانية بشكل عام.

إنها مجرد الجزء المرئي الذي نجا من التدمير أو النسيان. وفقًا لأندريه ليروي-غورهان Andre Leroi Gourhan(1971)، "الآثار التي تُركت من خلال الأنشطة والاحتلالات الثقافية البشرية هي جزء ضئيل فقط من إجمالي الأحداث البشرية. إنها نتيجة لعمل الإنسان الذي تم أو تم إيقافه. هذا الاستنتاج، الذي يعرفه الشعب المعاصر، يمكن أن يُطبق أيضًا؛ ولكن بحذر، على الشعوب القديمة. بالنسبة للشعوب المعاصرة الأكثر قربًا، حتى أولئك في أوروبا، فإن الكمية الهائلة من المواد المجموعة لا تمثل سوى جزء ضئيل من الحقائق المرصودة، وإذا حاولنا إجراء محاولة للتوليف التاريخي، فإن كل ما يمكننا فعله هو وضع معالم مع الحقائق المعروفة، وملء الفراغ بما تلهمه الاتجاهات. بالنسبة للعالم المعاصر، نصل إلى درجة من الاحتمال الذي يبدو قريبًا إلى الواقع، لكن مع العودة عبر القرون، تصبح الفرضيات تأخذ حيزًا أكبر فأكبر.[82]

1-3 الهوية:

الهوية هي في الوقت نفسه اعتراف من الآخرين ومن الفرد نفسه بما هو بالنسبة للآخر. ترتبط الهوية بـ "أفكار الكينونة" التي تتساءل بوعي عن الشعور بالذات. إنها تقع بين الجوهر والإدراك، بين الثوابت والتغيرات، بين الموضوعية والذاتية. سواء كان ذلك بالنسبة لفرد، أو لمجموعة اجتماعية، أو حتى لأمة، فإن الهوية ليست سوى مجموعة من الإجابات التي نقدمها على الأسئلة التالية: من كنتُ؟ من أنا؟ من سأكون؟ يسعى الفرد المعني إلى التعرف في النهاية على خصائصه المميزة، وعلاماته الخاصة، وعناصره البيوغرافية التي تشكل واقعه الموضوعي.

تعد العمليات والتفكير المتعلق بالهوية من الأمور الحديثة نسبيًا، وهي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمساهمات الحداثة. في المجتمعات التقليدية، لم تكن هذه الأسئلة المتعلقة بالهوية من الأولويات. "في المجتمعات الأولى، كانت الهوية، التي تُمنح اجتماعيًا، عنصراً تابعًا وليست عملية مستقلة. لذلك، يمكن تجاهلها دون عواقب كبيرة، لأنها لا تلعب دورًا اجتماعيًا محوريًا. من المؤكد أنه يمكن القول بوجود "هويات" إذا اعتبرنا بها الخصائص الخاصة بالفرد أو المجموعة. ولكن من الواضح أنه لا يوجد مشكلة في الهوية، هذا التساؤل الحديث والمتعدد الأوجه والعام، الذي يميز المجتمعات المعاصرة. العملية الهوياتية مرتبطة ارتباطًا جوهريًا بالحداثة".[83]

---

[81] Fernand Dumont, 1968: Le lieu de l'homme. La culture comme distance et mémoire, Montréal, Editions H.M.H, 233 p.

[82] Fernand Dumont, 1968: Le lieu de l'homme. La culture comme distance et mémoire, Montréal, Editions H.M.H, 233 p.

[83] Kaufmann Jean-Claude, 2006: « Identité », dans, Mesure Sylvie et Savidian Patrick, Le dictionnaire des sciences humaines, Presses Universitaires de France, Paris, p. 594.

تاريخيًا، تم فرض توحيد الهوية الفردية بسبب اعتبارات إدارية تتعلق بالاعتراف والسيطرة على الأفراد... قامت البيروقراطية الحكومية بتطوير أوراق وهوية شخصية تلخص البيانات الشخصية لكل فرد. أولئك الذين يمتلكون البطاقة يُعرَفون اجتماعيًا، بينما أولئك الذين لا يمتلكون أوراقًا رسمية لا يمتلكون وجودًا قانونيًا.

ومع ذلك، فإن الهوية لا تقتصر على هذا المستوى الأول من الخصائص المهمة، بل تتجاوز ذلك للوصول إلى مستوى من الفاعلية الهوياتية التي تظهر من خلال الالتزام. يحاول الدولة الحديثة، من خلال مؤسساتها، تصنيع هوية مفصولة عن بصمات المجتمع التقليدي، وهوية ستكون في خدمة الإيديولوجيات السياسية. من خلال العمل المكثف للتنشئة الاجتماعية الذي تقوم به المؤسسات الحكومية عمومًا والمدارس العامة بشكل خاص، يتم زرع مجموعة من المبادئ والقيم والمذاهب الحديثة في الأفراد. نظرًا للطابع الاصطناعي لهذه الهوية القابلة للتصنيع، فإن هذه الهوية تصبح ذات طابع ذاتي. "العملية الهوياتية هي في الأساس طريقة خاصة للذاتية في العمل، حيث تتكون من بناء، في كل لحظة، كمال معنوي."[84] وبالتالي، يتم توجيه الخيارات الهوياتية الذاتية بواسطة ذاكرة عاطفية وطرق من الخيال وتثبيت الهوية.

الهوية متحركة، فهي ليست ثابتة لا في الزمن ولا في المكان. التحولات لا مفر منها في العديد من السمات الهوياتية؛ ولكن يمكن أن تبقى بعض الثوابت الهيكلية. تعتبر هذه الثوابت من قبل ديفيد هيوم كخداع ووهم يولده الزمن ويساعد على إدراكه. "بينما كل عنصر يتغير نوعيًا، نحن ندركه (الزمن) في المدة من خلال عدسة الثبات والدوام للانطباعات."[85] هذه الثوابت قد تكون آثارًا مادية، أو عناصر فنية، أو معمارية، أو أماكن للذاكرة.

4-1 التعبيرات الثقافية والهوياتية

يمكن قراءة الآثار والهوية كوجهي عملة واحدة. فهي تربط بين المادي وغير المادي، بين الدال والمدلول. من خلال شكل التعبير المادي، تظل الإشارة إلى الهوية حاضرة في كل مكان، وحتى المجتمعات المعزولة تعدل بشكل مستمر رأس مالها التقني والمادي ليتناسب مع احتياجاتها الهوياتية.

تعتبر الأشياء المادية للثقافة (مثل السجاد، الخزف، المخازن الجماعية...) بمثابة مرجعية الهوياتية. فهي تسهم في الإدراك والمشاركة في تحديد هوية أصحابها. "تُطرح أيضًا مسألة دور الأشياء في التحليلات المتعلقة بالهويات والفردية المعاصرة. يتيح عملية الاستحواذ، والترويض، بل وحتى التلاعب، للأفراد جعل الأشياء جزءًا من هويتهم، بحيث لا تصبح مجرد أدوات أو وسائل تشغيلية بحتة (سيغالين وبرومبرجر Segalen et Bromberger ، 1996؛ ثيفينوت Thevenot ، 1994): تصبح الأشياء بمثابة "الأنا البديلة" وتمنح الأفراد نوعًا من التماسك."[86] لهذا السبب، يكون من الصعب أحيانًا الفصل عن الأشياء، حتى لو كانت مستهلكة أو غير مفيدة أو تشغل مكانًا.

بالإضافة إلى كونها مراجع الهوياتية، يمكن اعتبار الأشياء امتدادًا للجسم البيولوجي البشري وتعبيرًا عن القدرات الجسدية. كما أنها جزء من القدرات العقلية البشرية من خلال دمج الحركات وتخزين المعارف المكتسبة من الإنسان. "فكرة الدمج هذه هي أيضًا في قلب الدراسات الأنثروبولوجية للثقافة المادية: فالأشياء مثل اللغات والقيم والمعتقدات هي جزء من الثقافات، وبالتالي يتم دمجها في الأفعال والحركات البشرية."[87]

[84] Kaufmann Jean-Claude, op.cit., pp. 594-595.
[85] Idem, p 593
[86] Olivier Martin, 2006: << Objets », dans, Mesure Sylvie et Savidian Patrick, Le dictionnaire des sciences humaines, Presses Universitaires de France, Paris, p. 831.
[87] Olivier Martin, op. cit. p 831.

تقنيًا، تزودنا الأشياء بمعلومات حول الأفعال الإنسانية المختلفة نظرًا لأن تشكيل الأشياء مرتبط ارتباطًا وثيقًا بحركات تقنية محددة. "لقد وسعت الدراسات الإثنوميثودولوجية والتفاعلية الآفاق، لا سيما بتجاوزها لحالات الأشياء التقليدية والأثرية لتشمل الأشياء التقنية المعاصرة: التفاعل بين الإنسان والأشياء (الإنسان/الآلة؛ الإنسان/الحاسوب؛ الإنسان/الروبوت) هو جوهر هذه الدراسات."[88] وبالتالي، فإن العلاقة المتبادلة للهوية الثقافية، كأداة لتطوير الآثار، تخلق الصلة مع هذه الأخيرة التي لا تعدو كونها وسائل لنقل مجموعات ثقافية. "تحليل التفاعلات بين الإنسان وبيئته يتطلب بالضرورة دراسة الأشياء (الأدوات، الأشياء التقنية) التي تتوسط هذه العلاقة" (سيموندون Simondon [1958] 1991)[89].

وبناءً عليه، يمكن إجراء دراسة شاملة للهوية الثقافية من خلال أخذ موضوعها وأشيائها بعين الاعتبار، أي الكائنات البشرية، أدواتها المادية وأدواتها.

قيمة الآثار تكمن في انتقال الأشياء من نظام مادي إلى نظام رمزي؛ هوياتي، سيميائي وغير ملموس. "لقد أبرزت سوسيولوجيا الاستهلاك والأشياء لجان بودريار Jean Boudrillard ([1968] 1978) دورها المميز والظاهري: الأشياء ليست موجودة للقيام بأفعال أو لتمكين الأفراد من الفعل، بل لكي تعني وتُمثل. من هذه الزاوية، تسمح الأشياء لمالكيها بالتميز، ووضع علامة على انتمائهم الاجتماعي وقوتهم الاقتصادية".[90]

الأشياء، بوصفها إنتاجات بشرية، لها تبعية تجاه المجتمعات والجماعات. "في تحليله للحياة الدينية، أظهر دوركهايم Durkheim ([1912] 2003) بشكل خاص أن الحقائق الاجتماعية (الدينية) يمكن أن تتجسد في الأشياء، المعمار، والأشياء المقدسة. تمامًا كما هو الحال مع القانون، والمؤسسات، أو الشخصيات الأسطورية، تعتبر الأشياء حقائق اجتماعية متبلورة ("متحجرة")، وبالتالي تفرض نفسها على الجميع[91]".

من هذه الزاوية، لا يمكن تقليص الأشياء فقط إلى مادتها، كما لا يمكن إنكار المهارات المشتركة بين مالكيها الفنيين والمستخدمين لها.

تجعل الوظيفة الكشفية للأشياء منها مؤشرات للباحث حول الهوية، وتاريخ التحولات الثقافية والاقتصادية في حياة الإنسان، والعلاقات الاجتماعية، والأحداث، والممارسات، والمعرفة والمهارات، والتنمية المعرفية، وغيرها.

2- الثقافة الأمازيغية

2-1 الثقافة الأمازيغية بين ثلاث متغيرات ثقافية وجغرافية

بادئ ذي بدء، يمكننا القول إنه ليس من السهل تجاوز مفهوم الثقافة الأمازيغية. إنه مفهوم شامل ذو حدود غير واضحة يقع عند تقاطع مجالات معرفية متعددة: السياسة، الأنثروبولوجيا، التاريخ، علم الاجتماع، الجغرافيا، والسيميولوجيا. من أي منظور نحدد الأمازيغية: من منظور سياسي، ثقافي، أم جغرافي؟

في الواقع، تُبنى التعريفات السياسية أو حتى الحكومية للثقافة الأمازيغية على التأكيد على الطابع الوطني لهذه الثقافة، لتجنب أي انحراف أو استغلال للقضية من قبل الحركات السياسية. يختلف هذا التعريف الذي تريده الدولة عن التعريف الأنثروبولوجي الذي يركز على جانب آخر مرتبط بتميز هذه الثقافة، بخصائصها وإنتاجاتها الثقافية. كما تختلف هاتان

[88] Idem, p. 832
[89] Id. p.831
[90] Olivier Martin, op. cit. p. 832
[91] Idem p. 832

ISSN 2569-734X

التعريفان عن المقاربة الجغرافية التي تهتم بالتمركز الإقليمي للأمازيغ في مناطق معينة قبل أن يصبحوا سكان المدن الكبرى في شمال إفريقيا.

بشكل عام، تشير الأمازيغية إلى لغة وشعب وثقافة تنتمي إلى شمال إفريقيا، وهي متوسطية وأطلسية. تتحدد هذه الثقافة ضمن سياق جغرافي، اجتماعي وتاريخي خاص: إفريقيا جنوب الصحراء في الجنوب، آسيا الصغرى والشرق الأوسط في الشرق، وأوروبا المتوسطية في الشمال.

تنشأ الثقافة من حوار وتبادل للأفكار والتجارب بين الأفراد والجماعات الاجتماعية. إلى جانب إمكانيات تطورها الذاتية، تعززت عملية الإبداع في الثقافة الأمازيغية وتجددت بفضل تبادلاتها مع الخارج وانفتاحها على تقاليد وقيم الشعوب الأخرى المحيطة بها: إفريقيا (أرض الانتماء)، أوروبا (أرض الجوار)، وآسيا (أرض المرجعية).

ومع ذلك، فإن تقدير قيم وتقاليد الآخرين ليس قاعدة ثابتة. فقد أدت علاقة الجوار بين الأمازيغ وهذه المجموعات الثقافية المذكورة إلى رغبة كل ثقافة في استقبال المساهمات الخارجية، مع الحفاظ في الوقت نفسه على ذاتها والتميز عن غيرها. وقد ساهم ذلك، في النهاية، في الحفاظ على التنوع الثقافي في حوض البحر الأبيض المتوسط.

التنوع هو ثمرة الحفاظ على هوية خاصة على الرغم من العمليات والسياقات التبادلية المتزامنة بين السكان الأصليين والأجانب، الناتجة عن الفتوحات والهجرة. يُعتبر التكيف مع السمات المستقبلة من خلال التثاقف أمرًا جوهريًا في هذه العمليات.

في المغرب، تُعد الأمازيغية الإرث المشترك لجميع المغاربة. "تشكل الثقافة الأمازيغية عنصرًا رئيسيًا من الثقافة الوطنية وتراثًا ثقافيًا يظهر حضوره في جميع تعبيرات التاريخ والحضارة المغربية." [92]إنها مجموعة من التعبيرات والأنشطة الثقافية (الموروثة من الماضي، والمشتركة، والمُبتكرة، والمُتجددة) التي تحتفظ بدرجة معينة من الثبات التزامني وتخضع لتغيرات زمنية. بذلك، توفق الثقافة الأمازيغية بين الواقع والخيال. فهي تمثل الأفكار وتعبيراتها الثقافية (كاللغة، والفنون، والعمارة)؛ التصورات الذهنية وتنظيمها في المادة؛ أنماط الحياة وتجلياتها في الفضاء؛ والممارسات الاجتماعية وأبعادها الرمزية.

في الواقع، مكونات الثقافة الأمازيغية وتعبيراتها وتجلياتها عديدة. اللغة، العمارة، السجاد، الخزف، الحلي، وأنماط الحياة هي سمات ثقافية تميزها عن الثقافات المجاورة. ليس من السهل تحديد تواريخ نشأة جميع مظاهر الثقافة الأمازيغية والفنون التقليدية المغربية، سواء من حيث أصولها الداخلية أو الخارجية. "لا شك أن الفنون التقليدية المغربية ذات جذور عميقة وأصول مختلفة، ولكن وجودها وتنوعها لا يعتمدان فقط على هذا الجانب التاريخي. في الأصل - وهو الحد الذي يمكن أن تصل إليه الذاكرة - كان هناك 'إنسان شمال إفريقيا[93]".'

نظرًا للموقع الجغرافي للمغرب، فقد كان منذ زمن طويل مفترق طرق حقيقي للحضارات، وأرضًا للتنوع والتمازج الثقافي والتفاعل الخصب بين الثقافات. هذه الحقيقة تشكل أساسًا لبعض الأسئلة التي لا تزال تُطرح حتى اليوم حول أصول المجتمع المغربي وخصائص الأمازيغ والعرب في المغرب.

[92] Dahir no 1-01-299 portant création de l'Institut royal de la culture amazighe (IRCAM) 2001
[93] Khireddine Mourad et Francis Ramirez & Christian Rolot, 1998: Arts et traditions du Maroc, ACR Edition internationale, Courbevoie (Paris), p.30

1-1-2 الأمازيغ بشمال إفريقيا

وصول الأمازيغ إلى شمال إفريقيا يظل لغزًا، ولكن المؤكد أنهم سبقوا بفارق زمني كبير الفينيقيين، والقرطاجيين، وبالطبع الرومان. من هم هؤلاء الأمازيغ الأوائل؟

في الواقع، "نحن لا نعرف الكثير عن هؤلاء الليبيين البربر، الأوائل المباشرين للبربر، لدرجة أنه لا يمكن حتى رسم صورة عامة عنهم. يمكننا فقط القول إن هناك مجموعات من المستوطنين الذين كانت الزراعة لديهم بدائية جدًا. كان تربية الحيوانات والاقتصاد الرعوي لهما بالتأكيد أهمية أكبر من الزراعة نفسها: كان أول المؤلفين، وهم اليونانيون، يطلقون على سكان شمال إفريقيا اسم الليبيين أو النوميديين، أي البدو، ومن الشائع أن القرطاجيين علموا السكان الأصليين الزراعة".[94]

ترتبط الثقافة الأمازيغية بالحضارات القديمة في البحر الأبيض المتوسط. في الواقع، منذ بدايات العصور القديمة، كان شعوب شمال إفريقيا يتعايشون مع ثقافات أجنبية أخرى. في عام 446 قبل الميلاد، يذكر هيرودوت Herodote هذه الحقيقة في تاريخه (الكتاب الرابع، الفصل 168)، مشيرًا إلى وجود شعبين أصليين (الليبيين والإثيوبيين) وشعبين أجنبيين (الفينيقيين واليونانيين) في هذا الإقليم. مع تسلسل الحضارات والإمبراطوريات في البحر الأبيض المتوسط (الرومانية، والعربية، والأوروبية)، كثرت الأدبيات حول الأمازيغ، لكنها غالبًا ما تكون من مؤلفين أجانب ليسوا شهودًا مباشرين.

الأمازيغ هم موضوع لأوصاف إثنومركزية. بالنسبة للاتينين، هم "أمازيغ"، وبالنسبة للعرب، هم "بربر" "barbar "، وهذه المصطلحات ليست إلا استعارات وتفريعات من "باربا روس *barbaros* "، وهو علامة على الإثنومركزية اليونانية.

بشكل عام، يهدف استخدام مصطلح "بربر" للإشارة إلى السكان الأصليين لشمال إفريقيا من جهة إلى اختصارهم في هذا الاسم، ومن جهة أخرى إلى تحميلهم دلالة مرتبطة بمفهوم "البرابرة" الذي يحمل شحنة سلبية. في جوهره، يسمي "البربر" أنفسهم "إمازيغن" (الرجال الأحرار). والمصطلح المؤنث لنفس الكلمة (تمازيغت) هو التسمية الأصلية للغتهم. ومع ذلك، فإن هذا المصطلح (تمازيغت) أصبح لاحقًا مقتصرًا على النسخة اللغوية الخاصة بالمغرب المركزي، التي تختلف عن النسخة في منطقة الريف (تريفيت) ونسخة الجنوب (تاشلحيت).

اليوم، يشير مصطلح "أمازيغ" المستخدم بالفرنسية إلى كل من اللغة والأفراد الأمازيغ، سواء كان في صيغة المذكر أو المؤنث. فيقال: الرجل الأمازيغي، المرأة الأمازيغية. في الجمع، وفقًا لنفس المنطق، يتم إضافة حرف" الجمع "في النهاية (على سبيل المثال: الرجال الأمازيغ/الثقافات الأمازيغية).

تظهر هذه الجدلية بين التسميات الأجنبية والمحلية أيضًا في تسمية منطقة شمال إفريقيا نفسها. تُستخدم العديد من الأسماء، ولكن بالنسبة لتشارلز أندريه جولين، فإن تسمية "بربرية" تظل الأفضل. "تشمل هذه الأسماء التي أُعطيت لهذه المنطقة من قبل اليونانيين (ليبيا)، والرومان (أفريكا، ومن ثم إفريقيا)، والعرب (جزيرة المغرب)، وأوروبا في العصور الوسطى والعصر الحديث (الدول البربرية، بربرية)، والجغرافيين في القرن التاسع عشر (بلاد الأطلس)، والجغرافيين في القرن العشرين (إفريقيا الصغرى)، والمعاصرين للكاتب (شمال إفريقيا، إفريقيا الشمالية، شمال إفريقي)[95]".

جميع هذه المصطلحات خارجية، بينما المصطلح الداخلي الذي يشير إلى المنطقة هو "تمازغا" (أرض الأمازيغ). يمكننا من خلال هذه المقدمة فقط ملاحظة الخيارات الذاتية المتعلقة بكل موضوع للإشارة إلى نفس الشيء.

[94] Brignon Jean et al, 1967 : Histoire du Maroc, Hatier, Paris 6º, p. 15.
[95] Djaoud Smail, 2009: « Quelques processus d'élaboration de concepts sur le Maghreb dans les sciences sociales (julien, bourdieu et tillion) » (ertim-inalco - paris), Texto! Janvier, vol. XIV n°1

2-1-2 الأمازيغ والعرب بالمغرب

بشكل عام، ترتبط الهوية الثقافية لمجموعة معينة إما بأصل جغرافي مشترك (الأرض)، أو بروابط عرقية واجتماعية مشتركة (اللغة)، أو بأيديولوجيا مشتركة (مثل الاشتراكية) التي تربط أعضاء المجموعة وتظهر من خلال القيم والممارسات والاستخدامات المشتركة.

في المغرب، من الصعب اليوم التمييز بين الأمازيغي والعربي بسبب التمازج والتناقضات في الخصائص الهوياتية. نأخذ مثالًا لشخص مقيم في هذا البلد، يستخدم اللغة الأمازيغية، ولكنه في الوقت ذاته من أصل جغرافي عربي (مهاجر من الشرق): هل هذه الشخص عربي أم أمازيغي؟

بنفس الطريقة، إذا كانت شخصًا وُلد من أبوين أمازيغيين ولكنه يتقن فقط اللغة العربية، كيف يمكن تصنيفه؟ الإجابة تصبح صعبة، وهذا يقودنا إلى التأكيد على وجود هويات متعددة، تراكمية وأحيانًا متناقضة. في الواقع، يمكن عرض البدائل المختلفة للهوية المغربية (بعيدًا عن الوافدين الجدد من أوروبا ومنطقة الساحل) كما يلي: (1) أمازيغيون amazighophones ، (2) أمازيغيون عرب/ arabophones ، (3) عرب متأمزغون و (4) عرب أمازيغ. الخلفية العرقية أمازيغية، ولكن الثقافتين (الأمازيغية والعربية) شكلتا منذ زمن طويل أساس الثقافة المغربية، جوهرها وطبقتها أيضًا. ويرتبط ذلك بحقيقة أن الثقافتين الدائمين، اللتين تمكنتا من الصمود في المغرب والمغرب الكبير، هما الأمازيغية والعربية. أما الثقافات الأخرى، فيمكن اعتبارها ثقافات مؤقتة مثل الثقافة الرومانية والتركية. وبعضها ثقافات شبه دائمة مثل الثقافة الفرنسية التي احتفظنا منها على الأقل باللغة. وبناءً عليه، تتكون الحقيقة اللغوية في المغرب من ست مجموعات على الأقل:

1- أولئك الذين يتحدثون الأمازيغية فقط (إحدى النسخ الثلاث).
2- أولئك الذين يتحدثون العربية الدارجة فقط دون معرفة أي لغة أخرى.
3- أولئك الذين يتحدثون الأمازيغية والعربية الدارجة معًا.
4- أولئك الذين يتحدثون الأمازيغية والعربية الدارجة والفصحى (أولئك الذين درسوا).
5- أولئك الذين يتحدثون العربية والفصحى (دون معرفة الأمازيغية).
6- أولئك الذين يتحدثون الأمازيغية، العربية الدارجة، الفصحى، وكذلك الفرنسية.

نستطيع إضافة ملاحظتين هنا:

1. أن أولئك الذين يتحدثون الأمازيغية عادة ما يتقنون نسخة واحدة فقط (إما تريفيت، أو تاشلحيت، أو تمازيغت)، وبالتالي يمكن إضافة هذه الثلاث مجموعات إلى الخمس السابقة.
2. أن المغاربة المقيمين في الخارج قد يعرضون مجموعات أخرى وقد يتقنون:
1. إما الفرنسية (أو الإسبانية، أو الألمانية، إلخ) والأمازيغية (إحدى النسخ الثلاث).
2. إما الفرنسية (و/أو الإسبانية، الألمانية إلخ) والعربية الدارجة، ولكن نادرًا ما يتقنون العربية الفصحى**.

عمليًا، دون ادعاء أن المعايير التالية هي قواعد قابلة للتطبيق دائمًا، يمكننا ذكر ثلاثة معالم الهوياتية لأمازيغي مغربي، يمكن من خلالها الكشف عن هويته:

1. المصدر الجغرافي :وفقًا لهذا المعيار، فإن الشخص الذي ينحدر من إحدى المناطق الكبرى الناطقة بالأمازيغية في المغرب (الريف، وسط الأطلس، والجبال العليا) يُعتبر أمازيغياً بشكل أساسي. بالمقابل، الشخص الذي ينحدر من إحدى المدن الكبرى في مثلث الصناعة (الدار البيضاء، فاس، طنجة) قد لا يُصنف بنفس الطريقة. إذا سألنا شخصًا عن مصدره

وأجاب أنه من الناظور، أو أزرو، أو تيزنيت، فإن فرص كونه أمازيغياً تكون أكبر. أما المدن الكبرى مثل الدار البيضاء فهي بوتقة حقيقية للعديد من الثقافات: الأمازيغية، والعربية، والأفريقية، والأوروبية، وحتى الآسيوية.

2. الأصوات اللغوية :بالإضافة إلى المصدر الجغرافي، يميز الأمازيغي هويته من خلال طريقة نطقه. فالأصوات اللغوية عند تحدثه بالعربية تُظهر وجود لغة ثانية (أمازيغية) تؤثر وتُشكل طريقة نطقه. في الواقع، يتم إدخال العديد من الكلمات العربية وتكييفها في الأمازيغية. وعند التحدث بالعربية مع الحفاظ على نفس نطق الكلمات، تكشف الأصوات عن أن الشخص أمازيغي.

3. أسلوب اللباس :من الشائع في الأوساط الأمازيغية رؤية النساء يرتدين الملابس التقليدية الواسعة (مع الحناء والمجوهرات المحلية، مثلما في موسم إملشيل). ومن الشائع أيضًا أن يرتدي الرجال الأمازيغ الدجالة.

هذه المعايير نسبية ويجب أخذها بحذر نظرًا للتداخل والطابع المركب للمجتمع المغربي.

2-2 السياقات المعرفية للتفكير في الثقافة الأمازيغية

التصور، سواء كان إيجابيًا أو سلبيًا، تجاه ثقافة معينة لا يعدو أن يكون "منتجًا" للبيئة المباشرة، والسياق السياسي، والاقتصادي، والروحي، والفكري. هذه السياقات حاسمة في توجيه الرأي العام وفي تشكيل صورة إيجابية أو سلبية لثقافة ما.

1-2-2 الثقافة الأمازيغية والإرادة السياسية

من الناحية التاريخية والسياسية، كانت الثقافة الأمازيغية لفترة طويلة مُهملة. اليوم، مع الاتجاه نحو تعزيز مكانتها، فإن الإرادة السياسية حاسمة. في الواقع، يمكن أن تكون الثقافة نفسها موضوعًا للتقدير أو التقليل من شأنها من قبل صانعي القرار. تبقى سلطتهم المؤسساتية والإعلامية أساسية في تعزيز ثقافة معينة وفي الصورة التي ترتبط بها. ولحسن الحظ، فإن السياق السياسي الحالي مواتي لكي تحصل الثقافة الأمازيغية على مكانة مهمة في المغرب. نحن مدركون أنه من الضروري منحها المكانة التي تستحقها في المشهد الثقافي والمؤسساتي والإعلامي للبلاد.

2-2-2 الثقافة الأمازيغية والتنمية الإقتصادية

لا يمكن إنكار الدور الهام للتنمية الاقتصادية في تشكيل الصورة الإيجابية لثقافة ما. يكفي أن نذكر حالات الثقافات الغربية (الأمريكية والأوروبية)، والآسيوية (اليابانية، الصينية، الكورية)، التي تتمتع بقيمة كبيرة بسبب المستوى العالي الذي وصلت إليه في ازدهارها الاقتصادي.

تُميز الثقافة الاقتصادية في بعض الأوساط الأمازيغية بالهشاشة والفقر الواضح. وهذا الاستنتاج، الذي لا يمكن تعميمه، يرتبط من جهة بالظروف الطبيعية الأقل سخاءً، ومن جهة أخرى بالتركيز الرأسي لثروات البلاد في يد أقلية. هذه الواقع يسبب اختلالًا ويفرض تصوّرًا عن الثقافة الأمازيغية على أنها ثقافة متخلفة، قديمة، شعبية وتقليدية. الوصول إلى وسائل الحياة الحديثة لا يزال بعيدًا عن الاكتساب (التعليم، الصحة، العمل الميكانيكي، النقل، الكهرباء...). لذلك، من المهم أن نذكر أن التنمية الاقتصادية؛ والتوزيع الأفقي للثروات، هما السبيل الوحيد لتجاوز الصور النمطية المرتبطة بهذه الثقافة. من المفيد وجود سياسة اقتصادية منهجية، بعيدة عن الشعبوية، التي ستتيح للأمازيغ (أولئك الذين يعانون من الفقر) العيش في ظروف أفضل.

لقد أثارت الثقافة الأمازيغية، منذ الحقبة الاستعمارية، اهتمام علماء اللغويات الإثنولوجية الفرنسيين والأجانب الذين بدأوا في إجراء العديد من الدراسات حولها. إن الحداثة والخصوصية المتضمنة في الاهتمام الوطني بهذه الثقافة تتطلب تجسيدًا من خلال نهج شامل لجميع جوانب وإشكاليات حياة الأمازيغ. التحدي هو دمجهم بطريقة تُمكّنهم، كفاعلين

رئيسيين، من تحديد مواضيع اهتمامهم العام (ثقافية، اقتصادية، سياسية؟!). لا يمكن أن يؤدي النهج التشاركي، الذي يلبي توقعاتهم، إلا إلى اتخاذ قرارات سليمة بشأن المشاريع التي تعتبر ضرورية لهم.

3-2-2 الثقافة الأمازيغية والإسلام

من المهم جدًا معرفة مصادر الثقافة ومكوناتها. تشير مصادر الثقافة إلى جميع العناصر التي ساهمت في خلقها وصقلها. أما مكونات الثقافة، التي لا تعدو كونها تعبيرًا عن مصادرها، فتشير إلى الجسد الثقافي المعترف به والمقبول عمومًا من قبل حاملي هذه الثقافة. الإسلام هو في الوقت ذاته مصدر ومكون أساسي للثقافة الأمازيغية. لذلك، من غير العادل فصل الثقافة الأمازيغية عن الدين الإسلامي، دفاعًا، باسم الأمازيغ، عن هوية قديمة ومعادية للإسلام. هذه القضية تخص أقلية من الفاعلين الذين يفصلون أحيانًا الأمازيغية عن البُعد الإسلامي في الكفاح الموجه ضد المدافعين عن العروبة. في الواقع، حتى وإن كانت الحلول الوسطية تنشأ في بعض الأحيان من التطرّف، من المهم أن تكون مواقف الأطراف المختلفة، ثقافيًا، متوازنة، مع تجنب جميع أنواع التطرف التي تنتمي إلى المجال السياسي. بالترجمة لقول يورغ-ديتر براندس Jorg Dieter Brandes, ، فإن "البربرية" و"العروبة" كلاهما، دينيًا، مذوبان في الإسلام.[96]

العلاقة بين المصدر والمكونات تظهر أيضًا في اللغات. في الواقع، الكلمات العربية التي تم تكييفها في اللغة الإسبانية مثل ("albaricoque"مشمش(، "albanil"(بنّاء)، وغيرها، هي في نفس الوقت مصادر إثراء للغة الإسبانية ومكونات لا يمكن فصلها عن هذه اللغة.

4-2-2 الثقافة الأمازيغية بين التعاطف والكراهية

الثقافة الأمازيغية هي موضوع للتعاطف والكراهية، للقبول والرفض. يمكن تفسير هذه الحقيقة بتعدد الفاعلين المهتمين باستخدام قضية الأمازيغية لصالحهم. وهي أيضًا نتيجة لهذه المرحلة الانتقالية في حياة هذه الثقافة.

3- <u>الأبعاد المادية والرمزية للثقافة الأمازيغية</u>

تتجذر الثقافة الأمازيغية في زمان ومكان متعدد الثقافات. لها خصائص تاريخية وجغرافية وأنثروبولوجية وعرقية ولغوية وأدبية وفنية وحرفية وعمرانية وأيديولوجية وفلسفية. تعكس هذه الخصائص من خلال البعدين الثقافيين: المادي والرمزي.

لتناول البُعد المادي للثقافة الأمازيغية، سنقترح، كمثال، هذه التعبيرات الثقافية: اللغة الأمازيغية، النقوش الصخرية، وكذلك الفن المنقول وغير المنقول

لتناول الأبعاد الرمزية، سنعرض بعض الأفكار والممارسات المرتبطة بنمط الحياة والتمثيل الاجتماعي للثقافة الأمازيغية.

1-3 <u>تعبيرات الثقافة الأمازيغية</u>

في هذا الفصل، نواجه تحديين. أولاً، ليس من السهل جرد جميع تعبيرات الثقافة الأمازيغية عبر الزمن والمكان. ثانيًا، من الصعب فصلها عن تأثيرات الثقافات الأخرى. ومع ذلك، هناك بعض العناصر (مثل اللغة) التي تعد تعبيرًا خالصًا عن

[96] في مقدمة كتابه *تاريخ الأمازيغ* (*Geschichte der Berber*)، كتب يورغ-ديتر براندس :لم يعد هناك اليوم دول أمازيغية، ولا توجد في أي مكان مجتمعات أمازيغية مغلقة. من الناحية التاريخية والسياسية، اندمج الأمازيغ في الهوية العربية، ومن الناحية الدينية، في الإسلام. أما ثقافيًا، فقد ترك الأمازيغ بصمتهم على المغرب العربي: لغويًا، تستمر اللهجات الأمازيغية، وإن لم تكن لغة مكتوبة، كلغات ثانية بجانب اللغة العربية في مناطق معينة." يورغ-ديتر براندس، 2004 :*تاريخ الأمازيغ، من السلالات الأمازيغية في العصور الوسطى إلى المغرب العربي الحديث*، دار نشر كاسيمير كاتز، غيرنسباخ، الصفحة 7.

الثقافة الأمازيغية. حتى الجغرافيون العرب أدركوا، فور وصولهم إلى مغرب الأرض في فجر الإسلام، الفرق الواضح بين الثقافة الأمازيغية والثقافات المجاورة. "لقد أدركوا جيدًا أن من النقوش الصخرية إلى رسومات الفخار والتوابيت، مرورًا بالعديد من التقاليد مثل الكسكس، قام السكان الأصليون بتطوير حضارة تختلف عن تلك في مصر والدول جنوب الصحراء المجاورة[97]".

وبذلك، تضم الثقافة الأمازيغية مجموعة من السمات المادية والفكرية وحتى الروحية (الفنون، التقاليد، القيم...) التي تساعد في تميزها عن الثقافات الأخرى.

1-1-3 اللغة الأمازيغية

أحد العناصر المهمة التي تحدد الثقافة الأمازيغية، والتي تضمن هويتها، هو اللغة. حتى وإن كان المرء أحيانًا أمازيغيًا من الناحية الأنثروبولوجية، إلا أنه قد يكون عربياً من الناحية اللغوية.

اللغة الأمازيغية غنية للغاية. منذ العصور القديمة، كان لها تواصل مع لغات البحر الأبيض المتوسط مثل الفينيقية، اليونانية واللاتينية. في العصور الوسطى، دخلت اللغة الأمازيغية في اتصال مع اللغة العربية. وقد انتشرت هذه الأخيرة بسرعة في جنوب البحر الأبيض المتوسط واحتلت مكانة بارزة في المنطقة حتى الحقبة الاستعمارية. مع إقامة الحماية الفرنسية (والإسبانية) في المغرب، أصبحت اللغة الفرنسية لغة مستخدمة بشكل متكرر. وقد تم استخدامها بالتوازي مع اللغة العربية بسبب النظام السياسي الخاص المعتمد في المغرب. يتكون هذا النظام من إدارة مختلطة لشؤون البلاد بالتعاون بين السلطان والمقيم العام الفرنسي. أما اللغة الأمازيغية، فقد كانت حضورها محدودًا لدى مستخدميها في المناطق الناطقة بالأمازيغية. وبذلك، "مع تنفيذ الحماية فعليًا في عام 1912، أصبح اللغة الفرنسية بشكل فعلي اللغة الرسمية في المغرب. لكن تم ملاحظة شكل من أشكال التعددية اللغوية، خاصة في المجالات التي كان يجب أن تُدار بالتعاون بين الإدارة الفرنسية والمغربية".

كانت النصوص الرسمية تُنشر آنذاك بالنسخة الفرنسية والنسخة العربية... أما اللغة الأمازيغية، فقد كانت، في ذلك الوقت، قد تم تجاهلها بالفعل. وهذا لم يكن ليخلو من عواقب فيما بعد على السياسات اللغوية للمغرب المستقل[98]".

وبذلك، كان على الأمازيغية أن تقاوم أمام لغات وسياسات متعددة كانت قد دفعتها إلى الهامش. لحسن الحظ، وبفضل مستخدميها، تم الحفاظ عليها حتى يومنا هذا، رغم أنها كانت منذ زمن طويل في تماس مع لغات الحضارات الكبرى.

أثناء الوجود الفرنسي (والإسباني) في المغرب، تم محاربة أي تنوع لغوي من قبل السلطة الاستعمارية ومن قبل الوطنيين. كانت نية الاستعمار فرض اللغة الفرنسية التي أصبحت، بحكم الواقع، اللغة الرسمية للمملكة الشريفة. أما الوطنيون، ومن أجل ضمان وحدة الأمة المغربية، فقد حاولوا بناء هوية وطنية متجانسة؛ قائمة على البُعد العربي الإسلامي. وبالتالي، تم فرض اللغة الفرنسية من قبل الإدارة الاستعمارية، بينما كان يتم تعزيز اللغة العربية من قبل الوطنيين. أما الأمازيغية، التي لم تكن لها وسائل واضحة لفرض نفسها، فقد كانت مهمشة ولم تُدمج في النظام الإداري. ومع ذلك، أثارت اهتمام علماء اللسانيات الإثنولوجية الفرنسيين الذين بدأوا في إجراء العديد من الدراسات.

أما السياسة ما بعد الاستعمارية في المغرب، فقد كانت محورية حول سلطة مركزية واحدة (الملكية)، ولغة واحدة (العربية)، ودين واحد (الإسلام). وكان يُنظر إلى التنوع على أنه خطر قد يؤدي إلى الانقسام. لكن اختيار التعريب الكامل لا يتوافق مع الواقع الاجتماعي والثقافي. فالأمازيغية هي اللغة الأم لعديد من المغاربة، ومن خلالها يمكن للأمازيغ تأكيد هويتهم

[97] Balta Paul, 1996: «Préface » dans, Roque Maria-Angels, Les cultures du Maghreb, Editions l'Harmattan, p.5.
[98] Quitout Michel, 2007: Paysage linguistique et enseignement des langues au Maghreb, des origines à nos jours, l'Harmattan, Paris, pp 50-51.

والتعبير عن وجودهم في المغرب بأكمل وجه. إن رفض الاعتراف بالتنوع الثقافي قد تسبب في العديد من المطالبات والمظاهرات من قبل عدة جمعيات ومثقفين أمازيغيين.

في النهاية، بدأ الانفتاح على الثقافة الأمازيغية، التي كانت مُمَيَّزة لفترة طويلة، مع قدوم الملك محمد السادس. في إطار من التوافق الذي يتضمن الاعتراف بالتنوع الثقافي للمغرب، وبغناه بفضل الثقافة الأمازيغية، بدأت هذه الأخيرة في اكتساب مكانة تدريجية في المشهد الثقافي العام. ومن جانبه، فإن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية(IRCAM) ، منذ تأسيسه في عام 2001، تمكن من إعطاء دفعة للثقافة الأمازيغية من خلال تعزيز مكانتها في الفضاء التعليمي، والاجتماعي الثقافي، والإعلامي الوطني (البحث، التعليم، النشر، وسائل الإعلام، وغيرها). كما ظهرت قناة تلفزيونية، "تمازيغت"، تقدم برامج متنوعة باللغة الأمازيغية.

بالنسبة لكتابة الأمازيغية، كان الحروف التي يجب استخدامها قد أثارت في عام 2003 نقاشات كبيرة داخل الطبقة السياسية وأعضاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية .(IRCAM) في الواقع، كانت هناك ثلاث مقترحات في ذلك الوقت لكتابة الأمازيغية:

1. إما استخدام الحروف العربية (على سبيل المثال، لكتابة كلمة "أمان" (الماء بالأمازيغية)، يتم كتابتها "أمان" (*amane*).
2. إما استخدام الحروف اللاتينية."amane"
3. أو استخدام التيفيناغ "ⴰⵎⴰⵏ ."

تم اعتماد الصيغة الأخيرة من قبل مجلس إدارة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. وهناك حاليًا العديد من الكتب والأبحاث والترجمات التي أُجريت باستخدام حروف التيفيناغ في المغرب.

✓ <u>حروف تيفيناغ tifinaghe</u>

أحد عناصر الخصوصية اللغوية الأمازيغية هو الرمز الرئيسي لهويتها: التيفيناغ. ببساطة، يمكننا القول إن التيفيناغ هو مجموعة الحروف التي تُستخدم لكتابة اللغة الأمازيغية. من الناحية الأثرية، يظهر التيفيناغ بالفعل في النقوش على الصخور التي تتعلق بفن النقوش الصخرية. "إنها في هذا الأبجدية التي تُكتب النقوش القديمة التي تُسمى "الليبية-البربرية" والتي تم العثور عليها في جميع أنحاء شمال إفريقيا ومنطقة الساحل، من البحر الأبيض المتوسط إلى جنوب النيجر ومن جزر الكناري إلى الحدود الغربية لمصر".[99]

استنادًا إلى المتغيرات التوارقية، قامت الأكاديمية البربرية بتطوير "التيفيناغ الحديث" في أواخر الستينات. وهو نظام أبجدي قياسي استخدم لكتابة اللغة الأمازيغية. مؤخرًا، طور المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية (IRCAM) نظامًا جديدًا يسمى "أبجدية تيفيناغ"IRCAM-، الذي يهدف إلى توحيد الكتابة، مع الأخذ في الاعتبار عند تطوير هذه الحروف أربعة مبادئ: التاريخية، البساطة، دلالة الرمز الواحدة، والاقتصاد. الحروف الأمازيغية التي يتم استخدامها حاليًا من قبل IRCAM <u>هي التالية:</u>

[99] Ameur Meftaha et al. 2004; Initiation à la langue amazighe, publications de l'Institut Royal de la Culture Amazighe Centre de l'Aménagement Linguistique (CAL), Série: Manuels - N° 1 -, Rabat.

حروف تيفيناغ حسب IRCAM

Prononciations	Lettres Tifinaghes	Correspondances latines	Exemples
ya	ⵄ	a	ⵜⴰⴱⵔⴰⵜ : *tabrat* (la lettre-postale)
yab	ⴱ	b	ⴰⵔⴱⴰ : *arba* (le garçon)
yag	ⴳ	g	ⴰⵔⴳⴰⵣ : *argaz* (l'homme)
yag^{w}	ⴳⵯ	g^{w}	ⴰⴳⴳⵓ : *aggou* (la fumée)
yad	ⴷ	d	ⴰⴱⵔⵉⴷ : *abrid* (le chemin)
yaḍ	ⴹ	ḍ	ⴰⴹⴰⴹ : *aḍaḍ* (le doigt)
yey	ⵉ	e	ⴰⵊⵊⵉⵢ : *ajejjiy* (la fleur)
yaf	ⴼ	f	ⴰⵙⵉⴼ : *asif* (la rivière)
yak	ⴽ	k	ⴰⴽⵙⵓⵎ : *aksum* (la viande)
yak^{w}	ⴽⵯ	k^{w}	ⵉⴽⵏⴰⵏⵛ : *iknanch* (les livres)
yah	ⵀ	h	ⴰⵀⵉⵜⵓⵔ : *ahitur* (la peau)
yaḥ	ⵃ	ḥ	ⴰⵃⵊⵊⴰⵎ : *ahjjam* (le tatouage)
yaɛ	ⵄ		ⴰⵄⴱⴰⵏ : *a'ban* (le vêtement)
yax	ⵅ	x	ⵉⵅⵍⵉⴼ : *iklif* (la tête)
yaq	ⵇ	q	ⵜⴰⵇⴱⵉⵍⵜ : *taqbilt* (la tribu)
yi	ⵉ	i	ⵉⵃⵎⵎⴰⵎⵏ : *ihmmamn* (les pigeants)
yaj	ⵊ	j	ⵜⵉⵊⵎⵜ : *tijmt* (l'étang)
yal	ⵍ	l	ⵜⴰⵎⵍⴰⵍⵜ : *tamlalt* (la gazelle)
yam	ⵎ	m	ⴰⵎⴰⵙⵢⴰⵣ : *amdyaz* (le poète)
yan	ⵏ	n	ⴰⵏⵏ : *allu* (les yeux)
yu	ⵓ	u	ⴰⵏⴱⴰⵓ : *anbdu* (l'été)
yar	ⵔ	r	ⴰⵢⵓⵔ : *ayur* (le mois/ la lune)
yaṛ	ⵕ	ṛ	ⴰⵏⵣⴰⵔ : *anzar* (la pluie)
yay	ⵖ	γ	ⴰⵖⵖⵓ : *ayyu* (le lait)
yas	ⵙ	s	ⵉⵙⵍⵍⵉ : *isIli* (la pierre)
yaṣ	ⵚ	ṣ	ⴰⵚⵙⵢⴰⴹ : *aṣyyaḍ* (le chasseur/ le pêcheur)
yac	ⵛ	c	ⴰⵛⴱⴱⵓⴷ : *achbboud* (branche de l'arbre)
yat	ⵜ	t	ⵜⵉⵔⵔⴰ : *tirra* (l'écriture)
yaṭ	ⵟ	ṭ	ⵜⴰⵏⵜⵜⵓⵜ : *tanttut* (la femme)
yaw	ⵡ	w	ⴰⵡⴰⵍ : *awal* (la parole)
yay	ⵢ	y	ⵉⵢⴰⵏ : *iyan* (le chien)
yaz	ⵣ	z	ⵜⵉⵏⵣⵉ : *tinzi* (l'éternuement)
yaẓ	ⵥ	ẓ	ⴰⵥⵔⵓ : *aẓru* (le rocher)

2-1-3 النقوش الصخرية

المجال الذي يمكننا ملاحظة ارتباط كبير بين الأبعاد المادية والرمزية، بين الآثار والرموز هو، بلا شك، مجال النقوش الصخرية. هذه التمثيلات الاستثنائية ما قبل التاريخية تنسجم مع أربعة عناصر: مفهوم الإنسان الراعي، المادة (الدعم الحجري وأدوات التنفيذ)، التقنية (النقش) والرمز (المشهد المرسوم). " [...] يظهر الرمز كعلاقة تسمح بالتصرف في العالم دون أن يكون هذا العالم مكشوفًا فعليًا: نقوش على الصخور حيث نرى الزرافات، ووحيد القرن، والفيلة، والنعام، والرجال يحملون الأقواس [...] هذه الآثار للأعمال الطقسية، المجتمعية التي تنتمي إلى الفنون الحرفية [...]، تشهد على الانبثاق البطيء والغامض للرمز. رمز - فن - الذي سوف يحتفل مبكرًا بما هو أكثر شيء غامض في الإنسان نفسه: محدوديته".[100]

في المغرب، من بين المواقع الأكثر تمثيلًا والغنية بالنقوش الصخرية، يمكننا ذكر "ياجور" في الأطلس الكبير. التمثيلات هناك متنوعة (الحيوانات الأليفة، البشر، الأسلحة)، وتُعطينا، من جهة، فكرة عن وجود روح الرمزية لدى الأمازيغ الأوائل، ومن جهة أخرى، عن أسلوب حياتهم (رعاة، مربي الماشية).

تُساعد المشاهد الممثلة في النقوش الصخرية، من جهة أخرى، في جعل النشاط العقلي للإنسان قابلًا للفهم بالنسبة لبيئته. "توفر النقوش الصخرية معلومات عن قدرة الرمزية، وهي قدرة تعني أن الإنسان كان قادرًا على تجاوز وتمثيل تجاربه الحياتية على الحجر. بدون هذا النشاط الرمزي، أي دون هذا العلاقة بين المُمَثِل والمُمَثَل، سيكون من الصعب، على سبيل المثال، الحصول على إشارات حول الفكر الرمزي في العصر الحجري الحديث".[101]

فيما يتعلق بأسلوب الحياة، ومن خلال المشاهد المنقوشة، نجد أنها ثقافة رعي تكثر فيها تمثيلات المواشي، والأشكال البشرية، حيث يغلب تربية الحيوانات على الصيد. "تتوافق المواقع المنقوشة مع المراكز التي لا تزال موجودة حاليًا للحياة الرعوية: نقاط المياه، الأودية، والممرات الطبيعية. وتعتبر أجمل النقوش معاصرة للعصر البرونزي الإسباني في "إل أرغار El Argar " (من –1700 إلى –1200). يمكن تأريخها من خلال وجود "فأس السلاح"، الفأس-الخنجر ذو النصل النحاسي، والمقبض الخشبي والمعدني، والمسامير الفضية. كما توجد العديد من الخناجر المثبتة ذات النصل المستقيم. وهذه هي دلالة على انتشار المعدن بشكل نسبي. ومع ذلك، يجب ملاحظة أنه بجانب هذا البرونز المتوسطي، توجد بقايا من العصر الحجري الحديث، مثل الأقواس والأصنام الأمومية.[102]

3-1-3 الفن الأمازيغي: العمران والأثاث (الفخار والسجاد والمجوهرات)

مثل اللغة وتجلياتها المختلفة، تُعرّف الآثار المادية الهوية الإنسانية. فهي تشكل عنصرًا أساسيًا في الثقافة، وتنتقل تقنيات التصنيع والبناء والتنفيذ من جيل إلى جيل. فيما يتعلق بالفن المادي الأمازيغي، يكتب غابرييل كامب: "يقدم الفن العديد من الأمثلة المرموقة لهذه الديمومة البربرية التي أصر العديد من المؤلفين على إبرازها".

في الواقع، ما يُسمى بـ"الفن البربري" في شمال إفريقيا والصحراء غالبًا ما يكون مجرد شكل بدائي من الزخرفة الناتج عن تقنيات بسيطة، يظهر عادة من خلال أنماط هندسية عُرفت في معظم الثقافات المتوسطية في مرحلة ما من تطورها، وبالتحديد في بداية عصر الحديد. ومع ذلك، فإن العديد من هذه الخصائص في الفن "البربري" لا يزال فنًا من عصر الحديد[103].

مع ذلك، وبعيدًا عن هذه الرؤية التقليدية والشعبية للفن التاريخي الأمازيغي، فإن جميع الفنون في المغرب المعروفة حتى اليوم (العمارة، الزليج، صناعة الخشب، الخط، التجليد، التطريزات، الأزياء، المجوهرات، الأسلحة، معدات الفروسية،

[100] Khireddine Mourad et Francis Ramirez & Christian Rolot, op. cit, p.32.
[101] Nhaila Mustapha, 2008 : « La dimension symbolique de la pierre », dans, Le jardin des Hesperides, Revue de la Société Marocaine d'Archéologie et du patrimoine (SMAP), semestrielle, N° 4 Mai/Octobre, La pierre et son usage à travers les âges, p. 14
[102] Brignon Jean et al, op. cit., p. 14.
[103] Camps Gabriel, 1995 : Les Berbères, Mémoire et identité, éditions Errance, 3" édition, Paris, p. 203-204

الجلود، الدنانير، الأدوات والآلات الموسيقية، إلخ) ما هي إلا نتاج تحالف أمازيغي/عربي، حضري/ريفي، بدوي/مستقر. نحن نعرض، كإنتاجات فنية مرتبطة، في الخيال، بالثقافة المادية الأمازيغية، أربع إنتاجات ثقافية: العمارة (مثل مخازن الحبوب الجماعية)، الفخار، السجاد، والمجوهرات.

1-3-1-3 العمران

تعكس الإنجازات المعمارية أسلوب الحياة الأمازيغي وتلبي احتياجات عملية بحتة. "في المغرب، تم تصميم عمارة الجبال، رغم أنها مبنية بالطين ومدعمة من الواجهة الشمالية بالحجارة، انطلاقًا من تحالف البدوي/المستقر، لأن التحركات الموسمية، إلى جانب الغزوات المختلفة، قد جعلت الأمازيغ يلوذون باللجوء إلى المناطق الوعرة ويعودون إلى السهول عندما يستقر الهدوء[104]".

من الناحية المعمارية، تعد المخازن الجماعية من أبرز المنشآت في الثقافة الأمازيغية. المخازن الجماعية (مستودعات الإمدادات الغذائية) ترمز إلى نوع من التعاون وتلبي الحاجة للأمن. "تتميز هذه المنشآت الواسعة، التي تأخذ أشكالًا وأسماء مختلفة مثل *أكادير* في جنوب المغرب، *غلا* في الأوراس، *رخرفة* في جنوب تونس، بأنها تحتوي داخل أسوارها على العديد من الأقسام التي يمكن للعائلات تخزين احتياطاتها فيها. في *أكادير* منطقة الأطلس الصغير، يتم ترتيب هذه الأقسام عادة في ثلاث صفوف".

كل أسرة تمتلك صفًا واحدًا. تلك الموجودة في الصف الأوسط، الأكثر حماية من الظروف الجوية القاسية مقارنة بالتي في الأعلى والأقل عرضة للآفات مقارنة بالتي في الأسفل، تعتبر الأكثر رغبة، إذا لم تمنع هذه التوزيعة الحكيمة أي احتكار. في هذا السياق، نجد تطبيقًا للمبدأ القديم المتساوي الذي يسود في جميع "الجمهوريات" القروية في البلدان البربرية.

من الناحية التاريخية والعمرانية، وبجانب هذه المخازن الجماعية، وبعض التجمعات السكانية المستقرة، وبعض المنازل الفاخرة "تيغرمت" (الحصون)، لم تتطور المدن بشكل كبير في المغرب إلا مع الهجرات والاحتلالات الأجنبية. نظرًا لأن الأمازيغ كانوا بدوًا، فإن آثارهم المعمارية تختفي وراءهم. في الأطلس الأوسط، يمتلك البدو خيمة ونادرًا ما يمتلكون "أنوال" (تصغير "تنوالت")، وهي كلمة أمازيغية تعني غرفة مبنية على عجل والتي تنهار كلما تم تركها سواء نحو السهول أو نحو الجبال العالية. وبناءً على ذلك، فإن العوامل التاريخية التي أدت إلى زيادة إنشاء المدن وأغنت تطورها الهيكلي هي: البيئة الخارجية، والإرث الداخلي، وتتابع السلالات، والتقسيم إلى إمارات، والتغيرات الاجتماعية. إن التطور العمراني لا يمكن فصله عن الوقائع التاريخية، ويمكن ترتيب المدن تاريخيًا إلى أربع مراحل: الفينيقية، والرومانية، والعربية الإسلامية، والأوروبية.

ومع ذلك، فإن الموانئ الفينيقية والمدن الرومانية تقتصر على علم الآثار، ولا تزال هياكلها محفوظة إلى حد ما. أما "المدينة"[105](المدينة العربية الإسلامية) فقد احتفظت، حتى يومنا هذا، بالعديد من جوانب نمط الحياة الحضري في المغرب التاريخي.

2-3-1-3 الفخار

تتعلق أولى الفخاريات التي تُعتبر أمازيغية بالاكتشافات التي تحتوي على قطع خزفية تعود إلى الفترات ما قبل التاريخية والعتيقة. "في المدافن البربرية من العصور القديمة، يكتب كامب Camps ، في الدلومانات dolmens مثلما في البازينات bazinas (وأقل شيوعًا في التلال في المنطقة ما قبل الصحراوية)، تكشف الحفريات عن خزف محدود العدد عادةً يكون مرتبطًا بعدد الأفراد المدفونين في القبر".[106]

---

[104] Khireddine Mourad et Francis Ramirez & Christian Rolot, op. cit., p.72

[105] كلمة "المدينة" في اللغة العربية تعني "المدينة". وهي تشير إلى المدينة المقدسة "يثرب"، التي أصبحت تُعرف لاحقًا بـ"مدينة النبي".

[106] Camps Gabriel, 1961 : Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques, publié avec le concours du Centre National de la Recherche Scientifique, des Facultés des Lettres et des Sciences Humaines d'Alger et de Rabat, et de la Mission Culturelle Française au Maroc, Arts et Métiers, p 215.

على مر العصور، تم إثراء المنتجات المحلية بفضل المساهمات التي قدمتها الحضارات الفينيقية، والرومانية، والعربية، والأوروبية التي عرفها المغرب. أما الأشكال والوظائف فقد تغيرت قليلاً مع مرور الزمن منذ الأواني ما قبل التاريخية الأولى.

أما بالنسبة لطرق التصنيع، فإن التشكيل، والطهي، والزخرفة على الفخاريات بقيت بدائية. بدءًا من الطين، والإضافات، والماء، يتم تحضير عجينة بلاستيكية وتشكيلها باستخدام عدة طرق: التشكيل اليدوي، واللف، والتدوير أو القوالب. بعد ذلك، تُجفف القطعة وتُطهى بدرجة حرارة مناسبة لكي تصبح صلبة. وأخيرًا، تسمح اللمسات النهائية بتصحيح العيوب تقنيًا وتجميل القطعة. الخطوط، والنقاط، والأشكال المتعرجة، والأسنان المنشارية، والصليب، والمعينات هي كلها زخارف تذكر بالوشوم والأقمشة الريفية.

في مناطق الريف بالمغرب، يتم تشكيل الفخار بواسطة النساء بالقرب من عتبة المنزل. أشكال الأدوات متنوعة، ولا تساويها إلا تنوع الاستخدامات التي تُخصص لها (مثل الزلافة zlafa (الوعاء لشرب الحساء)، الحلاب hallab (الوعاء للحليب)، القدرة Guedra (الجرّة للماء) وغيرها).

من الناحية الوظيفية، كانت المنتجات في البداية تتمتع بطابع عملي واستخدامي، وكانت تتكون في الغالب من أوعية مختلفة. كانت تُستخدم للشرب، والأكل، ونقل السوائل. مع مرور الوقت، أصبحت الفخار أيضًا عنصرًا فاخرًا وزخرفيًا، حيث اكتسبت أبعادًا فنية مليئة بالعواطف.

3-3-1-3 السجاد والنسيج

السجاد هو منتج مصنوع من الصوف، ملون ومُنسوج بتناغم مع أنماط هندسية وتجريدية. يشبه الكل لوحة زخرفية ولكنها عملية. السجاد الأمازيغي، مثل جميع الإنتاجات الثقافية الأخرى، هو تعبير عن المهارات المحلية. يُعتبر النسيج، وهو فن نسائي قديم جدًا في المغرب، قد تطور عمليًا بفضل الإبداع المحلي، وأحيانًا بفضل دمج وتكييف عناصر مأخوذة من ثقافات أخرى. إنه مجال حيث تعتمد المرأة على ذاكرتها وترسم بحرية الأشكال الهندسية. أما المشاركة الرجالية، من "النوّار"، وهو متخصص في صنع السجاد في الأطلس الشرقي، فهي تقتصر على السجاد الأرضي.

في نهاية القرن التاسع عشر، كان نسيج السجاد، وفقًا لبروسبر ريكارد Prospere Ricard ، نشاطًا منتشرًا في معظم المدن المغربية[107]. مثل جميع الإنتاجات الثقافية، يتميز السجاد بخصوصيات تخص كل منطقة، سواء من حيث التقنيات أو الجمالية. [...] وفقًا لخصوصياته، يتم تصنيف السجاد المغربي عمومًا إلى ثلاث مجموعات (انظر مجموعة السجاد المغربي لريكارد): السجاد الحضري، سجاد الأطلس الأوسط والمغرب الشرقي، وسجاد الأطلس الكبير وهاوز مراكش[108].

انطلاقًا من هذا التصنيف، يمكننا افتراض أنه، بالمقارنة مع السجاد الحضري، فإن جزءًا كبيرًا من السجاد في المجموعتين الأخريين هو سجاد أمازيغي. "العقدة الأمازيغية هي القاعدة؛ والتركيب وعناصر الزخرفة متطابقة مع تلك الموجودة في سجاد الأطلس الأوسط، بل والأطلس الكبير. الألوان السائدة هي الأحمر القرمزي والأزرق النيلي[109]".

في الأطلس الأوسط، يمكننا تمييز عدة أنواع: "إيهانبل"، "تازربيط"، و"تيغديفت" ihanbel, tazerbiyt et tigdift. كل قبيلة (آيت يوسي، آيت مغيلد، زاين، إلخ) لها خصوصياتها التقنية والزخرفية.

في الأطلس الكبير، يُنسج السجاد تقريبًا من قبل جميع القبائل الأمازيغية وهو مخصص للاستخدامات المنزلية ونادرًا ما يُستخدم تجاريًا. "من ناحية أخرى، يُنتج الحنبَل والتلِيس (غطاء من الصوف ممزوج بشعر الماعز، كان معروفًا سابقًا في المغرب والأندلس الإسلامية) بكميات كبيرة من قبل جميع الطبقات الاجتماعية ثم يُباع في أسواق الجبال[110]".

تتميز هذه السجاد باستخدام جميع الألوان: الأسود، الأصفر، الأخضر، البرتقالي، إلخ.

[107] Cité par Amahan Ali, dans, Khatibi Abdelkbir et Amahan Ali, Du signe à l'image, le tapis marocain, Edition Lak international, 1996, p 26
[108] Amahan Ali, op. cit., p. 40
[109] Idem, p. 60.
[110] Amahan Ali, op. cit., p 81.

تشترك الزخارف الفنية للسجاد، مثل الزخارف الهندسية على الفخار، في تجريد يعود إلى العصور القديمة. وهذه الأشكال تذكر بالزخارف التي استخدمتها الشعوب المتوسطية.

4-3-1-3 المجوهرات

المجوهرات، مثل الوشم، تنتمي إلى فن الزينة. تلبي المجوهرات عدة احتياجات، ويمكن تصنيفها إلى: مجوهرات الزينة، مجوهرات الادخار، المجوهرات التمائمية (مثل "الخمسَة") والمجوهرات العملية (مثل الدبابيس، حلقات الأحزمة أو الصناديق). "المجوهرات التي تزين المرأة تتراوح من الخواتم إلى السلاسل وأساور الكاحل مرورًا بالتاج، الدبوس، القلادة، القلادة المعلقة، الطوق، السوار، التميمة، الدبوس، البروش، الأقراط، حلقة الحزام، "الخمسَة"، والزينة المؤقتة والصدرية".[111]

بخصوص المجوهرات الأمازيغية، يكتب هنري تيراس Henri Terrasse: "المجوهرات البربرية تتمتع بجودة ثمينة: القوة[112]". ثم يضيف: "تُظهر أشكال الزخرفة أيضًا مصادر إلهام مختلفة. تبقى الزخرفة الهندسية الأكثر شيوعًا، لكن، إلى جانب التراكيب البسيطة من الخطوط المستقيمة، تتداخل الدائرة وتفرعاتها. أخيرًا، لا تكون الزخرفة النباتية نادرة: في بعض الأحيان تتكون من أغصان سميكة تبرز منها سعفات قصيرة ذات مظهر قديم جدًا، وفي أحيان أخرى تكون لعبة من المنحنيات شبه التجريدية، وأحيانًا، تظهر تحت أشكال أكثر وضوحًا، النخلة الإسبانية-المغربية، التداخلات، القوس الجانبي وتفرعاته، والخط الكوفي المزيف: حيث تكون إلهام الفن الإسلامي واضحًا جدًا هنا".[113]

تُعد المجوهرات مجالًا يتجلى فيه بشكل أكثر وضوحًا العلاقة بين الآثار والرمزية. فهي تحمل العديد من الرموز: هي رمز للثروة، وتعبير عن الأنوثة، وجالب للحظ، ووسيلة لتعزيز جمال المرأة وتأكيد وجودها في محيطها. بالإضافة إلى هذه الوظائف، تلعب صناعة المجوهرات والحرف اليدوية دورًا مهمًا في النشاط الاقتصادي. فقد كان تجارة المعادن الثمينة تشكل جزءًا كبيرًا من الاقتصاد منذ العصور القديمة. كان الذهب القادم من إفريقيا يُنقل عبر الطرق البرية، عبر القوافل العابرة للصحراء الكبرى، ليتم توزيعه في حوض البحر الأبيض المتوسط أو ليتم تشكيله في ورشات المدن الكبرى في شمال إفريقيا.

يصف هنري تيراس تقنيات صناعة المجوهرات الأمازيغية قائلاً: "بإضافة نُحاس الفضة، يضيفون الألوان الأكثر حيوية من المينا المزخرف: لا يوجد تلوين مبالغ فيه، ولكن في بعض الأحيان يتم استخدام تناغمات دقيقة وصعبة بين الأزرق، والأخضر، والأصفر. في وسط أجمل القطع، توضع حجر أو زجاجية مزخرفة لتعطي لمسة لامعة. هكذا، من النُحاس إلى المينا وصولًا إلى الجوهرة، ترتفع وتزداد الألوان في المجوهرات البربرية".[114]

2-3 رمزية الثقافة الأمازيغية بين الواقعية وأحكام القيمة

الرمزية هي مجموعة من الصور الذهنية وطرق إدراك الثقافة الأمازيغية. وهي تختلف وفقًا للموضوع (الشخص الذي يحمل التصور) والموضوع (على من أو على ماذا يُنظر). لدى الأمازيغ شعور جوهري بهويتهم، ومن الناحية الخارجية، تُعتبر ثقافتهم موضوعًا للصور النمطية والتصورات المسبقة من قبل غير الأمازيغ.

1-2-3 نمط العيش

[111] Khireddine Mourad et Francis Ramirez & Christian Rolot, op. cit., p.72.
[112] Terrasse Henri et Hainaut Jean, 1988: Les Arts décoratifs au Maroc, éd Afrique/Orient, p. 70.
[113] Terrasse Henri et Hainaut Jean, op. cit., p.71
[114] Idem, p. 71.

التصور الذي لدينا عن أسلوب حياة الأمازيغ يربطهم بالبدوية. هذه الأخيرة هي نتيجة للتنقل المستمر والتوازن بين الحركة الدائمة والثبات المؤقت. لقد أجبرهم القلق الأمني على البحث عن مأوى في المناطق التي يصعب الوصول إليها، بينما فرضت عليهم الأوضاع الاقتصادية حياة من التنقل الموسمي بين السهول والجبال.

فيما يتعلق بالتركيب الاجتماعي، تُعد الأسرة أساس البنية الاجتماعية. تتكون العديد من الأسر من فروع، ويمثل تجميع هذه الفروع القبائل، ويمكن للعديد من القبائل أن تُشكل اتحادات. بشأن أهمية البُعد العائلي/الاجتماعي، كتب غابرييل كامب Gabriel Camps: "في الحقيقة، لا يهتم معظم الناس في المجتمع البربري التقليدي بالمشاكل السياسية الكبرى، ولا حتى بتحديد فلسفة السلطة. ما يهم في المقام الأول هو الاندماج في الوسط العائلي، في قبيلته، قريته، فصيلته[115]".

أي تجمع اجتماعي لا يُفهم إلا كتركيب من رجال ينحدرون من نفس السلف، ويحملون اسمه (آيت عطاء، آيت حسين). في ظل ظروف تتميز بتشتت البدو على مساحات واسعة ومتقطعة، يفرض القلق على الحفاظ على التماسك القبلي أن يحافظوا على روابط اجتماعية قوية جدًا. في غياب الارتباط بمنطقة، كما في حالة المستقرين، يحافظ البدو على هويتهم من خلال مبدأ "تيمات teimat " (التماسك بالدم).

في هذا السياق، تعتبر التضامن قيمة أساسية بالنسبة للأمازيغ. "لقد كان روح التضامن دائمًا متطورًا جدًا، كما هو الحال في معظم المجتمعات الريفية. فهو الذي كان أساس مبدأ "التويزة touiza "، المعروف عالميًا في المغرب الكبير. ويتعلق الأمر بالأعمال الجماعية التي يتم التبرع بها بحرية لصالح المجموعة أو رئيس الأسرة. تمتد "التويزة" لتشمل جميع أنواع الأعمال، سواء كانت بناء مبنى، إصلاح طريق، حفر قناة ري، أو الأعمال الزراعية الكبيرة مثل الحصاد أو الدق[116]".

مع الاستقرار، نشهد على إنشاء الفروع، ولهم تأثير كبير على أعضائهم. في المدن، من الواضح أن الفروع القبلية غير موجودة وأن المجتمع مكون من خليط (عرب، أمازيغ...). ومع ذلك، يجب الإشارة إلى أن هناك مدنًا كبيرة في المغرب يعيش فيها غالبية السكان من الأمازيغ، ويتحدثون غالبًا اللغتين: العربية والأمازيغية (على سبيل المثال: أغادير، أزرو، والناظور).

2-2-3 الوشم، والزخارف الرمزية الغامضة

الوشم هو أثر جسدي متعدد المعاني. تتفاوت المعاني العديدة لهذه الزخرفة بين التبشير والطقوس المغربة، ولكن نظرًا لرموزه الزخرفية الغامضة، فإن الوشم بعيد عن أن يكون قابلاً للفهم بشكل كامل. "هل هو وسيلة للتعبير عن الكائن؟ أم هو رمز سحري، سعي غير معلن للإغواء؟ أم هو حاجة غير مبررة لإعطاء امتداد لجمال داخلي؟ هل هو تقليد لجاذبية تهدف إلى تشتيت الانتباه عن الجمال الحقيقي؟ كيف نعلم؟ جميع التفسيرات، كل التفسيرات، تتداخل هنا مع بعضها البعض[117]".

في المغرب، تختلف أشكال الوشم من منطقة إلى أخرى، مما يشير إلى اهتمام بالهوية. "غالبًا ما تكون الأشكال عبارة عن نقاط على شكل ماسة، أو خطوط على شكل صليب أو نجوم، أو خطوط على شكل مثلثات أو دوائر، والتي يتم تكرارها على السجاد".[118]

3-2-3 الثقافة الأمازيغية والتعبيرات الشفهية

كانت الثقافة الأمازيغية، في غياب الوثائق الأدبية والآثار المكتوبة، تُعتبر على مر القرون ثقافة شفهية. وتتمحور هذه الشفاهية بشكل رئيسي حول الأغاني (مثل أغاني الاحتفالات، العمل، والحصاد)، والحكايات، والقصص، والأساطير،

[115] Camps Gabriel, (1995), op. cit., p. 244
[116] Id., p. 244
[117] Khireddine Mourad et Francis Ramirez & Christian Rolot, op. cit, p.70.
[118] Idem p. 71.

والأمثال. الأنواع المختلفة من الشعر والفنون الموجودة في الأمازيغية تشمل: إحليل ,ihllil ، أحيدوس ,ahidous ، أحواش ,ahwach ، تماويت ,tamawayt ، إيزلان izlan ، وغيرها.

لم تتمكن النقوش الصخرية بمفردها من شهادة على تقليد مكتوب مرتبط بهذه الثقافة. حتى التيفيناغ، كان قد وقع في النسيان حتى الستينات ولم يكن يُستخدم إلا في نسخته القديمة من قبل التوارق .Touaregs. إلا أن نظام الكتابة الحالي، تيفيناغ IRCAM ، قادر في المستقبل على تقديم صورة أخرى للأمازيغية، وهي أنها لغة مكتوبة.

4-2-3 الثقافة الأمازيغية كثقافة شعبية

لطالما كانت الثقافة الأمازيغية مرتبطة بالشعبية. ويُفسر ذلك بغيابها التام في الأوساط الحديثة لاكتساب ونشر المعرفة (الإنترنت، المؤسسات، الاقتصاد، التجارة، المنظمات، والمؤسسات). كما يرتبط ذلك أيضًا باللجوء إلى الوصفات التقليدية في مختلف المجالات. فبجانب دور الأعشاب الطبية العلاجية، على سبيل المثال، يُستخدم التمائم والتعويذات كوسيلة للحماية.

5-2-3 الأمازيغية كلهجة

لطالما تم تصنيف الأمازيغية كلهجة. في الواقع، لم يبدأ الترويج الرسمي لمكونات الثقافة الأمازيغية في المغرب إلا مع إنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية .(IRCAM) وكان خطاب الملك محمد السادس في 17 أكتوبر 2001 في أجدير (منطقة خنيفرة) حدثًا هامًا في تاريخ رسمية اللغة الأمازيغية وشرعنتها. كما أن الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الذي تم وضعه في أكتوبر 1999 في إطار إصلاح التعليم في المغرب، تضمن آلية (الآلية 9، الفقرة 115 و116) تتعلق بإدخال اللغة الأمازيغية في التعليم. ومنحت الدستور المغربي الجديد الأمازيغية صفة اللغة الوطنية. وقد سمحت هذه الترقية، ذات الطابع السياسي، في النهاية للأمازيغية بالارتقاء إلى مستوى اللغة الرسمية.

انتقال اللهجة لتصبح لغة، أو العكس، ليس سوى نتيجة لتأثير سياسي. بالنسبة لجورج مونيان، اللغة هي مجرد لهجة انتصرت سياسيًا، بينما اللهجة هي لغة تم هزيمتها سياسيًا.

6-2-3 الممارسات الإجتماعية

"حلق الرؤوس، أكل الكسكس، ارتداء البُرنس". هذه المقولة، التي غالبًا ما تُنسب إلى ابن خلدون ولكنها في الواقع من مؤرخ مغربي من نهاية القرن السابع عشر، الحسن اليوسي، تحدد بشكل مختصر وملموس الرجل والمجال البربري[119].

من خلال هذا النص، يمكن ملاحظة أن الاقتباس يعالج ثلاث سمات (حلق الرؤوس (1)، تناول الكسكس (2)، ارتداء البُرنس) 3() ويدرس إدراكها الذاتي من قبل مؤلف مقدمة الكتاب (بول بالطا)، كعلامات عرقية للمجال البربري.

تم نسب الاقتباس خطأً إلى ابن خلدون، بينما هو يعود إلى القرن السابع عشر فقط. وهذا يدفعنا إلى افتراض وجود سمات ثقافية قد تكون ذات صلة بثقافات معينة، لكن تم نسبها بشكل خاطئ إلى ثقافات أخرى.

7-2-3 الأمازيغ والتمدرس

يواجه الأمازيغ صعوبة في الوصول إلى التعليم بسبب نقص البنية التحتية، والمدارس الثانوية، والجامعات في التجمعات السكانية الصغيرة في المغرب، التي يسكنها عدد كبير من الأمازيغ. كما أن البداوة في القبائل وتشتت القرى لا يشجعان على إنشاء هياكل مؤسساتية تعليمية كبيرة. لهذا السبب، يُخصص العديد من الشباب الأمازيغ، منذ سن مبكرة، للعمل في الأعمال الزراعية والحرفية. بالنسبة للأولاد، يعتنون بالقطعان ويعملون في الحقول، بينما تُخصص الفتيات وقتهن في النسيج والعمل اليومي في المنزل (جلب الماء، الطبخ، إلخ).

[119] Balta Paul, op.cit, p. 5.

في أعماق قرية صغيرة، أو تحت خيمة بدوي، تعطي التقاليد الفلاحية والبدوية الانطباع بأن الفضاء والزمن لم يعدا كما هما. تسعى السكان للبقاء على قيد الحياة، وظروف الحياة الحديثة (الوصول إلى التعليم، وسائل النقل، والعمل الميكانيكي) لا تزال بعيدة المنال.

خلاصة:

التصورات المرتبطة بالثقافة الأمازيغية هي في النهاية مجرد لقاء بين الأشياء المادية أو أحداث من العالم الواقعي وإدراكاتها المختلفة في أذهان الأشخاص (من أولئك الذين سيكوّنون التصور). هذا اللقاء بين الموضوع/الشيء/الإدراك هو ما سيحدد الخصائص الذاتية والموضوعية لتصور هذه الثقافة.

لم يكن من السهل أبدًا رسم الأبعاد المتعددة لثقافة تأتي جذورها من أعماق العصور عبر الأشياء والتعبيرات الثقافية. من خلال هذه التأملات، لاحظنا أن التصورات المتعلقة بالثقافة الأمازيغية ترتبط بسياقات خاصة يمكن تلخيصها في ثلاث مراحل:

1. المرحلة الأولى حيث كانت الثقافة الأمازيغية مهمشة. تم الدفاع عن وحدة ثقافية في فترات كان يُنظر فيها إلى التنوع، من جهة، كتهديد (في سياق الاستعمار) ومن جهة أخرى، باعتباره غير ذي فائدة كبيرة.
2. المرحلة الثانية التي كانت مرحلة صراع حيث كان هناك معارضة بين السلطة السياسية والعاملين في المجال الثقافي ضد اليقظة الأمازيغية.
3. وأخيرًا، المرحلة الثالثة حيث أصبح لدى الثقافة الأمازيغية فرص أكبر لتكون مُعزَّزة في إطار تصور متعدد لِـ "الأمة المغربية"، في سياق الانفتاح والديمقراطية في النظام السياسي. اليوم، يُنظر إلى التنوع الثقافي كغنى وثروة يجب الحفاظ عليها وتعزيزها.

على صعيد آخر، لاحظنا أن هناك مجالين يدوران حول الثقافة الأمازيغية: المادي والرمزي، وأن جذورها في شمال إفريقيا بشكل عام، وفي المغرب بشكل خاص، واضحة. ومع ذلك، فإن التجارب الثقافية الأمازيغية تختلف باختلاف المكان، سواء كان في مدينة كبيرة أو في قرية صغيرة.

ISSN 2569-734X

المجتمع المغربي في الأنثروبولوجية التأويلية

بين كليفورد غيرتزوارنست غلنرو انتقادات عبد الله حمودي

Moroccan society in interpretive anthropology

Between Clifford Geertz, Ernest Gellner and the criticisms of Abdullah Hamoudi

معتصم بوبكر

دكتوراه في علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة ابن طفيل القنيطرة / المغرب(Moatasim1245@gmail.com)

ملخص الدراسة باللغة العربية:

يتناول هذا المقال أهمية الأنثربولوجيا التأويلية في دراستها للمجتمع المغربي في مرحلة تاريخية ما، كما يسلط الضوء أيضا على بعض النواقص التي تركتها هذه الدراسات والتي جاءت نتيجة صعوبة فهم خصائص المجتمع المغربي ومميزاته، كما نستعرف فيه أيضا مجمل الانتقادات التي وجهها المفكر الأنثربولوجي المغربي عبد الله حمودي لهذه الدراسات وكدا مساهماته في تطوير الدرس الأنثربولوجي العربي.

الكلمات المفاتيح: الأنثربولوجية التأويلية، المجتمع المغربي، الثقافة، الانتقادات، الآفاق

Summary:

This article deals with the importance of interpretative anthropology in its study of Moroccan society in a historical stage, as well as highlighting some of the deficiencies that these studies have left, which came as a result of the difficulty of understanding the characteristics and advantages of Moroccan society, and we also recognize the overall criticism of the Moroccan anthropological thinker Abdullah Hammoudi For these studies, its .contributions to the development of the Arab anthropological lesson

Interpretive anthropology, Moroccan society, culture, criticisms, prospects

اشكالية الدراسة:

إلى أي حد ساهمت الانثروبولوجية التأويلية في فهم المجتمع المغربي بخصوصياته الثقافية المتنوعة والمتميزة؟ وما هي أبرز الانتقادات التي قُدّمت لهذه الدراسات؟

مقدمة:

نسعى من خلال هذا المقال إلى تسليط الضوء على جزء من الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت المجتمع المغربي في حقبة تاريخية معينة، وعليه انصبّ اختيارنا على نموذجين من أعلام هذه الدراسات "ارنست غلنر و كليفورد غيرتز"، مبينا في هذا الجانب أهم ما قدّمته هذه الدراسات للمجتمع المغربي، وذلك في سياق الدراسات ما بعد الكولونيالية. وفي نفس السياق، سوف نركز على الانتقادات التي وجهت لهذه الدراسات خصوصا مع عبد الله حمودي.

شهد المجتمع المغربي في فترات تاريخية معينة مجموعة من الدراسات ذات الطابع الكولونيالي. خصوصا الدراسات الفرنسية سواءً الاستكشافية منها أو الإثنوغرافيا، كلها دراسات قدمت المجتمع المغربي على أساس أنه مجتمع تقليدي عتيق يتميز بخصوصيات فريدة من نوعها. فهذه الدراسات كان مفادها تمهيد الطريق للمستعمر الفرنسي قصد الدخول إلى المغرب واستعماره بناء على كل الدراسات التي قدمت له. ومع ذلك فغرضنا نحن من هذا المقال ليس إعادة تكرار هذا الدراسات، بل هو التركيز على دراسات ما بعد الكولونيالية، خصوصا الانجلوسكسونية.

وفي هذا الصدد سوف نشتغل على نموذجين اثنين كما سبقت الإشارة، مع الانتقادات التي وجهت لهذه الدراسات في سياق انثروبولوجي. وسوف نُقسّمُ هذا المقال إلى ثلاثة مباحث، بالإضافة إلى الاشكالية المركزية. وسنتناول في المبحث الأول إسهامات كليفورد غيرتز، وفي المبحث الثاني سنتناول فيه أهمية الدراسات التي قدمها ارنست غلنر للمجتمع المغربي في علاقتها بالأنثربولوجية التأويلية، بينما سنخصص المبحث الأخير لبعض الانتقادات التي يوجهها عبدالله حمودي لهذه الدراسات.

- **المبحث الأول: إسهامات إرنست غلنر في دراسة المجتمع المغربي**

إرنست غلنر هو عالم أنثروبولوجي بريطاني قدّم مجموعة من الدراسات المعمقة حول المجتمع المغربي، حيث ركز على مفهوم الانقسامية، مبينا ذلك من خلال الدراسات التي قدّمها عن المجتمع المغربي. حيث قام بتحليل البنيات القبلية في المغرب، مركزا على أنّ هذا المجتمع يتسم بظاهرتين وهما: الانقسامية وهي بالنسبة إليه خاصية بنيوية، أمّا الخاصية الثانية تَكمُن في الهامشية باعتبارها خاصية مجالية تتصل بالموقع.

"يقول غلنر إنّ كلا من السلطة والإيمان والثروة هي مفاهيم تخبرنا عن طريقة اشتغال النظام الاجتماعي الكلي، وتبين المنطق الذي يخضع له. اهتم غلنر بشكل أساس بدراسة السلطة والإيمان في المغرب الأقصى، ما دفعه إلى تكريس أبحاثه للتفكير في علاقة السلطتين السياسية والدينية، والتي تتبلور في بنيتين سوسيولوجيتين، حينما تتقاطع إحداهما مع الأخرى، يستحيل على أي سلطة مركزية مقاومتها"[120]. إنّ التركيز الشديد لدى غلنر عن مسألة السلطة والإيمان في علاقتها بالنظرية الانقسامية تمثل بالنسبة إليه بديلا من الدولة المركزية، ويبرر ذلك بأنّ القبائل تعتمد على نظام داخلي يشبه النظام السياسي "اللادولتي"، وهو نظام حسب غلنر قائم على التضامن بين الأفراد ضد الأطراف الخارجية.

يحيلنا هذا الطرح الذي قدمه غلنر على أهمية القبيلة كنظام اجتماعي في المجتمع المغربي في علاقتها بالسلطة المركزية، وهذا لا يبرر القول بأنّ القبيلة كانت في زمن ما في تاريخ المغرب في علاقة تضاد مع المخزن، وهذا الطرح استفاضت الدراسات الكولونيالية في تفسيره وتحليله، حيث صورت المجتمع المغربي على أساس أنه مجتمع منقسم إلى قسمين، قسم خاضع لنظام المخزن ونفوذه وقسم آخر خارج نفوذ المخزن، حيث سَمّته بالقبائل المتمردة أو بلاد السيبة.

لا نسعى هنا إلى العودة لتحديد مفهوم القبيلة في الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية وما قدمته بخصوص هذا النظام الاجتماعي بالمغرب، غير أنّ سياق هذا المقال يفرض علينا نوعا ما ذكر هذه الإشارة في علاقتها بالنظرية الانقسامية التي تبنّاها غلنر في دراسته للمجتمع المغربي.

وفي هذا الصدد تعتبر النظرية الانقسامية "هي إحدى الموضوعات الأكثر حضورا في النقاشات الانثروبولوجية المتعلقة بالمغرب الكبير منذ سبعينيات القرن العشرين بعد نشر إرنست غلنر أولياء الأطلس. تتلخص الأطروحة التي

[120]- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنست علنر – كليفورد غيرتز، ترجمة نوري دريس، مراجعة شوقي الدويهي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الطبعة الأولى، بيروت، آذار /مارس 2023، ص 69.

طورها في هذا الكتاب في فكرة مفادها أن القبائل "الهامشية" في مرتفعات الأطلس الكبير المغربية، على الرغم من أنها لا تعترف بالسلطة المركزية، ولا تمتلك مؤسسات تحتكر استعمال العنف، إلاّ أنها تتمتع بنظام سياسي يضمنُ السلم الاجتماعي قليلا أو كثيرا"[121]. إنّ هذا النظام الاجتماعي والسياسي الذي تتمتع به أغلبية القبائل في تاريخ المغرب بعيدا عن السلطة المركزية هي النقطة التي أسالت الكثير من لعاب الباحثين في المجتمع المغربي، لأنها مسألة غير مفهومة إلى حد كبير لديهم، وهذا راجع بالأساس إلى أنّهم يرون المجتمع المغربي بعيون أجنبية لا بعيون مغربية تنتمي للمجتمع بشكل واضح.

لقد أدى هذا الطرح الذي تبنته الأنثروبولوجية التأويلية في إطار مشروع النظرية الانقسامية إلى بروز أنماط جديدة من التفسير والتحليل. لكن بالرغم من كل، هذا استطاعت المدرسة الانقسامية أن تتجاوز مجموعة من الطروحات خصوصا الفرنكوفونية منها "استطاعت الانثروبولوجيا الانقسامية أو "التجزيئية"، بحافز وتأثير أنغلوسكسوني، أن تتخطى النزعة الكولونيالية من خلال توسيعها مجال البحث الميداني، محاولة الابتعاد عن التنظيرات الايديولوجية المباشرة. وقد ساعدت تلك الوضعية في أن تجلب لها العديد من الباحثين من ميدان الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع السياسي بخاصة"[122].

لقد دأب غلنر في دراسة خصائص المجتمع المغربي بناء على طروحات النظرية الانقسامية، تلك النظرية التي لم يستطع غلنر خلع لباسها إلاّ فيما بعد. حيث اعتمد عليها بشكل كبير بالرغم من الانتقادات التي وُجّهت لها. وذلك باعتبار أنّ غلنر كرّس جهده المعرفي لدراسة الثقافة الأمازيغية الكلاسيكية بالأطلس الكبير بغض النظر عن دراساته عن الإسلام والقبيلة والسلطة. "لدراسة التحولات التي خلّفها الاستعمار الفرنسي (المركزية الإدارية، التحضر، الأجيرية ...)، قام غلنر ببناء براديم البربرية الكلاسيكية الذي يأخذ شكله من التعارض بين العرب/الأمازيغ، العلماء/الأولياء الصالحين، الفقه/العرف...وبالتالي- واستنادا إلى ما كتبه في هذا الصدد – فإنّ "الثقافة الأمازيغية الكلاسيكية هي عبارة عن نظام اجتماعي وسياسي قبلي، يتميز بالانشقاق الدائم (السيبة)، وبممارسة دينية مُعَاشة عبر مجموعة من الطقوس الجماعية العاطفية الحماسية، وبوجود أولياء صالحين يتمتعون بسلطة معترف بها لهم، وبلغة أمازيغية شفوية، وباستعداد

121- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنست علنر – كليفورد غيرتز، مرجع نفسه، ص 98.
122- محمد نجيب بوطالب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب الكبير، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، حزيران/ يونيو 2002، ص، 38.

القبائل لتجديد موظفي السلطة المركزية خلال فترات تاريخية معينة من أجل تأسيس سلالة جديدة بحجة أن السابقة خانت روح الإسلام".[123]

إنّ هذا الطرح الذي وظفه غلنر يبين عجز الطرح الانقسامي في فهم خصائص المجتمع المغربي وتفسيرها، لهذا بقيت وفية للطرح الكولونيالي الذي سار على هذا النحو لوقت طويل. وهذا الطرح لم يكن سوى مبرر من باقي المبررات التي قُدمت للإدارة الفرنسية قصد تسهيل مأمورية استعمار المغرب، حيث صوّرت المغرب على أساس أنّه نظام قبلي تحكمه ضوابط اجتماعية ثقافية ودينية محضة. وهذا الطرح اعتمد عليه غلنر في دراسته عن المغرب. غير أنّه سرعان ما غيّره، خصوصا فهمه لمجريات التغير الحاصل بين ثنائية المدينة والبادية في علاقتها بالإسلام بالدرجة الأولى، "الخلاصة التي وصل إليها غلنر، هي أنّ الفوضى يتم ترويضها من الولي الصالح الذي يقضي على الطابع الحركي للقبيلة. لكن كلاهما يُكملُ بعضه بعضا، ويسيران معا، الأمر الذي يؤدي إلى تحرير طاقة تهدد أحيانا السلطة المركزية. يحدث بالفعل، في كثير من الأحيان، أن تبلور حماسة المقدس في حركة تسعى لإعادة إحياء الإسلام النقي الذي دنسته المدينة، مقر السلطة المركزية. وبذلك، تصبح السلطة الحاكمة مهددة من هذا الحراك الذي لا يهدف إلى فرض اللغة الأمازيغية على الناطقين بالعربية في المدينة، ولا طقوس التبرك بالأولياء على سكانها، بل الهدف هو استعادة كونية ونقاوة الرسالة القرآنية التي دنّستها البدع والعادات الدنيوية الملوثة."[124] حاول غلنر أن يوظف الإسلام الذي فهمه بطريقته الخاصة في تحليل الصراعات التي تقع أحيانا بين القبائل والسلطة المركزية، وهذا الصراع أقل ما يمكن قوله عنه أن وظيفي بالدرجة الأولى، لأنّه يوظف الصراع الدائر بين المركز والهامش خصوصا في شقه المتعلق بما هو ديني.

"لاحظ غلنر أنّ الأمازيغ هم مسلمون بشكل عميق وصادق، لكن على طريقتهم الخاصة. لقد تمت أسلمتهم، لكن في المقابل قاموا بإضفاء الطابع الأمازيغي (berbérisation) على الإسلام بمدّة بالأولياء الصالحين والشفعاء. وباتت الطرقية التي احتضنتها ونقلاتها السلالات النسبية والزوايا هي القرآن متجسدا"[125]. لكن، المتعمق فيما قدمه غلنر بخصوص الإسلام عند الأمازيغ في المجتمع المغربي سيدرك فورا أن غلنر يؤكد على أنّ الأمازيغ يعتبرون التبرك بالأولياء هو انحراف عن تعاليم الإسلام (الرسمي) والأمازيغ واعوان لهذه الفجوة التي تفصلهم عن الصراطية التي حددها العلماء.

---

[123]- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنست علنر – كليفورد غيرتز، مرجع نفسه، ص 70.
[124]- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنست علنر – كليفورد غيرتز، مرجع نفسه، ص 72.
[125]- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنست علنر – كليفورد غيرتز، مرجع نفسه، ص 73.

يعد اعتماد غلنر على الإسلام في فهم خصوصيات المجتمع المغربي في علاقته بالسلطة المركزية وفق مجموعة من الطروحات التي اعتمد عليها وجعل منها منطلقه الرئيسي واعتمد عليها بشكل أساسي، غير أنّها طروحات لم يتم صياغتها بالشكل المناسب حيث، "أعاب كثيرون من المؤرخين على غلنر ضعف المصادر التاريخية التي اعتمد عليها، وفرط اعتماده على التراث النظري لابن خلدون وهوبز وديفيد هيوم وماكس فيبر ودوركهايم وروبير مونتان وإيفانز بريتشارد وسواهم. قدم ابن خلدون إلى غلنر الآلية الدورية للقبائل التي كانت تتعاقب على رأس الدولة، وقدم إليه مونتان التعارض بين بلاد السيبة وبلاد المخزن. أما بريتشارد، فقد استدعاه غلنر لتفسير أسباب غياب الفوضى في نظام بلا رأس (نظرية الانقسامية) (acéphtale)، واستند إلى ديفيد هيوم في نظريته عن تأرجح الإيمان الديني بين الطهرانية غير المجسدة والحماسة الأنثروبولاطرية، وقد أضاف غلنر إلى هذا النموذج الطرقية كي يزيد من سلالته، ويؤكد أيضا أنه من دون وجود هيئة تحتكر استعمال العنف (ماكس فيبر)، فإنّ الجماعات القبلية تتجنب "الفوضى" الهوبزية بفضل الأولياء الصالحين"[126].

كانت مساهمة غلنر في دراسة المجتمع المغربي دراسة ذات أبعاد معرفية لا يمكن تجاهلها أو غض الطرف عنها بالرغم من العيوب التي تشوبها ومجموعة من الانتقادات التي وُجّهت إليها، خصوصا الاعتماد الكلي على النظرية الانقسامية في تحليل وتفسير المجتمع المغربي، باعتبارها نظرية لا تراعي الفوارق الاجتماعية بل تجعل منها منطلق الصراع القائم بين مكونات هذا المجتمع، حيث تفسر البنية الاجتماعية بناء على الانقسامات القبلية والنسب الأبوي. وإهمال التراتبية الاجتماعية حيث تفترض النظرية وجود مساواة بين أفراد القبيلة، لكن دراسات ميدانية أظهرت وجود تفاوتات اجتماعية واقتصادية داخل البنية القبلية، حيث أشار عبد الله حمودي إلى أنّ هناك هرمية اجتماعية تتجلى في سيادة بعض الأسر ووجود تفاوتات في النفوذ والسلطة داخل المجتمع القبلي.

وبالنسبة لتجاهل تأثير السلطة المركزية الذي اعتمدت عليه الانقسامية مع غلنر حيث تصور النظرية القبائل ككيانات مستقلة ترفض سلطة الدولة، لكن التاريخ يظهر تفاعلا مستمرا بين القبائل والسلطة المركزية، حيث انتقد عبدالله العروي هذا التصور مشيرا إلى أنّ العديد من القبائل كانت خاضعة للسلطة المركزية وتساهم في الواجبات الجبائية والعسكرية أيضا.

126- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنست علنر – كليفورد غيرتز، مرجع نفسه، ص 78

عموما يعد غلنر ممن قدموا دراسات أنثروبولوجية مفيدة للمجتمع المغربي ويعتبر أيضا مرجعا مهما في هذه الدراسات باعتباره قدم مساهمة لهذا المجتمع، غير أنّه لم يُوَفق بشكل كافي في فهم خصوصيات المجتمع المغربي وظل حبيس ثنائية بلاد المخزن والسيبة الإسلام والعرف، بالإضافة إلى عدم التركيز على البنيات الاجتماعية للقبيلة وتوظيفها بشكل مناسب في دراسته لهذا المجتمع. وبالرغم من ذلك، لا يمنعنا هذا من القول بأنّ كل ما قدمه هذا الأخير غير كافي بقدر ما يمكننا أن نقول بأنها مساهمة عكست مجموعة من التصورات التي أدّت إلى فهم جزء كبير من هذا المجتمع في فترات تاريخية معينة.

لقد سقط غلنر في فخ الدراسات الاثنوغرافية ذات الطابع الكولونيالي، بل تبنّاها منذ البداية. تلك الدراسات التي تصور التنظيمات الاجتماعية الأمازيغية بالمغرب على أساس أنّها تنظيمات تتعارض مع السلطة المركزية، غير أنّ هذا التصور سرعان ما تبيّن أنّه يجانب الصّواب، وأدى هذا إلى غلنر بإيمانه المطلق بأنّ هناك تعارض بين هذه الجماعات وأسماه ب "تعارض قومي" فيما يتعلق بالعرب والأمازيغ، حيث أعتبر انّ العرب هم من يحكمون المغرب ويسيطرون عليه. بالرغم من أنّ غلنر حاول أن يسجل مجموعة من الملاحظات حول "الإثنولوجيا الكولنيالية، إلاّ أنّه بقي تابعا لها، باستناده تحديدا إلى روبير مونتان الذي كان أحد أهم رموزها طبعا"[127].

ختاما لا يمكن نكران ما قدمه غلنر من دراسات عن المجتمع المغربي بالرغم من بعض النواقص التي تشوبها إلى أنّها ضلت دراسات ذات أهمية معرفية، بالرغم من مجموعة من الاستشكالات السوسيوانثروبولوجية التي تطرحها دراسات غلنر عن المغرب خصوصا استعماله لمجموعة من المفاهيم ذات الطابع السياسي في مقاربته للتنظيمات الاجتماعية وعدم قدرته على التخلص من الإرث الكولونيالي الذي وظفه بشكل واضح في مجمل دراساته.

- **المبحث الثاني: إسهامات كليفورد غيرتز في دراسة المجتمع المغربي**

كليفورد غيرتز عالم أنثروبولوجي أمريكي،(1926-2006) يعتبر من أبرز العلماء الأنثربولوجيين تأثيرا في هذا المجال، خصوصا أنّه اشتهر صيته بتطوير مفهوم "الأنثربولوجيا التأويلية"، وكانت غايته هي دراسة الرموز والدلالات في كل الثقافات وذلك باعتبارها تضفي معاني كثيرة على نظام حياة الإنسان.

[127]- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنست علنر – كليفورد غيرتز، مرجع نفسه، ص 80.

قادته الصدفة إلى المغرب في عقد الستينات وذلك بعد الدراسات التي أنجزها عن الإسلام في اندونسيا عن قبيلة بالي وجاوة، لينقل بعد ذلك تلك التجربة إلى المغرب في دراسته للإسلام المغربي، بالإضافة إلى مجموعة من الدراسات الأخرى التي أنجزها في المغربي، ولهذا سوف نحاول الوقوف على بعض من هذه الدراسات قصد فهم مساهمة هذا الأخير في دراسته للمجتمع المغربي.

كانت البداية عند غيرتز هو فهم الثقافة من منظور الأنثروبولوجية التأويلية في علاقتها بالإنسان ويقول في هذا الصدد "إنّ مفهوم الثقافة الذي اعتنقه، والذي ستحاول المقالات الآتية إيضاح نفعيته، هو بالأساس مفهوم سيمائي (Semioti). وأنا مقتنع مع ماكس فيبر أنّ الإنسان هو حيوان عالق في شبكات رمزية، نسجها بنفسه حول نفسه، وبالتالي أنا أنظر إلى الثقافة على أنها هذه الشبكات، وأرى أن تحليلها يجب أن لا يكون علما تجريبيا يبحث عن قانون بل علما تأويليا يبحث عن معنى. وهكذا فأنا أبحث عن الشرح، شرح التعبيرات الاجتماعية وإجلاء غوامضها الظاهرة على السطح. إلاّ أنّ هذا الإعلان نفسه، وهو بمثابة صياغة عقيدة في عبارة، شرحا وتأويلا"[128]. لقد صار غيرتز على هذا النهج منذ بدايته الأولى حيث حاول دراسة الثقافة في المجتمع المغربي باعتبارها مجموعة من الرموز وينبغي تأويلها وترجمتها إلى نصوص.

يتميز غيرتز بتأويل للثقافات أو المقاربة التأويلية للثقافات، حيث انطلق من دراسات فلسفية وأنثربولوجية، ويعتبر أنّ الظواهر الاجتماعية والثقافية بمثابة نصوص والثقافة عنده هي رموز ودور الأنثربولوجي هو فك هذه الرموز، ويضيف أيضا في هذا الصدد، بأن المجتمع هو عبارة عن شبكة من الرموز والدلالات والواقع بالنسبة إليه بمثابة نص يجب فهمه.

إنّ هذه المهمة الصعبة التي صاغها غيرتز في عالم الأنثربولوجية والتي جاءت بعد نهاية حقبة الدراسات الكولونيالية خصوصا في مجتمعات انهكتها هذه الدراسات لأغراض واضحة. جاء غيرتز ليقلب هذه التصورات وأتى معه بنمط معرفي جديد والذي ساعده تكوينه الأكاديمي المتميز والمتنوع بين الفلسفة والانثربولوجية في توظيف هذا المسار الجديد، وبذلك أصبح من كبار الأنثروبولوجيين الذين يتم الاعتماد عليهم إلى اليوم.

[128]- غليفورد غيرتز: تأويل الثقافات مقالات مختارة، ترجمة محمد بدوي، مراجعة الأب بولس وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت كانون الأول (ديسمبر) 2009، ص 82.

ومن أهم الإسـهامات التي قدمها غيرتز عن المغرب تلك التي تكمن في تحليل الدين كمنظومة ثقافية، حيث اعتبر الدين نظاما من الرموز التي تمنح الأفراد إطارا لفهم العالم والتفاعل معه. حيث بيّن ذلك في دراسته عن المغرب إذ ركّز على كيفية تشـكيل المعتقدات والممارسـات الدينية للهوية الثقافية والاجتماعية، وكيفية تأثيرها على الحياة اليومية للمغاربة. وعلاقة بالدين في الأنثربولوجية التأويلية عند غيرتز يؤكد على خاصـيتان بقوله "هناك خاصـيتان تميزان العمل الأنثربولوجي حيال الدين، ذلك العمل الذي جرى منذ الحرب العالمية الثانية، تصـيباني بالذهول لغرابتهما، عندما أقارنهما بما جرى إنجازه قبيل الحرب الأولى وبعيدها. الخاصـية الأولى هي أنّ هذا العمل لم يحرز تقدما ذا بال في حقل النظرية. وها هو يعيش متطفلا على رأس المال المفهومي لأسـلافه، ولا يضـيف إلا القليل ما خلا بعض الإضـافة الإمبيريقية التجريبية. أما الخاصـية الثانية فهي أن هذا العمل يسـتخلص المفهومات التي يسـتعملها من تراث فكري محدد بالغ الضيق"[129].

تشكل هذه الخاصيتان في نظر غيرتز معطى ينبغي تغييره خصوصا في الدراسات الأنثروبولوجية، لأنّ ذلك من شأنه أن يساهم في بلورة مفاهيم جديدة تساهم في إنتاج نمط معرفي جديد في فهم الدين في باقي المجتمعات. لقد ركز غيرتز في دراسـته على مفهوم "البركة" في السـياق الديني المغربي، والتي تعني هبة وقوة يختص بها أفراد معنيون، مثل الأولياء الصـالحين. وذلك أثناء تحليله لسـيرة الولي اليوسـي، أوضـح غيرتز كيف أن البركة تعتبر عنصـرا مركزيا في الحياة الدينية والثقافية للمغاربة، ومدى تجلياتها في العلاقات الاجتماعية والسياسية.

وفي علاقته دائما بدراسـة النص الديني وكمفارقة بين ما قدّمه غلنر وغيرتز، حيث نجد غيرتز قدّم تحليلا للسلوكات الدينية لدى المغاربة بشكل واضح عكس غلنر الذي تشبّث بما تركته الدراسات الكولونيالية. ففي دراسة غيرتز للمغرب، ركز على كيفية تفاعل الدين مع البنية الاجتماعية والثقافية، مسـلطا الضـوء على دور الفقهاء والطرق الصـوفية في تشـكيل الهوية الدينية. وأشـار إلى أنّ تأثير الفقهاء قد تعزز بفعل الاحتلال الفرنسـي والإسـباني للمغرب، بعدما كان محدودا في المغرب القديم.

وفيما يتعلق بالقداسة الدينية كمفهوم عند غيرتز في علاقته بالإيمان اعتبره بمثابة قوة أخلاقية تتمتع بقدرة المباركة أو الشفاعة، معتبرا أن الاسلام في المغرب، خاصة بين البربر، كان ولا يزال إسلاما يركز على العبادة والتقديس

[129]- غليفورد غيرتز: تأويل الثقافات مقالات مختارة، ترجمة محمد بدوي، مراجعة الأب بولس وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت كانون الأول (ديسمبر) 2009، مرجع نفسه، ص121.122.

والشدة. ويعتبر هذا التوصيف الكلي للظاهرة الدينية بالمجتمع المغربي بالنسبة لغيرتز بمثابة خاصية تميز المجتمع المغربي، معتبرا ذلك أنّ البنيات الاجتماعية في علاقته بالنص الديني لم تتغير كما زَعم ذلك غلنر.

يندرج كل هذا بالنسبة لغيرتز في إطار التأويل فالنسبة إليه تعد مسألة التأويل في الدراسات الأنثربولوجية شيء لا يمكن الاستغناء عنه لفهم السلوكات والطقوس وفي علاقته بهذا الجانب يقول غيرتز "يتجاوز رفض تفسير الواقعات الاجتماعية المشبهة بأشياء أو أجسام عضوية التعارض الإبيستيمولوجي: التفسير/الفهم يتعلق الأمر بالنسبة إلى غيرتز بتأويل الرموز أكثر من فهمها، فهي التي تنتج المعنى من وجهة نظر السكان الأصليين"[130]. يضع غيرتز الأنثربولوجيون الجدد أمام مهمة صعبة تتمثل في تأويل سلوكات السكان وتصرفاتهم وتحويلها إلى نصوص حتى يتمكنوا من فهمها بدون خلفيات أخرى خصوصا تلك الخلفيات التي خلفتها الدراسات الكولونيالية.

وفي سياق متصل بدراسة أخرى عن المجتمع المغربي مع غيرتز دائما والتي تتمثل في أحد أهم مؤلفاته المعنونة ب "اقتصاد السوق" والتي تعتبر من أبرز الدراسات الأنثربولوجية في المغرب عن الاقتصاد والعلاقات التجارية والبنى الثقافية للمغاربة في السوق، وأنجز هذه الدراسة بمدينة صفر التي أقام فيها. إذ خصص في كتابه هذا مجالا واسعا تناول فيه التبادلات اللغوية العديدة. "ليس من المستغرب أن يخصص كيلفورد غيرتز للتبادلات اللغوية العديد من الصفحات في كتابه سوق (Le souk de Sefrou)، عبر ما سمّاه "نموذجا من التواصل في اقتصاد البازار"، طوّر فيه مقاربة أنثربولوجية معرفية تستنطق الكلمات ومحتواها الدلالي. مستلهما من التفاعلية الرمزية والميثودولوجيا الإثنية، أعطى غيرتز أهمية كبيرة للغة التي تحمل معنى الفعل، معتبرا أنّ الكلمات تؤدي دورا نشطا في صياغة الرموز"[131]. إنّ هذا التركيز الشديد عن اللغة لدى غيرتز كنوع فعّال من التواصل لدى الناس داخل السوق والذي مكّن من دراسته، لم يكن يرغب في تقديم دراسة أثنوغرافية عن السوق بل البحث في أسس العلاقة القائمة بين الثقافة واللغة باعتبارها نسق ثقافي داخل المجتمع والتي تسمح للدارسين والباحثين في فهم أنماط مختلفة من المجتمع.

[130]- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنست علنر – كليفورد غيرتز، مرجع نفسه، ص 53.
[131]- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنست علنر – كليفورد غيرتز، مرجع نفسه، ص 203.

وفي تحليله لهذه العلاقة داخل السوق، ركز غيرتز على مجموعة من المستويات لفهم السوق ومنها تحديد الهويات الاجتماعية، حيث يتم ذلك من خلال معايير الانتماء القبلي أو العائلي لرواد السوق، مما يساعد في بناء الواقع الاجتماعي. أمّا بالنسبة للبيئة اعتبرها غيرتز كمجال للاتصال والتبادل، حيث أبرز موقع صفرو الاستراتيجي بين السهل والجبل، وتفاعلها مع قبائل ناطقة بالعربية والأمازيغية، وكذا علاقاتها التاريخية مع طرق التجارة القافلية. وأشار أيضا إلى مسألة ندرة المعلومة حيث أشار إلى أنّ نقص المعلومات حول الأسعار وجودة المنتجات يؤدي إلى اعتماد التبادل على التفاعلات الشخصية المتكررة، مما يعزز أهمية العلاقات الشخصية والزبونية وثقافة المساومة، ومن خلال هذه المستويات استنتج غيرتز أن السوق ليس مجرد فضاء للتبادل الاقتصادي، بل هو نظام اجتماعي وثقافي يعكس تفاعلات المجتمع وقيمه ومعتقداته.

تعتبر هذه الدراسة التي قدمها غيرتز عن السوق كمكان عام من أهم الدراسات الأنثربولوجية المنجزة عن المجتمع المغربي، باعتبارها دراسة انطلقت من مكان عام يجتمع فيه كل مكونات المجتمع وفيه تُنسَجُ علاقات اجتماعية وثقافية. وابسوق بالنسبة لغيرتز هو المكان الذي يمكن أن تُفهم فيه تلك الشبكة المعقدة من الرموز، كما تسمح للباحث أن أيضا بتكوين رؤية مختلفة تُعزز من قدرته فهم آلية اشتغال هذه الشبكات.

" في السوق، الكلمات مهمة مثل السلع التي يتم تبادلها لأنها تخبرنا عن الأبطال ومكانتهم وأصولهم الإثنية والعائلية وشخصياتهم، لكن وبشكل خاص نيّاتهم. ولهذا، يجب أن نأخذ الوقت الكافي في أثناء الكلام، فالكلام ليس مضيعة للوقت، بل هو الوجود الاجتماعي"[132]. هكذا يكون غيرتز قد قدم الوصف الكامل للمعنى الدقيق للكلام داخل السوق في إطار الأنثربولوجية التأويلية التي اشتغل بها، وهذا الأمر لم يكن سهلا كما يعتقد الكثيرون بل هي مهمة شاقة تتطلّب الكثير من التركيز الشديد ودقة الملاحظة.

ختاما يعتبر كيلفورد غيرتز من الدراسين الأنثربولوجيين الذين قدموا دراسات في المستوى للمجتمع المغربي، ولهذا ظلّت دراسته متناولة إلى اليوم في الدرس الأنثربولوجي بالجامعات المغربية، وذلك لما قدمه خدمة لهذا المجتمع، حيث استطاع تقديم دراسات مغايرة عن تلك التي قدمت من قبل، متجاوز بذلك الدراسات الكولونيالية وحتى غلنر الذي لم يستطع خلع ثوب النظرية الانقسامية ولا قدرته على الخروج عن الإرث النظري

132 - Clliford Geertz , « La religion comme système culturel, « in : R.E. Braddury et al. (sous la direction de), Essais d'anthropologie religieuse (Paris Gallimard ,1972), p.24.

ISSN 2569-734X

الذي جعل من انطلاقته أسس مرجعيته. لكن غيرتز جاء بانطلاقة مختلفة ومكنه ذلك من تقديم خدمة للدرس الأنثربولوجي متجاوزا بذلك الطروحات التي تَمّ التأسيس لها في الأنثربولوجية منذ النظرية التطورية ودراسات هنري مورغان وكلود ليفي ستراوس.

- **المبحث الثالث: انتقادات عبدالله حمودي في أفق إرساء أنثربولوجيا عربية خالصة**

عطفاً على ما سبق، سوف نتطرق في هذا المبحث الأخير من هذا المقال إلى مجموعة من الانتقادات التي وجهها عبد الله حمودي للأنثربولوجيا بشكل عام، خصوصا الشق المتعلق منها بالدراسات الأنثربولوجية التي تناولت المجتمع المغربي. لقد ساهم حمودي في تقديم مجموعة من الانتقادات، وذلك وفق مجالاه التي اشتغل فيه لسنوات طويلة وراكم من خلاله تجربة معرفية واسعة، جعلت منه أنثربولوجي مغربي رائد أو بلغته هو "الأنثربولوجي المنتمي" بمعنى انتمائه للمجتمع المغربي.

تُعَدُّ المحاولات الكثيرة التي قدّمها عبد الله حمودي للدرس الأنثربولوجي المغربي والعالمي تُعدّ ولا تحصى. حيث اشتغل بشكل جماعي وبشكل فردي أيضا، سعيا منه إلى تأسيس أنثربولوجية عربية خالصة غير تلك التي ورثها الدرس الأنثربولوجي المغربي وظلت راسخة إلى حدود الآن وتُدَرّس في الجامعات.

لقد انتقد عبد الله حمودي كليفورد غيرتز وارنست غلنر بشكل منهجي مُبَيناً الأخطاء التي وقعو فيها أثناء دراستهم للمجتمع المغربي، كما انتقد أيضا النظرية الانقسامية إلى جانب عبد الله العروي.

فيما يتعلق بالانتقادات التي وجهها عبد حمودي لغيلنر في كتابه "تأويل الثقافات" جاءت على الشكل التالي: من الناحية النظرية انتقده من حيث الفهم إذ اعتبره غير كافي لفهم السياق الاجتماعي والسياسي، كما انتقد أيضا مفهوم الثقافة كنص عند غيرتز، وقام أيضا بالتشكيك في فكرة الواقع الثقافي ككيان مستقل.

أمّا بالنسبة للجوانب المنهجية قدم حمودي مجموعة من الانتقادات، أهمها يَكمن في انتقاده لمنهجية غيرتز الاثنوغرافية وكذلك استخدامه لمفاهيم غربية لشرح ثقافات غير غربية، وأخيرا تشكيكه في فكرة الموضوعية في البحث الانثربولوجي. وفيما يتعلق بالجانب السياسي قدم حمودي نقده لموقف غيرتز من الاستعمار والقوة السياسية، ولعل أبرزها انتقاده لعدم التركيز على الجوانب الاقتصادية والسياسية في التحليل الثقافي.

عموما تعتبر انتقادات عبد الله حمودي لكليفورد غيرتز نقطة تحول في الفكر الأنثربولوجي المعاصر، إذ يشكك حمودي في الأسس النظرية والمنهجية لأفكار غيرتز، مما يفتح بابا جديدا للنقاش حول طبيعة الثقافة والقوة والسياسة. وفي هذا الصدد قدّم حمودي مجموعة من الانتقادات تتوزع ما بين النظرية والمنهجية والسياسية.

فيما يتعلق بالانتقادات المنهجية، نجد حمودي ركّز على ثلاث نقط أساسية وهي:

1- **المنهجية الاثنوغرافيا:** ينتقد حمودي منهجية غيرتز الاثنوغرافية لكونها تعتمد على مراقبة المشاركين، مما يؤدي إلى تحيزات في التفسير.
2- **استخدام مفاهيم غربية:** يشكك حمودي في استخدام غيرتز لمفاهيم غربية لشرح ثقافات غير غربية، مما قد يؤدي إلى تهميش التجارب الثقافية المحلية.
3- **الموضوعية:** يؤكد حمودي على أنّ الانثربولوجيا ليست موضوعية بل تعكس قيم ومفاهيم الباحث.

أمّا بالنسبة للانتقادات السياسية جاءت صياغتها على الشكل التالي:

1- **الاستعمارالقوة السياسية:** حيث قدّم موقف غيرتز من الاستعمار والقوة السياسية، إذ يعتبر أن غيرتز لم يدرك بشكل كاف تأثير القوة السياسية على الثقافة.
2- **التركيزعلى الجوانب الاقتصادية والسياسية:** يشكك حمودي في عدم التركيز على الجوانب الاقتصادية والسياسية في التحليل الثقافي مما قد يؤدي إلى فهم محدود للثقافة.
3- **دورالأنثربولوجيا:** يؤكد حمودي أنّ الأنثربولوجية يمكن أن تعزز القوة الغربية إذا لم تدرك بشكل كاف السياق السياسي والاقتصادي للثقافات التي تدرسها.

يتضح لنا أنّ حمودي حاول قدر المستطاع أن يقدم مجموعة من الانتقادات لكليفورد غيرتز بخصوص مشروعه الانثربولوجي، وفي ذات السياق لازالت محاولات حمودي مستمرة ومساهماته لا تنتهي. وذلك من أجل تطوير الدرس الانثربولوجي في المغرب، مستثمرا في ذلك كل التجارب التي راكمها أثناء مساره الأكاديمي، ويتضح هذا بشكل واضح في كتابه "**المساقة والتحليل نحو صياغة أنثربولوجية عربية**" حيث يؤسس فيه لدرس أنثربولوجي بصيغة عربية خالصة وخالية من نظرة غربية للمجتمع، بمعنى أن يكون ابن المجتمع هو من يقدم دراسته للمجتمع برؤيته هو لا برؤية غيره. وهذا ما عزز من رغبة حمودي في تقديم انتقادات واسعة للأنثربولوجية الغربية والدراسات التي قدمتها للمجتمع المغربي، أو ما يسميه (بالأنثربولوجي المنتمي) ذلك الذي يطلع على أشياء جوهرية لا يعرفها الباحث الآخر.

"أدعو إلى أنثربولوجيا عربية ومعناه في الأســـاس أن تكون الأنثربولوجيا لغتها العربية وليس أنثربولوجية عربية بمعناها الضيق، وهذا ما أبتعد عنه دائما. واللغة في حد ذاتها، تحمل أكثر من حمولة منها الانتماء. ما أقول هو أنني أطمح إلى تأسيس مدرسة ليس فقط في جانبها الفكري بل بجوانبها المؤسساتية وذات إمكانيات لإنجاز دراسات مسترسلة، وهذا مشروع ثقافي بدأ يجد ترحيبا من طرف الكثير من الباحثين. إذ هناك الكثير من الطلبة والطالبات من جامعات عربية مثل المغرب يتواصـلون معي بعد أن فهموا المشـروع أدركوا أهميته. غير أنه مع الأسـف، لا يمكن تنفيذ هذا المشـروع مثلا في المغرب أو في بعض الجامعات العربية الأخرى بسبب غياب استقلالية حقيقية في الجامعة، عندما يتم اعتماد تعيين عميد الكلية ورئيس جامعة من طرف سلطات عليا، وقتها تغيب الاستقلالية في البحث العلمي"[133].

إنّ محاولات عبد الله حمودي في نقد الأنثربولوجيا الغربية لا زالت مستمرة في إطار مشروعه الفكري الذي اشتغل عليه منذ سنوات. غير أنه، وكما عبر عن ذلك هو بنفسه لا يلقى هذا المجهود أي ترحيب. وهذا ما يؤدي إلى ضياع فرصة معرفية في غاية من الأهمية قد تؤدي إلى تطوير النص الأنثربولوجي بالجامعات العربية بشـكل كبير جدا وتقدم خدمة للمجتمعات بشكل راقي.

ختاما لقد تركت الأنثربولوجية الغربية إرثا نظريا خُصّصَ للمجتمع المغربي بشكل كبير، يحتاج إلى محاولات عدة للتخلص منه، وبلورة مشروع فكري عربي بالدرجة الأولى. ولا يمكن نكران بأنّ هناك محاولات عديدة من هذا السياق، مثل إدوارد سعيد وسعيد في نقده للاستشراق وعبد الله حمودي وعبد الكبير الخطيبي وعبد الله العروي..، كلها محاولات من أصحابها سعيا منهم إلى تأسيس درس عربي خالص يهتم بدراسات المجتمعات المحلية من أصحابها وأبنائها، غير أنّ هذا لا يجعل منهم أشخاص رافضين لهذا الإرث الكولونيالي الغربي لكن يسعون دائما إلى بلورة مشروع خاص. وهذا لا يمنع من رؤية تجارب عربية جديدة في الأفق القريب خصوصا مع التحولات التي تشهدها المنطقة من شتى المجالات، قياسا على ذلك التطورات المعرفية والمستجدات التي تعرفها الساحة العربية.

لائحة المصادر والمراجع باللغة العربية والانجليزية

[133]- القدس العربي: "نحن في حاجة لأنثربولوجيا عربية وأنطلق من أبحاثي عموما من أرشيف قبل مرحلة الكولونيالية". عبد الله حموي، حاوره حسين مجدوبي، 13 مايو 2023.

- لهواري عدي: عالما أنثروبولوجيا في المغرب الكبير، إرنســت علنر – كليفورد غيرتز، ترجمة نوري دريس، مراجعة شوقي الدويهي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الطبعة الأولى، بيروت، آذار /مارس 2023

- محمد نجيب بوطالب: ســوســيولوجيا القبيلة في المغرب الكبير، مركز دراســات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، حزيران/ يونيو 2002،

- غليفورد غيرتز: تأويل الثقافات مقالات مختارة، ترجمة محمد بدوي، مراجعة الأب بولس وهبة، مركز دراســات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت كانون الأول (ديسمبر) 2009،

- غليفورد غيرتز: تأويل الثقافات مقالات مختارة، ترجمة محمد بدوي، مراجعة الأب بولس وهبة، مركز دراســات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت كانون الأول (ديسمبر) 2009، مرجع نفسه، ص121.122.

- Clliford Geertz , « La religion comme système culturel, « in : R.E. Braddury et al. (sous la direction de), Essais d'anthropologie religieuse (Paris Gallimard ,1972), p.24.

- القـدس العربي: "نحن في حـاجـة لأنثربولوجيـا عربيـة وأنطلق من أبحـاثي عمومـا من أرشــيف قبـل مرحلـة الكولونيالية". عبد الله حموي، حاوره حسين مجدوبي، 13 ماي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد التاسع والعشرون
كانون الثاني – يناير 2025
ISSN 2569-734X

آلية تدبير شؤون المجتمع المحلي المغربي
دراسة سوسيو أنثروبولوجية حول بنية "اجماعت نتاقبلت"
دويرة السبع إقليم فكيك نموذجا

للا لطيفة كربيجى
دكتوراه في علم الاجتماع، المملكة المغربية

ملخص:
شهدت قبيلة أولاد سيدي محمد السبع بإقليم فكيك تنظيمات اجتماعية تقليدية كان لها دور في تدبير شؤون الحياة اليومية لهذا المجتمع المحلي، حيث قامت مؤسسة **"اجماعت نتاقبلت"** كتنظيم سوسيو سياسي بوظائف اقتصادية وسياسية وثقافية على مر تاريخ المجموعة الاجتماعية، فكان لابد أن نسلط الضوء على هذا التنظيم التدبيري لفهم آلياته في تدبير الشأن المحلي وفهم علاقاته بالتنظيمات الوافدة في الوقت الراهن.
وقد استعملنا المنهج التاريخي إلى جانب التحليل السوسيو-انثروبولوجي لمجموعة من المعطيات الميدانية التي جمعناها من خلال تحريات عن طريق المقابلات الموجهة مع عينة من المبحوثين في دويرة السبع مجال الدراسة.
الكلمات المفتاحية: القبيلة،المجتمع،المجال.

Abstract:
The tribe of Sidi Mhamed Sbaa sons in Figuig has witnessed social and traditional organisations , which played a role in managing everyday life in this society .In fact ,an institution became a socio-political organisation that accomplished economical,political and cultural functions throughout the history of this society.That's why , it was really important to highlight this organisation in order to understand its components in managing local affairs ,as well as recognise its relations to expatriate organisations in current time .We used both the historical method with the socio- antropoligical analysis of some field data collected from oriented interviews with people in douirt sbaa as a field of study.
Keywords : tribe, society , field .

1. تقديم:

لقد حاولنا التركيز في دراستنا هذه حول حالة محددة وهي قبيلة "دويرة السبع" لمقاربة تنظيمها القبلي في أبعاده السوسيوأنثروبولوجية نظرا لانعدام الأبحاث والدراسات التي اهتمت بدراسة المجتمع السبعي خاصة تلك التي تتعلق بالمؤسسات التقليدية التي أحدثها الانسان السبعي لتنظيم حياته اليومية داخل القبيلة وخارجها، فكان لابد من تسليط الضوء على جانب من جوانب هذا النظام القبلي الذي هو **"اجماعت نتاقبلت"** الذي يستحق أن يحضى بالمزيد من الاهتمام من قبل المتخصصين في مختلف المشارب العلمية ".

إننا أمام قبيلة منفتحة على العالم الخارجي اضطلعت بأدوار كبيرة في التاريخ السياسي للمغرب وفي المبادلات التجارية مع افريقيا جنوب الصحراء وفي شبكة الطرق الصوفية التي منبعها الزوايا لكن محركها الحقيقي هو القبائل والزعامات القبيلية،ناهيك عن الأدوار الطلائعية في مقاومة الاحتلال الأجنبي و في الحفاظ على اللحمة الاجتماعية وهوية الذات"[134]، ودراسة التنظيم المحلي للمجتمع السبعي تستوجب منا العودة للتاريخ ،وفهم أية ظاهرة لابد من العودة لماضيها وهو الشيء الذي دفع السوسيولوجي "بول باسكون" إلى القول إن التاريخ وحده يعيننا في فهم القبيلة [135] فاستحضاره أساسي لفهم التنظيم الإجتماعي للمجموعة السبعية وفهم الفعل الإجتماعي الذي تتحكم فيه شروط تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية من خلال ما تتخلله من عمليات التدخل التي تستجيب لطبيعة المجتمع وحاجاته وإستراتيجياته للتفاعل في المجال.

2- الموقع الجغرافي للمجتمع السبعي بدويرة السبع جنوب شرق المغرب:

المجال الذي سنعنى به في هذه المحاولة هو قصر"دويرة السبع" المنتمي إلى منطقة الجنوب الشرقي بالمغرب والتي تمتد في معظمها داخل حزام شبه قاحل يقع بين الأطلس الكبير والصحراء والذي يظم عدة جماعات قروية منها جماعة بني تدجيت التي ينتمي إليها مجال الدراسة والتي أحدثت بتاريخ 14 غشت 1973 بموجب القرار رقم 2.73.416 حيث كانت وقتها تابعة لقصر السوق المسمى حاليا إقليم الرشيدية، وانطلاقا من سنة 1982 أصبحت طبقا للتقسيم الإداري الجديد تابعة لعمالة إقليم فجيج. تمتد جماعة بني تدجيت على مساحة تقدر ب $2630\ Km^2$ تحدها جماعة بوعنان بالجنوب الشرقي، وجماعة تالسينت بالشمال والشمال الشرقي، وإقليم الراشيدية من ناحية الجنوب وإقليم ميدلت من الناحيتين الغرب والشمال الغربي"[136]. وتقع جماعة بني تدجيت في الجزء الشمالي الغربي لإقليم فجيج ما بين خطي طول °3 و°4 غربا وخطي عرض ′32°10 و′32°28 شمالا، العلو على سطح البحر 1200 متر"[137]

خريطة 3: إقليم فكيك

---

[134]– محمد دحمان، تقديم لكتاب: القبيلة المغربية المجال التاريخ والتراث ، مركز رؤى للدراسات والأبحاث، فاس المغرب،ط1، 2022،ص7.

[135]– المرجع نفسه ص7.

[136] – برنامج عمل جماعة بني تدجيت 2017-2022 بتاريخ 05 أكتوبر 2017، ص: 6.

[137]– مونوغرافيا بني تدجيت 12 مارس 2013.

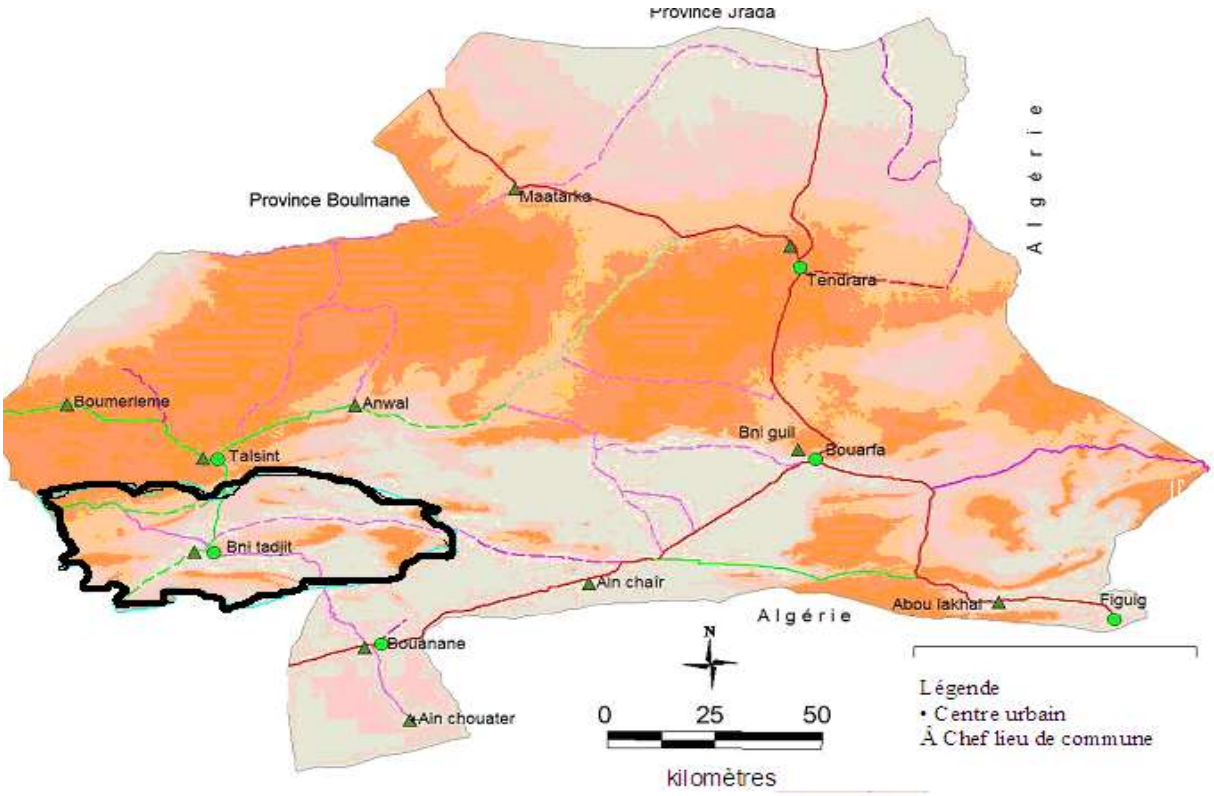

المصدر: برنامج عمل جماعة بني تدجيت 2017-2022

تتكون جماعة بني تدجيت من مركز شبه حضري تحيط به مرتفعات جبلية تمتد على سلسلة الأطلس الكبير الشرقي ومن مجال قروي يتكون من 30 دوارا يطلق عليها تسمية القصور، وهي تمتد على جنبات واد أيت عيسى، الذي هو رافد لواد بوعنان المنتمي بدوره لحوض كير الأعلى[138]. وتتكون من أراضي السهوب والجبال الجرداء التي تتخللها هنا وهناك واحات خضراء.

يشتغل سكان جماعة بني تدجيت في الرعي وزراعة الحبوب وبعض المحاصيل الزراعية، وينقسمون إلى عدد من القبائل وسكان الواحات ويتكلم بعضهم اللغة العربية والبعض الآخر الأمازيغية، وغالبا ما يقضون أوقاتهم في تربية الماشية وفلاحة الأرض للحصول على معاشهم اليومي.

خريطة 1 : جماعة بني تدجيت (إقليم فكيك)

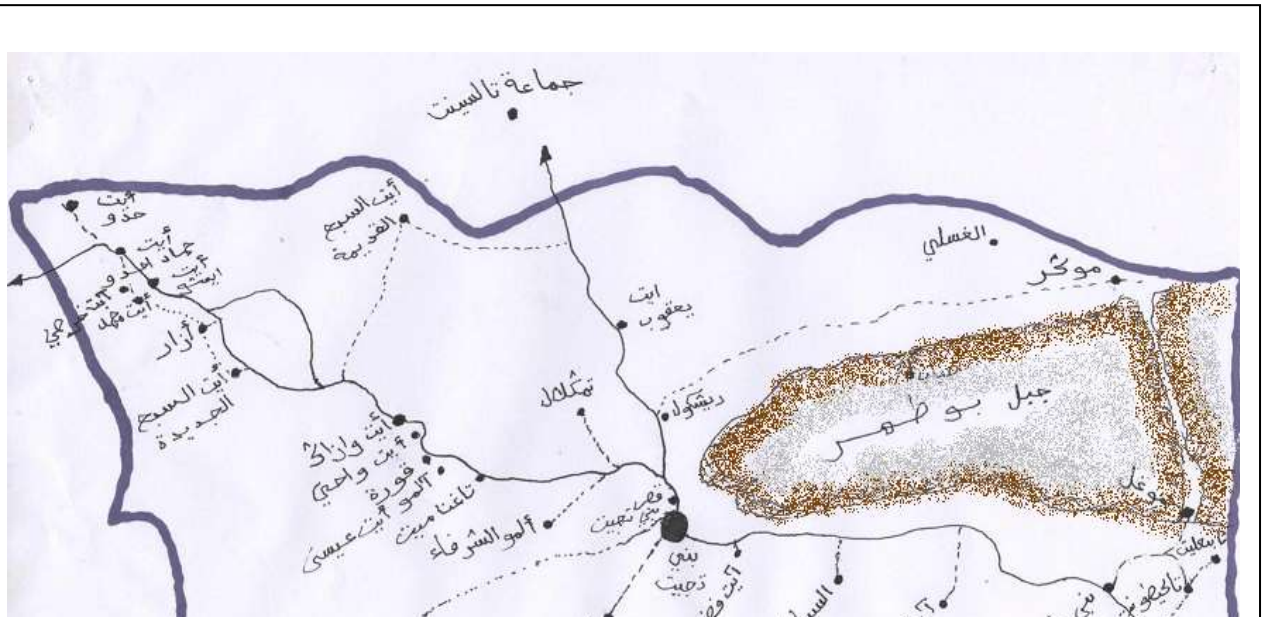

المصدر: برنامج عمل جماعة بني تدجيت 2017-2022

وإذا حاولنا تسليط الضوء على مجال قبيلة "أولاد سيدي محمد السبع" مجال الدراسة ورصد المكانة الاستراتيجية والبحث عن المقومات الاقتصادية والاجتماعية نصطدم بندرة المصادر وقلة الإشارات رغم مكانة القبيلة خاصة في العصر الوسيط و بداية القرن العشرين عموما والمعلومات التي عثر عليها لا تشفي غليل الباحث وبالتالي يمكن تقديم مجال "دويرة السبع" المنتمي لمجال جماعة "بني تدجيت" الواسع الشامل وعتبة صحراء الجنوب الشرقي والمحاذية لجهة فاس . بولمان وجهة مكناس تافيلالت من خلال التحديد الذي ذكر لجماعة بني تدجيت في مونغرافيا جماعة "بني تدجيت" وبالاعتماد كذلك على نتائج البحث الميداني بتاريخ 06 دجنبر2019:

الإسم	.....قصردويرة السبع
التصنيف	.....قصر، دوار
القيادة	.....بني تدجيت
الدائرة	.....بني تدجيت
الإقليم	.....فجيج
الجهة	.....الشرقية
اللغة المحلية	.....الأمازيغية/العربية
عدد السكان	....نسمة 614

الإثنية .....شرفاء أدارسة سبعيون

المصدر: مونوغر افيا بني تدجيت 12 مارس 2013

تعتمد قبيلة "أولاد سيدي امحمد السبع" في مواردها الاقتصادية بالدرجة الأولى على الفلاحة وتربية المواشي لتوفرها على فرشة مائية ومجال جغرافي شاسع صالح للزراعة والرعي بالإضافة إلى عائدات الهجرة.

خريطة 2 : دويرة السبع

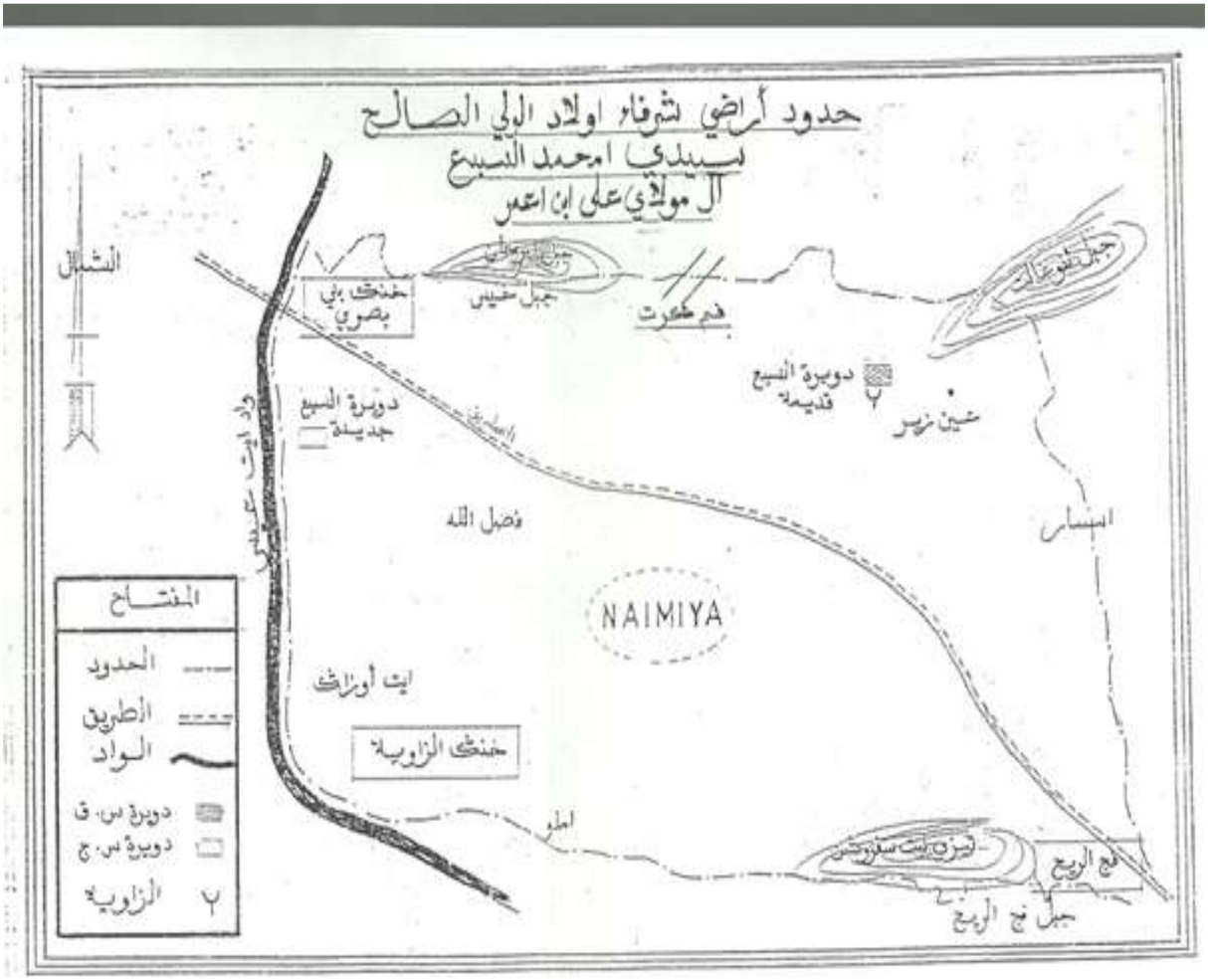

المصدر: أخذت الوثيقة من نقيب الشرفاء السبعيين صيف2018.

قبيلة دويرة السبع ذات تنظيم سياسي-اجتماعي قرابي محددة بالمجال الجغرافي الذي تشغله، وشكلت النواة الأولى لتأسيس المجموعة السبعية " أولاد سيدي محمد السبع "التي تنحدر من الجد المؤسس "سيدي محمد السبع" الشريف

الإدريسي الحسني[139] الذي خلف أربعة أبناء ذكور شكلوا الفروع الأولى في تكوين الجماعة السبعية [140]. شكلت المجموعة بذلك ذهنية قبلية لا يمكن إدراك طبيعتها إلا بوضعها في سياقها التاريخي، لمعرفة حركية هذا النظام الاجتماعي، واستراتيجياته المتعددة في التكيف مع المجال والمجتمعات الأخرى، والطوارئ الخارجية لتنتقل من المرحلة المحلية إلى مرحلة الإنفتاح والضم والتوسع .إن الجماعة السبعية لا تعني تنظيم قرابي إجتماعي وسياسي من أصل سلالي فحسب ولكنها كيان نما وترعرع في مجال "شبه صحراوي" تطلب من السبعيين الحرابة والفروسية لحماية الشرف والنسب، والمال وطرق القوافل . وعليه إعتمدت المجموعة كمعيار،القوة والعصبية وآتحدت في نظام من القيم والإرث الثقافي الذي أكسبها إستراتيجيات للتكيف مع الحياة المعاشة في مختلف المجالات الجغرافية التي طرقتها.

إن من خاصيات هذه المجموعة الجمع بين الإنتماء للنسب الشريف وحمل السلاح وممارسة التجارة العابرة للصحراء، وظهرت فيهم شخصيات علمية ومشايخ صوفية تميزت بحضورها الفعلي في فترات حاسمة من تاريخ المغرب مثل إسهام الجد المؤسس" سيدي محمد السبع" في معركة وادي المخازن، ومقاومة الإحتلال البرتغالي بالسواحل المغربية، إلى مقاومة الإحتلال الفرنسي من طرف أحد حفدته "مولاي أحمد بن الحسن السبعي"[141].

يتمثل المجتمع المحلي السبعي إذن تاريخه وزمنه بإستمرار من خلال مجاله الإجتماعي الذي يعتبر إطارا لفعله التاريخي والإجتماعي والثقافي.إن تاريخ المجتمع السبعي تاريخ التنظيمات والمؤسسات التقليدية التي ساهمت لعقود من الزمن في تدبير الحياة اليومية و تنظيم الشأن المحلي وتعتبر قبيلة "أولاد سيدي محمد السبع" من بين القبائل المغربية التي عرفت تنظيمات محلية محكمة وحسب الفترات التاريخية وانتهجت استراتيجيات متنوعة لتتفاعل مع المستجدات وتضع حدود التأثر بها لتظهر مدى قدرتها على الإستمرارية في ظل المراحل التي عرفت تحولات كبيرة وشهدت أزمات شديدة، فاستطاعت التنقل والتكيف مع المجال والمجتمع والطوارئ الخارجية . بدأ بمؤسسة العائلة مرورا بمؤسسة "الإغس" ثم مؤسسة "الفخذ" وصولا بمؤسسة "اجماعت نتاقبلت" كأعلى هيئة في التسلسل والتنظيم القبلي وسنقف عند هذه الأخيرة لإبراز أهميتها ودورها في تحقيق الاتحاد والحفاظ على النظام العام.

---

139 - ينظر،عقد ملك الأراضي السبعية يوجد بحوزتنا نسخة منه والذي يعود تاريخه لفترةحكم الدولة السعدية.

140 – ينظر،مولاي احمد بن لحسن السبعي،الدرر السنية في اصل السلالة السغروشنية العمرانية والسبعية .فاس،ب.ت.

141 - ينظر نسب مولاي احمد بن لحسن السبعي في مطبوع الدرر السنية في اصل السلالة السغروشنية العمرانية والسبعية مرجع سبق ذكره .

ومحاولة منا لصبر أغوار هذا الموضوع سنحاول الإجابة عن التساؤلات التالية: كيف تكونت مؤسسة "اجماعت نتاقبلت" في دويرة السبع؟ وكيف ساهمت في تنظيم الحياة اليومية في المجتمع السبعي؟ وهل لازالت محتفظة بطابعها الالزامي في تدبير الشأن المحلي؟

3. "اجماعت نتاقبيلت" بدويرة السبع:

إن الجد الجامع "سيدي محمد السبع" أساس الرابطة القرابية ورمز الانتماء الموحد لأبنائه الأربعة الذكور "مولاي إبراهيم"، "مولاي امحمد"، "مولاي أحمد"، "مولاي عبد الرحمان"[142]، الذين شكلوا النواة الأولى لتكون القبيلة السبعية، حيث أن كل واحد منهم سيكون هو بدوره جدا جامعا لعدد من الأسر المنحدرة من صلبه، هذه الأخيرة تتجمع كوحدة أساسية يطلق عليها اسم "الفخذة" ، وبالتالي فإننا أمام أربعة "أفخاذ " تحمل اسم كل ابن وهي: "فخذ أولاد مولاي إبراهيم"، "فخذ أولاد مولاي امحمد"، "فخذ أولاد مولاي أحمد"، "فخذ أولاد مولاي عبد الرحمان " وبالتالي فالحديث عن أفخاذ "أولاد سيدي محمد السبع" هو الحديث عن الثبات النسبي بحيث لا يمكن لأي أسرة من أسر أي فخذ مغادرته نحو فخذ آخر، وهذه الأفخاذ هي بدورها توزعت إلى "عظام" [143] أو ما يعرف بالأمازيغية "إغسان" هذه التركيبة البنيوية للعظام تحد من مستوى تفوق المجموعات والأفراد ولا تسمح بظهور الزعامة والتفوق حتى وإن بلغ أحد الأفراد مرتبة من الثراء، فهذا لا يكسبه نوع من التميز داخل السلم الاجتماعي، فالسمة العامة لهذه الجماعة يطبعها غياب فرقة تنفرد بالسلطة"[144]. لأن هناك قرابة دم تجمع بين جل أفراد العشيرة، مما يخلق بينهم شعور بأواصر القرابة"[145]، وحتى إن وجدت بالمجال السبعي أسر دخيلة فإنها انصهرت واحترمت المقدس وتعايشت اجتماعيا وثقافيا مع أولاد سيدي محمد السبع" فهذا الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر وإن لم يكونوا أهل نسب إلا أنه كما قدمناه أضعف مما يكون بالنسب وأنه تصل العصبية بعضا مما يصل بالنسب"[146] ، ومايميز المجتمع السبعي منذ بداية استقراره في دويرة السبع هو التشبث

---

142 - الدرر السنية في اصل السلالة السغروشنية العمرانية والسبعية مرجع سابق ص8 .

143 – "الإغس" إسم أمازيغي له معنى إشتقاقي وهو العظم، وقد برز كفرع عائلي يحدد االإنتماء القبلي بالإضافة إلى أسطورة الجد المشترك ينظر بهذا الصدد

- Robert Montagne. Les berbères et les makhzens dans le sud du Maroc. Edit, Afrique Orient
- Jaque Berque. qu'est-ce qu'une tribu Nord-Africaine ? In : Maghreb histoire et société. S.N éd, doculot, 1947

144 - إرنس، كلنر، السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ، مرجع سابق، ص: 47.

145 – نقلا عن ليليا، بنسالم، التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير حصيلة وتقويم، ضمن كتاب: الأنتروبولوجيا والتاريخ، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال البيضاء، 1988، ص: 28.

146 – عبد الرحمان، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار النشر العربي لبنان ط ج منقحة، ص: 125.

بقيم العيش المشترك والحفاظ على التماسك السلالي واللحمة الاجتماعية وهوية الذات والاتحاد فيما عبر عنه ابن خلدون العصبية القبلية[147] هذه المرجعية الخلدونية تبرز الانصهار ضمن المجموعة القبلية وتعزز التحام أفرادها داخل القبيلة للدفاع عن المشترك والخطر الخارجي الذي يهدد الكيان القبلي والملكية الجماعية ذات الارتباط الوثيق بالأرض ،فالعصبية تتقوى في صفوف "أولاد سيدي محمد السبع" على مستوى القبيلة لمواجهة الخطر الذي يهدد السبعيين ما يدفعهم للتكتل والاستعداد الدائم للدفاع عن مواردهم حتى في وجود الأسر اللاجئة إلا أن ذلك لا يحول دون شيوع منطق التضامن والتآزر كشعور كامل قبل وقوع أي خطر أو تهديد خارجي.

لقد فرض هذا التنظيم الاجتماعي في دويرة السبع أن تكون "لأغرم"[148] أو "تاقبيلت" مؤسسة تدير شؤونه داخليا وخارجيا وتمثله على كل المستويات تسمى **"اجماعت نتاقبيلت"** وتتكون من ممثلي مختلف الفخذات الأصلية المنحدرة من الجماعة السبعية والمكونة لهذا التجمع السكاني ويشترط فيهم كبر السن لما يملكونه من تجربة وحنكة وتراكم التجارب ويسمون "اجماعن "وفي هذا الصدد يخبرنا أحد المبحوثين "إن اجماعت نتاقبلت تتكون من ممثل عن فخذة أولاد مولاي إبراهيم وممثل عن أولاد مولاي محمد وممثل عن أولاد مولاي عبد الرحمان وممثل عن أولاد مولاي أحمد"[149]. وهي هيئة جماعية تسير الشؤون اليومية للقصر وتتداول قضاياه وتسهر على تطبيق قراراتها بصفة مجانية ، وتختار من بينها رئيسا يسمى "أمغار لجماعت" أو "أمقران لجماعت " ومعناه "شيخ اجماعة" يقوم بمتابعة تنفيذ مقرراتها، حيث ليس له حق اتخاذ أي قرار كان دون العودة إلى "اجماعن" الذين يتمتعون بامتيازات مادية ومعنوية ككبر السن ،النبل والجود والكرم ولايعتبر الانتماء أمرا وراثيا بل ما يناله الشخص من تقدير داخل مؤسسة "إخسان" هو الذي يمنحه شرعية انتمائه "لإجماعن" ويرفض رفضا مطلقا تمثيلية النساء، ويختار" أمغار لجماعت " من بين الأشخاص الذين أبانوا في أكثر من مناسبة عن رجاحة العقل وسداد الرأي وصواب الحكم، يحسنون ويزنون الكلام فالتحكم في فن الكلام شرط لتولي هذا المنصب أي كما سماه مؤسس علم أنثروبولوجيا الاتصال هيمس دال (Hymes Dell) بالكفاءة الاتصالية.يعتبر نظام آجماعة إذن من

---

147 – عبد الرحمان ابن خلدون، نفس المرجع سابق ص: 125.

148 – تجمع سكني محاط بسور مبني بالترا والحجارة المحلية بطريقة "التابوت"ينظر بهذا الصدد
– محمد عابد الجابري .حفريات في الذاكرة .مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،1997،ص:22.
– محمد دحمان .الواحات المغربية منبع التنظيمات السوسيو–سياسية:وقفة تأمل ضمن كتاب دراسات وأبحاث حول التنظيمات الاجتماعية بالواحات المغربية .مطابع الرباط نت،الرباط ،2023،ص:13.

149 – مقابلة شفهية مع *نقيب الشرفاء السبعيين صيف2018.*

الأنظمة التدبيرية التي اعتمدها السبعيون لتسيير شؤونهم اليومية في مختلف المجالات سواء منها الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية.

يجتمع أعضاء "اجماعت نتاقبلت "عادة أمام المسجد أو يتخذون من باب القصر "إمي وآغرم" مكانا للاجتماعات واللقاءات سواء كانت محددة سلفا أو بشكل تلقائي لتدارس قضايا المجموعة واتخاذ القرارات التي تكون ملزمة للجميع"[150]. ويستدعى إلى الجلسات بواسطة "البراح" عادة بعد الصلاة حتى يعم الخبر اقتصاديا كان أو اجتماعيا أو سياسيا "[151]ومن داخلها يتم تدبير النزاعات الداخلية والتخطيط لمواجهة الأزمات الخارجية.

4. دور"اجماعت نتاقبيلت" في تنظيم المجتمع السبعي

لا تستقيم أي جماعة بشرية دون انتظام التعابير والقواعد التي تسير وفقها ،وشكلت مؤسسة "اجماعت نتاقبلت" السلطة العليا لقبيلة "دويرة السبع" بتأسيس القواعد المشتركة لحماية الجماعة وأفرادها ومجالهم وممتلكاتهم فهي التي تمتلك شرعية الكلام باسم الكل ويحكمها ميثاق أخلاقي ضمني غير معلن أساسه المصلحة العامة فوق كل اعتبار حيث يظهر هذا جليا في مختلف الممارسات المتعلقة بتطبيق القرارات التي تخرج بها "اجماعت نتاقبلت" والتي تتخذ بالإجماع لا بأغلبية الأصوات وتدبر القرارات لتنال اجماع "اجماعن نتاقبلت" وتختتم بقراءة الفاتحة وفي حالة عدم التوافق يسند الأمر لأمغار ليصدر حكمه النهائي لأنه محل تقدير للجميع كما عبر عن ذلك أحد المبحوثين.

تتدخل "اجماعت نتاقبلت" باعتبارها نظام تدبيري في جميع القضايا التي تهم الجماعة السلالة والأسر اللاجئة المستقرة بها دون استثناء. ومن القضايا التي أثارت اهتماماتها هو الحفاظ على النظام والأمن العام من خلال تسوية الخلافات بين أفراد المجموعة السبعية داخل القبيلة وإبرام المعاهدات في حالة النزاع بشكل سلمي بين القبائل المجاورة خارج القبيلة "إن اجماعت نتاقبلت تتعدى حدود دويرة السبع لتشمل القبائل المجاورة لعقد الصلح بين القبائل المتخاصمة، كما أنها تحافظ على مراعيها وتؤمن طرقها وتحسم الخلافات القائمة مع جيرانها بالطرق السلمية حفاظا على هيبتها ومكانتها بين القبائل الأمازيغية المجاورة التي تعتمد عليها في لعب دور الوساطة لتصفية الخلافات والنزاعات وهذا راجع لمكانتها وسط القبائل و انتمائها السلالي ولهبة الزاوية"[152]ومن اختصاصاتها معالجة شؤون الفلاحة بالإعلان عن بداية ونهاية الدورة الزراعية بدءا

---

[150] - مقابلة شفهية مع مبحوث،ربيع 2021.

[151] – محمد أيت حمزة، ملامح التحولات السوسيومجالية بحوض أسيف أمكون، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مط المعارف الجديدة، الرباط 2016، ص: 46.

[152] - مقابلة شفهية مع مبحوث فبراير 2021.

من الحرث مرورا بالحصاد وما يصاحب ذلك من تنظيم لنوبات السقي وتوزيع حصصها وفق مقاربات مختلفة أساسها المشاركة و الإشراك مراعية في ذلك الطقوس والعادات التي تقام في هذا الباب حيث لا يسمح لأي أحد الشروع في الحرث دون إذن "آجماعت نتاقبلت " التي تحدد يوم الانطلاق وفق مقومات وحسابات مضبوطة ومدققة.

تقوم "آجماعة" بتحديد مجالات الرعي وحدودها للحفاظ على كيان القبيلة وذلك بالحرص على حماية الأراضي السبعية بعدم تفويتها للغرباء عن المجموعة ليستمر التماسك المادي والمعنوي "لأولاد سيدي امحمد السبع"، وبالتالي عدم إقحام الآخر في النظام العام للقبيلة بالحفاظ على التلاحم الاجتماعي. إن الهدف الأساسي لمؤسسة " آجماعة" كما تؤكده جل الشهادات الشفهية، هو النظر في القضايا التي يعجز حلها على مستوى كل عظم. فاجتماع المجلس وعرض نتائجه يتم بواسطة "البراح" عند انتهاء صلاة المغرب وفي انتظار صلاة العشاء لإخبار الساكنة بالقرارات المتوصل إليها. ومن المهام الأساسية المنوطة بها كذلك النظر في قضايا الرعي والمشرب والمسارح وفي الخصومات و المخالفات المرتكبة في الجماعة وكذا المفروضات المخزنية والحكم على كل المخالفات حسب الأعراف والعادات المتعارف عليها لدى الجماعة السبعية وهو ما يعرف لديهم ب "إزماز" وهو مصطلح أمازيغي ويعني الذعيرة التي يؤديها المخالف لأحكام العرف الجاري به العمل "إذا ضبط شخص يرعى في المكان الذي حذر منه من طرف "آجماعة" أو أكل غلة الأخر وإفسادها دون أن تنضج فإنه يعطي ذعيرة يحدد قدرها من طرف "إجماعن" وتسمى "إزماز"[153]والذي يعبر عن إرادة الجماعة لتسوية الخلافات وتقنين الوقائع والهدف منها المحافظة على التوازن والسلم الداخلي وتصادق عليه "آجماعت نتاقبلت" ويكون شفاهيا حسب ما صرح به أحد المبحوثين."يخبر البراح باجتماع اجماعة و يشعر الساكنة بالقرارات التي توصلت إليها هذه الأخيرة"[154].

إن الحرص على الكتمان يجد تفسيره في خروج أي خبر يتعلق بمشاكل أو إنجازات تحدث داخل تراب "دويرة السبع" وعن حدودها أو وصوله إلى القصور المجاورة لدرجة أن ممثلي الجماعة يحضرون اجتماعاتها دون إخبار زوجاتهم، فكل مهام آجماعة تؤدى بشكل تطوعي ووجود الشيوخ المسنين كممثلي "اجماعة" دليل على حفظهم لذاكرة الجماعة السبعية ويتذكرون القرارات الحكيمة التي كانت تتخذ في السابق بحضور شيخ الزاوية و"العقال"أي العقلاء الذين لهم سلطة الكلمة والمعيار في عدم مخالفة ما يقولون "أرياز دوال" أي الرجل هو الكلمة."إن هذا التنظيم لا يمثل في نظر مونطاني سوى نوعا من التقسيم الإداري الذي يقوم بالمهام المحلية من تحديد مؤونة الأجانب وإطعامهم أي أدوار الكرم وكذا الدور في تغذية

[153] - مقابلة شفهية مع مبحوثة ، فبراير 2021.

[154] – نفس المقابلة السابقة.

الطالب الفقيه أو في الحرث أو استصلاح السواقي وليس له حركية سياسية قوية".[155]إن مؤسسة اجماعة تسعى بهذا إلى تحقيق هدف أسمى هو التلاحم والتآزر وضمان حماية أفرادها وتحقيق رفاهيهم كما أنها تسعى لتدبير الشؤون الدينية كحماية "زاوية سيدي محمد السبع" ورعاية المسجد بما في ذلك المشارطة والإمامة بآعتبارهما أهم المؤسسات التي تتجسد فيهما هوية السبعيين وتلاحمهم حيث تقوم بصيانتهما وتجهيزهما وفق الإمكانات المادية المتوفرة لديها وقد تتعدى وظائف آجماعة ذلك إلى تعيين الإمام وتتفاوض معه على "الشرط" ويصبح "إمام المشارط" تحدد قيمته ومدته من كل محصول وطريقة أخذه إضافة إلى المؤونة التي يجب على السبعيين تقديمها له، حيث يتكلف الفقيه إضافة إلى الشعائر الدينية تعليم وتحفيظ القرآن للصبيان والصبيات، فهو قارئ وكاتب للعقود والوثائق المختلفة (بيع، شراء، رهن، سلف، زواج، طلاق...) كما أنه يلعب دور الطبيب في بعض الأمراض بكتابة التعاويد وتحضير الأدوية والرقية الشرعية...)كما أنها تعين من يقوم بإدارة ممتلكات المسجد وهبات زاوية "سيدي امحمد السبع" يطلق عليه اسم "المقدم" وهي التي لها صلاحية اعفائه إن تبث عنه التقصير في واجبه. ويكون الفقيه على رأس كل مناسبة تقام في "أغرم" إلى جانب "اجماعت نتاقبيلت " كالخطبة وحفلات الزواج والختان.

إن مبدأ التآزر والتكافل راسخ بقوة لدى أبناء سيدي امحمد السبع فهم يمدون يد العون لبعضهم البعض فتجد "اجماعت نتاقبلت "حاضرة بقوة في هذا العمل التآزري الذي يسمى "تويزي" وهو عمل تطوعي يؤازر فيه كل من يمر بضائقة العون خاصة في موسم الحرث والحصاد "يستدعي المستفيد بهذا العمل الالزامي العمال المجانيين متى شاء وفي أي لحظة شاء.يتحتم على هؤلاء العمال، أن يصطحبوا كل الآلات اللازمة لعملية الحرث والحصاد، هذا بالإضافة إلى الدواب. كما يتوجب عليهم الإنفاق على طعامهم، وأكل دوابهم طيلة فترة الإشتغال"[156]. إلى جانب هذا النوع من التآزر النابع من الروح التضامنية توجد الوزيعة كنوع تضامني تسهر عليه "اجماعت نتاقبلت" وله سمة مختلفة عن التويزة. إن هذا الطقس يتخذ شكل تضامني آخر حيث إذا لحق مكروه خروف أو بقرة فإن صاحبها يذبحها ليحلل لحمها للإستهلاك وتقوم الجماعة بتوزيع الذبيحة حسب أسر القبيلة بتحديد قيمة "أمور" أي نصيب كل واحدة نقدا وهكذا يتم جمع ثمنها لصاحبها، أي يشتركون معه في المصاب الذي حدث له بمواساته بطريقة الوزيعة ويعتبر هذا الفعل إجباريا تشارك فيه جميع الأسر في المجال يبرره المثل السبعي القائل "اليوم عليا وغدا عليك". بل يتعدى دور "اجماعت نتاقبلت" ذلك إلى تنظيم موسم "أعير" تستشعر

[155] - Montagne, Robert. les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc.édit, Afrique orient , p :173.

[156] - روبيرأسبينيون ،أعراف قبائل زيان مساهمة في دراسة القانون العرفي الامازيغي المغربية، ترجمة :محمد أوراغ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية،سلسلة الترجمة رقم: 11، مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط،2007،ص:42.

الجماعة السبعية تاريخ ويوم الزيارة المقرر في اجتماع مجلس " اجماعة" عن طريق البراح. وقد اعتادت الجماعة السبعية خاصة ممثلو فخذة مولاي امحمد وفخذة مولاي إبراهيم على تربية ثور جماعي يسمى "أفوناس لجماعت" يتم تسمينه ليكون قربان يذبح في ضريح جدهم "سيدي محمد السبع في "موسم أعير" الذي لعب دورا هاما في تمثين الروابط القرابية وصلة الأرحام بين عظام الفخذات الأربعة للقبيلة ونشر قيم التسامح والتآزر وتذويب الخلاف ونبذ الاختلاف وتبادل الزيارات وإصلاح ذات البين بين المتنازعين والمتخاصمين بخلق جو من التآلف والتجانس وإحياء أواصر المحبة والاخاء.

حضيت مؤسسة "آجماعة" بالاحترام والتقدير من طرف الجماعة السبعية التي امتثلت للقوانين العرفية المؤطرة ولسلطة "اجماعن"، وسعت لتحقيق التكامل الاقتصادي والتكافل الاجتماعي وضمان الحقوق الفردية والجماعية تحت لواء الأمن والأمان.

5. مآل " اجماعت نتاقبلت" في ظل التحولات التي شهدتها القبيلة

إذا كانت القبيلة السبعية بالأمس تعرف نظام "اجماعت نتاقبلت" كمؤسسة تدير شؤونها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي انطلاقا من الاعراف والقوانين المحلية المتفق عليها سلفا إلا أنه مع دخول الحماية للمغرب تقلصت أدوارها وتراجعت سلطتها واقتصرت مهمة "اجماعن" على الأدوار الاستشارية دون التصرف في أبسط القضايا المحلية بالشكل التقليدي كما كان سائدا من قبل. وقد عمل على تفكيك بنيتها التقليدية فهي بالنسبة للإدارة الاستعمارية جهاز للحكم "يتشكل من مجموعة من أفراد تربطهم القرابة والحياة المشتركة ،كما تجد هذه المجموعة تعبيرها عن نفسها بالكامل في تجمع مجلس الاعيان "[157]حسب تعبير P.Badie بل تبدو كما لو أنها"بنية اجتماعية ستاتيكية ومنعزلة عن مجالها الخارجي ، تميل إلى الانزواء للمحافظة على خصوصياتها المحلية الأصلية ،ضمن تنظيم قبلي يجسد ،بالنسبة لها المشترك السوسيو-ثقافي،الذي يمكنها إثبات هويتها ووجودها،في إطاره،مادامت الصلات القرابية وطبيعة الحياة التي يتقاسمها سكانها تمثل ،بالنسبة لهؤلاء ،المعبر الحقيقي عن نمط تسيير شؤونهم الداخلية ،في إطار مجلس أعيان القبيلة" [158]الأمر الذي جعل "اجماعت نتاقبلت "مؤهلة لأن تحضى بامتلاك سلطة تسيير شؤونها المحلية بدون تدخل سلطة خارجية وهوما اعتبرته الإدارة الاستعمارية قصورا واستبدادا مما استدعى تدخلها معتبرة نفسها أكثر أهلية لتدير شؤون الساكنة وتعمل على تحديث البنيات القبلية فعوضت "امغارلجماعت" بسلطة القايد موحى أوفقير من قصر أزار المحادي

[157] - Badie,P.les communes rurales au Maroc ,C.H.E.A.M,n 2.417,1955 ,p.1.

[158] – عبد اللطيف الموذني ،الدينامية المحلية وحكامة الدولة ،افريقيا الشرق ،الدارالبيضاء ،2013،ص193.

لدويرة السبع الذي أظهر تعاونه مع الإدارة الاستعمارية في نقل الاخبار والقرارات وتنفيذها فهو المنتدب لديها والناطق الرسمي باسمها ويعمل تحت سلطتها وبمساعدتها و الذي أبدى استعدادا تاما لقهر وإذلال السبعيين بل كان أشد قسوة عليهم وهم الذين أبدوا مقاومة ومعارضة شديدة للاستعمار الفرنسي تحت قيادة قائدهم مولاي أحمد بن الحسن السبعي الذي شهد له الكولونيل Voinot.L [159] بالمقاومة الشديدة ضد المستعمر الفرنسي الذي استبدل سلطة اجماعة بسلطة القائد أفقيرالذي تسنى له ضبط كل ما يتعلق بالقبيلة السبعية "وهكذا فإن التغيرات التي طالت هذا النسق الاجتماعي مست الوظائف والأدوار بالدرجة الأولى بفعل الدينامية التي أحدثها المستعمر في هذا التنظيم الحيوي لدى سكان المجتمع الواحي"[160]،وهو بمثابة بداية لتحول عميق سيعرفه المجتمع السبعي مع مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث ساهم انتشار التعليم والاقبال على التمدرس والهجرة الداخلية والخارجية في تجاوز التدبير التقليدي للموارد المحلية وفي تغيير منظومة الوظائف والأدوار التي ترتب عنها إضعاف مؤسسة اجماعة بتغير نظم تدبيرها للشأن المحلي وتشير مجمل الشهادات الشفهية إلى أن "اجماعت نتاقبلت" لازالت مستمرة رغم كل التحولات التي شهدها المجال السبعي حيث لم يتجاوز إلى اليوم الكثير من أعرافها المتوارثة خاصة التي لها علاقة بتدبير الموارد الطبيعية والاقتصادية والبنيات العقارية خاصة وأن الملكية العقارية لم يعد احتكارها في يد السلالة. فقد بدأ الكثير منهم خاصة المهاجرين في تفويت أراضيهم للغرباء القادمين بالثروة المادية كما أن بعض المنازعات التي كانت تسهر على حلها "اجماعة" أصبح أطرافها يرفعونها للقضاء للبث في شأنها في الوقت الذي كانت هي التي تحتكر كل ما يجري في" دويرة السبع"، فهي سلطة قضائية تحل محل القضاء عند حدوث النزاعات بين العائلات حول قضايا مختلفة كالإرث ومشاكل الحقول "إجران" بالتعبير المحلي والرعي ومشاكل أخرى. وقد أكد أحد المبحوثين أنه من العيب في ثقافة أهل دويرة السبع رفع شكاوى وقضايا تخصهم فيما بينهم أمام القضاء، وإخراج مشاكل السبعيين خارج حدودها وهو ما يدخل في نطاق ثقافة تقديس وكتمان كل ما يمكن أن يبدي صورة الصراع والنزاع خارج القبيلة وحدود أهلها. كما ظهرت جمعيات تعكس استمرارية المؤسسة التنظيمية التقليدية وتدير شؤون القصر إلى جانب "اجماعت نتاقبلت "وحضورها فعلي عندما يتعلق الامر بأعمال اصلاح السواقي وتوزيع وتدبير استهلاك الماء .

[159]- Voinot, L. Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc. illustration de Théophile-Jean Delaye, Charles Lavauzelle et cle editeurs ; 1939.

[160] - عبد السلام بيان ، التنظيمات التقليدية بواحة فركلة ابان مرحلة الاستعمار: دراسة سوسيو تاريخية ضمن كتاب دراسات وأبحاث حول التنظيمات الاجتماعية بالواحات المغربية .مطابع الرباط نت،الرباط ،2023،ص:129.

6. خاتمة:

إن حضور مؤسسة "اجماعت نتاقبلت" كمؤسسة تدبيرية وتنظيمية تدبر الموارد المحلية وتهيكل المجال يوضح ثراء الروابط البشرية والدينية والسياسية في القبيلة السبعية ولازالت تحتفظ ببنياتها الاجتماعية والسياسية التقليدية على الرغم من التغير الذي تعرضت له هذه البنية التقليدية نتيجة عوامل منها الاستعمار وسياسات التحديث وإشكالية الملكية العقارية وأشكال الصراع بين بعض الفئات داخل المجموعة والهجرة بأنواعها. إلا أن هذا لم يمنع من استمرار هذا النظام التدبيري التقليدي فهو حاضرفي العديد من المناسبات خاصة في لحظة الصراع حول الأرض الذي يبرز إديولوجية الإنتماء للسلالة .

إننا بصدد تراث لامادي في حاجة للتدوين والتثمين ولانجد حوله كتابات من مصادر ووثائق بل حضوره في الضمير الجمعي للسبعي يعبر عنه بالموروث الشفهي مما يستدعي جمع الرواية الشفهية وتدوينها ودراستها وتثمينها خاصة وأن المجتمع السبعي يشهد تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية وستكون لها انعكاسات قوية .

إن دراسة "اجماعت نتاقبلت" يعد مدخلا مهما من وجهة نظر سوسيوأنتروبولوجية لاستجلاء قيم المجتمع قبل التمدين السريع الذي يشهده المجتمع السبعي والملفت للانتباه زيادة على تثمين هذا التراث وجعله مادة مرجعية بين يدي المهتمين لخدمة التنمية البشرية المستدامة التي تربط الانسان ببيئته وانتمائه الحضاري وتجعله فاعلا خلاقا حسب عبارة الباحث محمد دحمان.[161]

وأخيرا فهذه الورقة لاتعدو أن تكون وقفة تأمل ولفت انتباه إلى أهمية دور "اجماعت نتاقبلت" في التنظيم السوسيو-سياسي وتدبيرالموارد المحلية في البنيات الثقافية والاجتماعية للقبيلة السبعية واستثمار هذه الخبرات التدبيرية المتراكمة في حل بعض القضايا الراهنة كندرة الماء جراء استفحال ظاهرة الجفاف في السنوات الأخيرة .

[161] – محمد دحمان ،نساء الصحراء دراسات سوسيو–انثروبولوجية ،مؤسسةافاق للدراسات والنشر والاتصال ،2023،المغرب ،ص:90.

لائحة المصادروالمراجع

باللغة العربية

- إرنس،كلنر، السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، ضمن كتاب الأنثروبولوجيا والتاريخ ، ضمن كتاب: الأنتروبولوجيا والتاريخ، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال البيضاء، 1988.
- برنامج عمل جماعة بني تدجيت 2017-2022، بتاريخ 05 أكتوبر 2017.
- روبير أسبينيون،أعراف قبائل زيان مساهمة في دراسة القانون العرفي الامازيغي المغربية، ترجمة :محمد أوراغ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية،سلسلة الترجمة رقم: 11، مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط،2007.
- عبد الرحمان ابن خلدون،مقدمة ابن خلدون، دار النشر العربي لبنان ط ج منقحة.
- عبد السلام بيان ، التنظيمات التقليدية بواحة فركلة ابان مرحلة الاستعمار: دراسة سوسيو تاريخية ضمن كتاب دراسات وأبحاث حول التنظيمات الاجتماعية بالواحات المغربية ، مطابع الرباط نت،الرباط ،2023.
- عبد اللطيف الموذني ،الدينامية المحلية وحكامة الدولة ،افريقيا الشرق ،الدارالبيضاء ،2013.
- ليليا بنسالم، التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير حصيلة وتقويم، ضمن كتاب: الأنتروبولوجيا والتاريخ، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال البيضاء، 1988.
- محمد أيت حمزة،ملامح التحولات السوسيومجالية بحوض أسيف أمكون، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مط المعارف الجديدة، الرباط 2016.
- محمد دحمان،تقديم القبيلة المغربية المجال التاريخ والتراث ، مركز رؤى للدراسات والأبحاث،فاس المغرب،ط1، 2022.
- محمد دحمان ،الواحات المغربية منبع التنظيمات السوسيو-سياسية:وقفة تأمل ضمن كتاب دراسات وأبحاث حول التنظيمات الاجتماعية بالواحات المغربية .مطابع الرباط نت،الرباط ،2023.
- محمد دحمان ، نساء الصحراء دراسات سوسيو-انثروبولوجية ،مؤسسةافاق للدراسات والنشر والاتصال ،2023،المغرب.
- محمد عابد الجابري ،حفريات في الذاكرة .مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،1997.
- مولاي احمد بن لحسن السبعي،الدرر السنية في اصل السلالة السغروشنية العمرانية والسبعية .فاس،ب.ت.
- مونوغرافيا بني تدجيت، 12 مارس 2013.

باللغة الأجنبية:

- Badie,p.les communes rurales au Maroc ,C.H.E.A.M,n 2.417,1955.
- Jaque, Berque. Qu'est-ce qu'une tribu Nord-Africaine ? In : Maghreb histoire et société. S.N éd, doculot, 1947. - Robert, Montagne. Les berbères et les makhzens dans le sud du Maroc. Edit Afrique Orient
- Voinot, L. Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc. Illustration de Théophile-Jean Delaye, Charles Lavauzelle et cle editeurs ; 1939.

التراث المعماري بين الاهتمام والإهمال

نموذج المغرب

بوشتى الحزيبي

جامعة مولاي سليمان. بني ملال (Elhazibi27@yahoo.fr)

الملخص

في خضم معركة التنمية والتحديث التي يخوضها المغرب المعاصر، يمكن أن تلعب التنمية الثقافية دورا رائدا في تحقيق هذا المشروع هذا إلى جانب مساهمتها في المحافظة على الهوية الوطنية. فالموقع الجغرافي للمغرب وعمقه التاريخي أيضا، مكناه من ارث ثقافي مادي ولامادي ومتنوع، إرث جعله يتبوأ مكانة متقدمة بإفريقيا والعالم العربي ضمن ما أدرج من تراث باللوائح التي سجلتها منظمة اليونسكو واعتبرتها تراث عالمي: فالمدينة المغربية مثلا تزخر بتراثها المتنوع المعماري والثقافي والتاريخي والصناعي. والمدن العتيقة يملأ جنباتها التاريخ، بحيث تحتضن معالم عديدة ومواهب بميدان الصناعة التقليدية والتزيين، ولذلك كانت دوما قبلة للسياحة الثقافية الداخلية والخارجية بالرغم من التثمين الضعيف الذي حظيت به.

الكلمات المفاتيح: تراث، تنمية. مدينة، تهيئة، فاعلون، سياحة ثقافية، وعي.

Abstract

In the midst of the development and modernization battle that contemporary Morocco is waging, cultural development can play a leading role in achieving this project, in addition to its contribution to preserving the national identity. Morocco's geographical location and its historical depth have enabled it to have a diverse tangible and intangible cultural heritage, a heritage that has given it an advanced position in Africa and the Arab world among the heritage included in the lists registered by UNESCO and considered a world heritage: the Moroccan city, for example, is rich in its diverse architectural, cultural, historical and industrial heritage. The old cities are filled with history, as they embrace many landmarks and talents in the field of traditional industry and decoration, and therefore have always been a destination for domestic and foreign cultural tourism despite the weak appreciation it has received

Keywords: heritage, city development, planning, actors, cultural tourism, awareness

في خضم معركة التنمية والتحديث التي يخوضها المغرب اليوم، يمكن أن تلعب الثقافة في معناها الواسع، دورا رائدا في تحقيق هذا المشروع هذا إلى جانب مساهمتها في المحافظة على الهوية الوطنية والذاكرة الجمعية للامة. وليس خافيا على أحد أن التراث جزء من هذه الثقافة.

فالموقع الجغرافي الذي يمتاز به المغرب "مكنه من ارث ثقافي مادي ولامادي فريد ومتنوع "إرث جعله يتبوأ مكانة متقدمة بإفريقيا والعالم العربي ضمن ما أدرج من تراث باللوائح التي سجلتها منظمة اليونسكو واعتبرتها تراث عالمي".

"فالمدينة المغربية عموما تزخر بتراثها المتنوع المعماري والثقافي والتاريخي والصناعي. والمدن العتيقة يملأ جنباتها التاريخ، بحيث تحتضن معالم عديدة ومواهب بميدان الصناعة التقليدية والتزيين لا مثيل لها[162]، ولذلك كانت دوما قبلة للسياحة الثقافية الداخلية والخارجية بالرغم من التثمين الضعيف الذي حظيت به.

وتثمين التراث لا يُعتبر غاية في حد ذاته، بل من المفروض أن يؤدي وظائف معينة كالمساهمة في التنمية المحلية المستدامة، وتشجيع الصناعات والحرف المحلية، والتعاونيات النسائية، وإعادة الاعتبار للمدينة والجهة بشكل عام، مما سيعود بالنفع على أصحاب القرى السياحية، ويستقطب أعدادا مهمة من السياح بمختلف فئاتهم. فحسب الأستاذ كعيوة فإن "التراث المعماري أصبح اليوم أحد أهم الآليات التي تساهم في تنمية التراب". فمشروع الجهوية الموسعة "الذي تبناه المغرب أخيرا"، يضيف الباحث، "يمنح فرصة للجماعات المحلية لبلورة سياساتها للمحافظة وتثمين التراث. وهو أساسي ضمن "ما يطلق عليه بسياسة المدينة"[163]، لكن شريطة المحافظة عليه وتثمينه، أي إقرار سياسة واضحة في هذا الميدان.

فهل وعى المغاربة ذلك؟ وهل اتخذوا دوما الموقف الضروري واللازم حيال تراثهم المعماري بالخصوص، حتى يؤدي الأدوار المنتظرة منه في التنمية المحلية والجهوية والمحافظة على الهوية؟

في مرحلة أولى سنحاول الإجابة على هذا التساؤل من خلال طرح بعض الفرضيات التي تقارب هذا الموقف؛ ثم في مرحلة ثانية سنرى هل توفر المغرب ويتوفر عن سياسة تهدف الى المحافظة على تراثه العمراني الغني، لنختم عرضنا بالتطرق لبعض المبادرات الفردية والجمعوية التي تبغ تحصين هذا التراث والمحافظة عليه من الاتلاف الإرادي واللاإرادي.

قبل الخوض في الإجابة عن هذه التساؤلات يجب أن نعرج على توضيح مفهومين أساسيين الأول هو مفهوم "التراث" والثاني هو "تثمين التراث".

يتفق الباحثون في التراث أن مفهوم التراث، مفهوم معقد "لأنه يعني في نفس الوقت "أشياء مادية ورمزية تمثل أهمية إما فنية أو تاريخية"[164] ليعرف هذا التعريف ، خلال العقود الأخيرة، توسعا جديدا بفضل تدخلات منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة بمناطق مختلفة من العالم لإنقاذ بعض المآثر والمحافظة عليها، بحيث أصبح يعني (أي التراث) كذلك بعض المناظر الطبيعية والتضاريسية والفضاءات المائية وغيرها، وعليه فعندما ننطق كلمة "تراث" اليوم، فإن مجموعة من التصورات والتمثلات تتبادر الى أذهاننا وهي على صلة "بالإرث الثقافي" و"الهوية الجمعية" و"الذاكرة الجمعية". ولكن كذلك البنايات التاريخية والمدن العتيقة والقصور والقناطر والسواقي وغيرها، وكل هذا "الإرث يساعد المجتمع على التموقع

[162] -Revue Zamane, décembre 2014.

[163]- Revue Zamane, opt. Ct.

[164] -Encyclopédie wikipédia.

بالنسبة لماضيه ومساره التاريخي"[165] لكن الى جانب ذلك "يرمز هذا المفهوم الى أنواع متنوعة من الخطابات حول الأمة والهوية والذاكرة"[166]. فهو يلعب دورا "ذاكراتيا" منها أن " ماضي مشترك يعني طبيعيا مستقبل مشترك" بحيث يرمز لتضامن الأجيال المتعاقبة واستمرارية الأمة الموغلة في القدم، كما يقول أحد المؤرخين الفرنسيين.

المفهوم الثاني وهو "تثمين التراث" (Patrimonialisation)، يقصد به "مراحل صناعة التراث أي تثمين الإرث الثقافي والمعماري لكونه ذا قيمة فنية وتقنية أو على صلة بالتاريخ المحلي"[167]، وسنرى لاحقا متى وكيف تبلورت فكرة الاهتمام وتثمين التراث من خلال تتبع سياسات بعض الدول العريقة في هذا الميدان، دون أن نهمل أنه يمكن أن يكون رافعة سسيو. اقتصادية إذا تم التعريف به في الداخل والخارج والتشجيع على اكتشافه وزيارته. فالدول الرائدة التي تعتبر اليوم قوى عالمية سياحية كفرنسا، التي تستقبل أكثر من 70مليون سائح سنويا، وكذلك اسبانيا واليونان وغيرها، بلغت ذلك بفضل اعتنائها وتثمينها لتراثها، وبذلك لعب ويلعب النشاط السياحي دورا أساسيا في تنمية وتقدم مدنها وجهاتها.

وللأسف الشديد، فإن الدارس لتاريخ أمتنا المغربية يكتشف أن المغاربة ظلوا طيلة تاريخهم الطويل يعيرون اهتماما أكبر للتراث الفكري (الحكايات والأمثال والأشعار وغيرها) مقابل اهتمام أقل بتراثهم المعماري. فكثيرة هي الأمثلة والوقائع من الماضي والحاضر، التي تبين نوعا من عدم اكتراث بني جلدتنا بتراثهم المعماري نذكر من بينها:

.قيام بعض السلاطين ببناء قصورهم على أنقاض قصور من سبقهم؛

. القيام بهدم الفندق الذي احتضن لقاء أنفا الشهير الذي جمع السلطان محمد بن يوسف بالرئيس الأمريكي روزفلت والوزير الأول البريطاني تشرشل. والكل يعلم أهمية هذا اللقاء بالنسبة لما آلت إليه الأحداث لاحقا؛

.وبجهة دكالة وغيرها، الكثير من المآثر تحتضر اليوم وتسير نحو الخراب منذ سنين، ولا مجيب، وخير مثال على ذلك القصبة الإسماعلية ببولعوان.

"بل إن منا اليوم من يعتبر التراث المعماري "رأسمال جامد وحجرة عثرة في وجه التطور العمراني" ويروج لهذه الأكذوبة بالخصوص بعض من يسمون أنفسهم "بالمنعشين العقاريين" الذين يتكالبون على الربح السريع، ولا يهمهم لا تاريخ الأمة، ولا ذاكرات المعالم التي ينتظرون بفارغ الصبر الساعة التي ينقضون فيها عليها.

فهناك إذن مفارقة عجيبة بين توفر المغرب على تراث غني، باعتراف دولي، تمثل مثلا في اعتبار الكثير من المدن والمعالم والفضاءات كتراث عالمي (الحي البرتغالي، فاس، الرباط، ساحة جامع الفنا...) وبين غياب وعي فعلي بذلك، واهتمام رسمي وشعبي في مستوى غنى هذا التراث الفريد من نوعه: "فالتراث والإرث الثقافي المادي لم ينالا بعد ما يستحقون من تثمين والإمكانيات المخصصة لذلك مازالت محدودة جدا"[168]. وهذا حال دون جرد شامل لهذا التراث وتصنيفه ورقمنته[169].

[165] -Revue Zamane, n°46,

[166] -Revue Zamane, février 2015.

[167] -A.C Kurzac Souali, Intentions, représentations et patrimonialisation plurielle des médinas marocaines, in Hesperis Tamuda, vol XLV, 2010.

[168] chrome-extension : //efaidnbmnnnibpcajpcglclefindmkaj/https ://www.cese.ma/media/2023/01/Patrimoine-culturel-VF.pdf, en date du 23 juillet 2024.

[169] chrome-extension : //efaidnbmnnnibpcajpcglclefindmkaj/https://www.cese.ma/media/2023/01/Patrimoine-culturel-VF.pdf, en date du 23 juillet 2024.

ولمحاولة فهم هذه الإشكالية سنلجأ لبعض الفرضيات التي تقارب الموقف الغالب من التراث بالمغرب:

.أولها وضعية الهشاشة السسيو- اقتصادية التي طبعت مراحل تاريخ المغرب بسبب توال الكوارث الطبيعية مثل الجفاف والجراد والأوبئة وغيرها والحروب الأهلية والخارجية وهذه الوضعية تجعل المجتمع، في كثير من الأحيان، عاجزا حتى عن الاستجابة للمطالب الحياتية الحيوية (الأمن، الأكل، الملبس...) فما بالك بإيجاد الموارد الضرورية لصيانة المباني والمعالم التاريخية.

صحيح أن هناك مؤسسة أصيلة، وهي الأحباس، أوكل إليها منذ غابر الأزمان القيام بهذا الدور، لكن دورها ظل يقتصر دوما على بعض المعالم مثل المساجد والزوايا والأضرحة التي كانت تسدي بعض الوظائف الدينية والتربوية أو الدفاعية، وحتى هذه المباني كان يتم إهمالها من طرف المؤسسة الوصية، الأحباس، حالما تتوقف عن تقديم الأدوار المذكورة آنفا، وهذا بالرغم من أهميتها التاريخية والمعمارية والفنية. وهذا ما حدث مثلا ببعض الأحياء العتيقة بسلا التي تعود للعهد المريني. فبمجرد ما هاجرتها الإدارات المخزنية بعيد الاستقلال، لتستقر بالمدينة الأوروبية وهاجرها أهلها الأصليون للاستقرار بالأحياء العصرية، عوضتها ساكنة فقيرة قادمة في غالبيتها من الأحياء الهامشية، ومن البوادي ونتيجة لذلك عم الخراب معالمها الخاصة والعامة. وللأسف فإن مثل هذا التصور ما يزال سائدا إلى يومنا هذا؛ أي أن أننا لا نقدر الأهمية التاريخية والمعمارية والفنية لتراثنا، ونتوقف عن الاعتناء به ما إن تنته وظيفته سواء الدينية أو التعليمية أو الاجتماعية أو الإدارية.

وفي هذا الصدد جاء في بعض قصاصات الأخبار، أن بعض الجماعات المحلية ببلادنا بادرت الى ترميم وصيانة بعض السقايات، التي توقفت عن العمل منذ عقود، وهو شيء محمود، غير أن ذلك قوبل بنقد شديد من طرف السكان الذين اعتبروا ذلك مضيعة للجهد والموارد المحدودة أصلا؛ ففي رأيهم كان من الأحرى والأجدر أن توجه هذه الإمكانيات لردم الحفر التي انتشرت بأزقة مدينتهم. وهذا المثال لا يدع مجالا للشك في أن تصور التراث مازال تصورا نفعيا ليس إلا.

.فرضية أخرى ترى أن موقفنا من التراث كان قد تبلور إبان الحماية عندما حاولت سلطات الاحتلال، وخاصة خلال عهدة المقيم العام ليوطي (1912.1924)، الحيلولة بين المغاربة والحداثة، وذلك بحثهم على المحافظة على بنياتهم العتيقة الإدارية والسياسية والفكرية وغيرها لأنها، حسبه، صمام الأمان الوحيد في وجه أمواج الحداثة العاتية. و"يقول اليوطي في هذا الصدد" إن ما يجب أن نعمل على تحقيقه هو ترك "الأهليين" (Les indigènes) وحالهم بمدنهم العتيقة، لأنهم لن يستطيعوا التكيف ونمط الحياة الأوروبي الذي يسود بالأحياء العصرية أو "المدينة الحديثة"[170](La nouvelle ville).

فكان الرد المغربي، حسب بعض المختصين، بالتصدي لبعض تمظهرات المغرب العتيق الذي حاولت سلطات الحماية سجننا فيه، والتراث المعماري إحداها. فبعض المراجع تفيد أن البعض من بني جلدتنا عمد الى تدمير بعض المعالم التاريخية عندما بدأت مصلحة "الفنون الجميلة" التابعة للحماية بجردها حتى تتمكن لاحقا من صيانتها.

.فرضية ثالثة ترى أن موقفنا من التراث إنما يعكس موقفنا من الفضاء العام عموما. فهذا الفضاء المحدود عندنا أصلا (قلة الحدائق والساحات العامة) لا ينال نفس التقدير والاحترام الذي يناله الفضاء الداخلي الحميمي، فضاء المنازل و"الرْياضات"، وهذا يترجم بالتزيين المفرط أحيانا والنظافة والتشجير، مقابل ذلك تعاني أزقتنا وشوارعنا من الإهمال بكافة أشكاله: قلة النظافة والتزيين وإتلاف الحدائق العامة والتشجير وفوضى الأزبال المنتشرة.

[170] -Revue *Zamane*, numéro de février 2015.

.البعض الآخر يرجع عدم الاكتراث بالتراث المعماري للتأثير الواعي أو غير الواعي للفكر الصوفي فينا وفي مخيلنا، وكان هذا الفكر ومازال يسوق مقولة أن أي بناء لابد وأن يندثر (مقولة الفناء)، وكل من يحاول معاكسة ذلك إنما يعاكس الأقدار. وحسب هذا التصور فإن المعلمة لابد أن تصير أطلالا، ومن هناك تتحول الى حكي وسرد يذكر المؤمنين بالفناء، فناء كل شيء، الأشياء والزمن والإنسان، حتى لا نغتر بالحياة الدنيا وزينتها. ولعل هذا ما يفسر الأهمية التي ظل يحظى بها التراث الفكري (الأثر) الذي يلعب دور المعلم والمذكر بهذا الفناء الحتمي.

.فكر أو إديولوجيا أخرى، ومن المفارقات العجيبة أنها نقيضة للفكر الصوفي، وربما هي كذلك كانت وماتزال تفعل فعلها فينا إنها الأفكار الوهابية التكفيرية. وكما لا يخف على أحد فإن هذا الطرح المتشدد لتعاليم الإسلام السمحة كان قد ظهر بشبه الجزيرة العربية خلال القرن 18م على يد محمد بن عبد الوهاب وكاد أن يتسرب إلى بلادنا في عهد السلطان مولاي سليمان (1792-1822) لولا تصدي كبار فقهاء المالكية له من أمثال الطيب بن كيران الذي كتب في ذلك رسالة بعنوان "بدع البدو من أهل المشرق"[171] يتهم فيها ابن عبد الوهاب بالتعصب وبكونه وريث الخوارج"؛ القبائل المغربية بدورها قاومت بشدة محاولات منع مواسمها وتخريب أضرحة علمائها وفقهائها وأهل الصلاح من رجالاتها باسم هذه الأفكار الوهابية المتشددة. وللتذكير فإن أتباع هذا الفكر المتطرف كانوا قد دمروا آلاف المعالم التي تعود للعهد النبوي بمكة والمدينة منذ أن تمكنوا من السلطة في جزيرة العرب بداية القرن العشرين، وهاهم اليوم يواصلون مسارهم التخريبي المعادي والمدمر لتراث الأمة باسم محاربة اعوجاج العقيدة بالعراق وسوريا وليبيا وتمبكتو وغيرها.

.عامل آخر ساهم في تراجع أهمية وقيمة تراثنا في ذاكرتنا الجمعية وعند العامة في بلادنا، إنه موقف بعض الجهات الرسمية من التراث المعماري الذي ورثوه عن من سبقهم في الحكم وخاصة إذا خرج هذا الأخير من الحكم مغلوبا؛ فيحدث أن السلالة المنتصرة أو الحاكم المنتصر كان يعمد الى طمس و تدمير أو على الأقل إهمال كل ما يذكر من العمران بمن سبقه، وذلك حتى يظهر بصورة المجدد المحي للأمة بل المؤسس حتى يظهر أنه أخرج الأمة من العدم. والأمثلة عديدة في هذا الباب . فذلك ما جرى مثلا بين المرابطين والموحدين وبين السعديين والعلويين. فهذا السلطان المولى إسماعيل يقوم ببناء قصره بمكناس بما تم سحبه من مواد وأحجار و رخام كانت تُزخرف قصر البديع السعدي بمراكش. وكما أشرتنا الى ذلك آنفا، فإن هذه التصرفات لا تَحُظ العامة على اتخاذ موقف يُجل ويُحافظ على التراث بل تحثهم على عكس ذلك تماما.

فإذا كان هذا هو موقف بعض حكامنا سلفا من التراث، فإن الأمر اختلف تماما بالغرب الأوروبي، وربما هذا ما يفسر التقدير والاحترام الذي تكنه شعوب الغرب، حاكمين ومحكومين، لكل تراثها ولتراثها المعماري الماضي والحاضر بالخصوص. فخلال القرون الوسطى مثلا كانت السلالة التي تستولي على الحكم (الكر ولنجيين والكابسيين بفرنسا مثلا) تعمل جاهدة على المحافظة على "غنيمتها" التي تتجلى في القصور والحصون والقناطر والكنائس وغيرها، والتي شيدت خلال حكم الاسر البائدة: فالسلالة المنتصرة توظف هذا "التراث . الغنيمة" لإثبات شرعيتها وقوتها وقدرها ولفرض سمعتها التي تتجلى في أن السلالات التي سبقتها في حكم البلاد كانت قوية، وتراثها يدل على ذلك، على أنها كانت أقوى منها.

يظهر إذن من خلال هذه الفرضيات التي تروم فهم موقفنا من التراث كمغاربة، أن عوامل عدة ساهمت في تبخيس تراثنا في أعيننا ومِخيالنا وذاكرتنا الجمعية ومن ثم أهملناه وتركناه يجابه لوحده أهوال الزمن والضغط السكاني والتخريب البشري، بالإضافة إلى عوامل التعرية والتحولات المناخية وغيرها. لكن هل هذا يعني الغياب الكلي لأية "سياسة تراثية"، وأي اجراءات رسمية هدفت الى انقاذ هذا التراث؟

[171] -Revue *Zamane*, hors-série N°IV, 2015.

في الحقيقة عندما نطلع على بعض تجارب الأمم الأخرى في ميدان السياسات التراثية، أو المحافظة على التراث المعماري، نكتشف أن هذا الاهتمام لم يكن دوما أحد أولويات الشعوب في الشرق والغرب. فالوعي بأهمية التراث عند الغرب يعود مثلا في غالبيته "لعصر الأنوار" أي القرن الثامن عشر الميلادي. ذلك ما حدث في كل من ايطاليا وسويسرا وألمانيا. أما بفرنسا فقد استشعر الزعماء ضرورة الاعتناء بتراثهم وانقاذه عقب التدمير الواسع الذي ألم به خلال مرحلة الثورة والإمبراطورية (1815.1789)، وضرب بالخصوص الكنائس والقصور، باعتبار أن الثوار كانوا في عداوة مع الإكليروس والملكية المطلقة. أما بإسبانيا فقد برز الاهتمام بالتراث، وخاصة الأندلسي منه خلال القرن 19 فقط، وهذا نتيجة لصدور كتاب لأحد الروائيين الأمريكيين بعنوان "حكايات من قصر الحمراء" يعرب فيه عن انبهاره بما اكتشفه من حضارة الأندلس الخالدة.

وأما ببلادنا فإن أول "سياسة تراثية" تهدف إلى المحافظة على التراث وتثمينه، بمفهومه المعاصر، كانت قد طرحت بِداية عهد الحماية، مع صدور أول نص تشريعي بهذا الخصوص، وهو الظهير السلطاني لسنة 1914. والحقيقة أن هذا الظهير مثل "قطيعة أبستمولوجية ومادية مع النظرة التقليدية للتراث الذي ظلت تعتبره كخراب وأطلال. وهي نظرة كانت وراء الإهمال الذي ألم به"[172] بسب تجدر الفكر الصوفي في مخيلتنا وربما السلفي كذلك بالرغم من تناقضهما. وكان وراء هذا الظهير أول مقيم عام، وهو هبر ليوطي (Hubert Lyautey) الذي عشق الحضارة المغربية وتحمس لذلك وبدل في سبيله جهدا كبيرا. ولهذا الغرض أنشئت مؤسستين رائدتين وهما: مصلحة الفنون الأهلية ومصلحة الآثار والفنون الجميلة والمعالم التاريخية، وعين على رأسها موريس ترنشون دو لين (Maurice tranchant de Lune)، كما تأسست متاحف ووضعت برامج للمحافظة على الفنون و"الحرف الأهلية التي كانت تعاني من منافسة البضائع الصناعية القادمة من المتربول"[173]. وقد حضي التراث الموحدي والسعدي بعناية خاصة الى جانب القصور الملكية والمدن العتيقة التي تمت "حمايتها من التعمير المتوحش".

يقال بأن ليوطي كان مقتنعا بضرورة المحافظة على التراث الأهلي لأنه جميل ورائع وأصيل في الكثير من تمظهراته (الطهي، الخط، المعمار...)، هذا بالإضافة إلى كونه شاهدا على حضارة اورسطية (moyenâgeuse) كان يحن إليها الفنانون والشعراء والكتاب الرومانسيون من أمثل دو لاكروا وهيكو ... الذي صدمتهم الثورة الصناعية وصعود الانانية والتهافت على الثروات المادية: فبقدر ما كانت المدينة العتيقة ترمز للماضي كانت المدينة الأوربية ترمز للحداثة والتقدم"[174].

لكن جمال المدينة العتيقة كان يبطن الكثير من المتاعب لسكانها تمثلت في ضيق الفضاء الذي خصص لها في وقت كان التزايد الطبيعي للساكنة مرتفعا والهجرة القروية على أشدها، وهذا سرعان ما تجاوز قدرتها الاستيعابية مما أدى إلى تدهور بنياتها وظروف العيش بها. ورغم ذلك فلا يمكن إنكار الدور الذي لعبته سلطات الحماية في انقاذ الكثير من تراثنا من الإتلاف. ونُذكر أخيرا بأن ليوطي هو الذي أشرف سنة 1915 على إعادة إحياء موقع وليلي الذي يعود للعهد الروماني والذي ظل مطموسا مطمورا منذ قرون، وقد اعتمد ليوطي في ذلك على الأسرى الألمان الذين قاموا بتخليص الموقع مما كان يلفه من أتربة وصخور وحشائش، ليتخذ شكله الحالي خلال الثلاثينات من القرن 20، أي خمس سنوات بعد رحيل أول مقيم عام عن بلادنا[175].

[172] -Revue Zamane, numéro de février 2015.

[173] -Revue Zamane, opt. Cti.

[174] -Revue Zamane, opt. Cti..

[175] -Rachida DUMAS-DIRECHE (Sous la dir.), Volubilis, une cité romanisée, Centre d'Etudes Arabes, 2001, p.15.

ومند فجر الاستقلال أنشئت وزارة وصية على التراث، وهي وزارة الثقافة (مصلحة المآثر التاريخية التابعة لوزارة الثقافة) والتي تقوم بمجهودات جبارة في سبيل ذلك. فالكثير من المعالم والمآثر تم إنقاذها وتثمينها؛ لكن الأوراش كثيرة جدا ويجب أن تُنقد عاجلا لأن بعض مدننا العتيقة بلغت وضعا يرثى له. ففي كل يوم نسمع أنها" تتهاوى مسببة خسائر بشرية ومادية". ولعل هذا العجز أمام عظمة المهمة، مهمة انقاد تراثنا، هو الذي دفع بوزير الثقافة إلى تسليم تسيير أهم المعالم التاريخية بمراكش (قبور السعديين، قصر البديع وقصر الباهية) لشركات خاصة بحجة أن الدولة لا تملك الموارد الضرورية لتسييرها بحجة أن هذه المعالم المذكورة تستقبل أكثر من مليون زائر سنويا ولا يمكن للقطاع العام مسايرة مثل هذا التطور. غير أن مثل هذه المبادرة، وإن كانت ستساهم في الصيانة والمحافظة على هذا التراث، مثل ما جرى بحديقة ماجوريل (Majorelle)بمراكش، يمكن أن تَحرُم الشرائح الهشة من المجتمع المغربي من زيارتها؛ لأن أكبر هم الشركات الخاصة، هو الربح الكبير والسريع وهي لا تكن أي "تقدير للحمولة الوطنية والإرث التاريخي الفريد"[176] لهذا التراث.

والحقيقة انه مهما توسعت موارد الوزارة الوصية، فإنها لن تستطيع القيام لوحدها بمهمة المحافظة على تراث بحجم التراث الذي تزخر به بلادنا، لهذا فإن تدخل المجتمع المدني أصبح ضرورة ملحة تشجع عليه –خاصة- النجاحات التي حققتها بعض الجمعيات العاملة في الميدان مثل جمعية "ذاكرة الدار البيضاء" (Casa-mémoire) التي انبرت لإنقاذ تراث العاصمة الاقتصادية الذي يواجه تحديات كبيرة تتمثل في إهماله من طرف سلطات المدينة، ومن تَربُص أشباه المنعشين العقاريين الذين لا يكترثون بما تمثل هذه المعالم من رمزية تاريخية وفنية وغيرها. وجمعية "ذاكرة الدار البيضاء" سنت سنة حسنة تهدف الى التعريف بمآثر الدار البيضاء وهي إحداث أيام للاحتفال بتراثها أطلقت عليه " أيام التراث" التي من خلالها يتم التعريف به والتحسيس بالمخاطر المحدقة به.

والمطلوب هو أن تعم هذه التجربة الرائدة باقي مدن المملكة. والمحمود أن مدن مثل الجديدة سارت على هذا الدرب، درب التعريف بتراثها والمحافظة عليه والتحسيس بأهميته والمطلوب هو أن تعم باقي المملكة مثل هذه المبادرات.

أخير يجب كذلك تشجيع بعض المبادرات الفردية التي أنقدت من الدمار بعض تراثنا و التي يقوم بها بعض المغاربة والأجانب كذلك، و تمثلت في شراء بعض الدور و"الرْياضات" وترميمها لتتحول لاحقا إلى مقاهي ومطاعم تساهم في بعث بعض الأحياء العتيقة والفقيرة وخلق مناصب شغل، والتي كانت بالأمس مرتعا للجريمة والبطالة، ورفعت بعض العزلة عنها، وبمدينة الجديدة هناك العديد من المبادرات الناجحة نذكر منها على وجهه الخصوص إعادة تهيئة الحي البرتغالي و ترميم "القصر الأحمر" وغيره.

ونتيجة للمجهودات العمومية والخاصة بالرغم من تواضعها، فإن بعض النتائج الطيبة بدأت تلوح في الأفق: فهذه مجلة التايمز (*Tames*) الأمريكية الصادرة صيف 2024 تعتبر متحف فنون الطهي المغربي بمراكش: "ليس فقط واجهة للمعمار المغربي ولكن كذلك فضاء يعمل على المحافظة على تراث الطهي المغربي" ولذلك يضيف كاتب المقال بالمجلة المذكورة، "فإن هذا المتحف يعتبر من بين الخمسين مكان التي تجدر زيارتها عبر العالم"[177].

أخيرا نعتقد أنه آن الأوان لنعي أهمية تراثنا ونقف منه الموقف الإيجابي اقتداء بالأمم المتحضرة، لأنه يختزل تاريخنا الموغل في القدم، ويشعرنا بأننا أمة عريقة وقادرة على الخلق والإبداع والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية، كما

[176] https://fr.hespress.com/362395-patrimoine-marocain-signature-dun-accord-pour-preserver-notre-heritage.html

[177] https://www.moroccoworldnews.com/2024/07/364136/marrakech-s-culinary-arts-museum-makes-times-worlds-greatest-places-list

ISSN 2569-734X

أن المحافظة عليه وتثمينه سيساهم حتما في الدفع بعجلة التنمية في بلادنا لأنه سيشجع النشاط السياحي الذي يعود بالخير على البلاد والعباد.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد التاسع والعشرون
كانون الثاني – يناير 2025
ISSN 2569-734X

تأثير الحرب العسكرية بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع في مسار الأزمة السودانية

The impact of the military war between the Sudanese army and the Rapid Support Forces on the course of the Sudanese crisis.

1. محمد عبدالسلام غالب العامري - اليمن - جامعة صنعاء- كلية التجارة والاقتصاد قسم العلوم السياسية
mamaedmm@gmail.com

الملخص: يهدف هذا المقال الى توضيح تأثير الحرب العسكرية بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع على الأزمة السودانية، وتداعياتها على وضع السودان الداخلي؛ لتعدد دوافعها، واطرافها الداخلية والخارجية الفاعلة في الأزمة السودانية، التي لا ترغب في تقدم التنازلات للخروج بحل وسط يرضي جميع المكونات السودانية.

ويحاول مقالنا هذا تحليل الوضع السوداني الراهن واستشراف المستقبل بتقديم سيناريوهات تزداد مؤشرات حدوثها في حال استمرار هذا الصراع.

الكلمات المفاتيح: الأزمة السودانية - الحرب السودانية - الدعم السريع

Abstract: This article aims to clarify the impact of the military war between the Sudanese army and the Rapid Support Forces on the Sudanese crisis and its repercussions on Sudan's internal situation; due to the multiple motivations and the active internal and external parties involved in the Sudanese crisis, which do not wish to make concessions to reach a compromise that satisfies all Sudanese components. This article attempts to analyze the current Sudanese situation and foresee the future by presenting scenarios that are increasingly likely to occur if this conflict continues.

Keywords: Sudanese crisis - Sudanese war - Rapid Support Forces.

تقديم :

تزامنا مع الاطاحة بالرئيس السوداني عمر البشير أثر انتفاضة ديسمبر ٢٠١٩م، تشكل المجلس العسكري الانتقالي الذي يضم الفريق أول ركن عبد الفتاح البرهان، قائد الجيش السوداني، رئيسا للمجلس، والفريق أول محمد حمدان دقلو (حميدتي) قائد قوات الدعم السريع نائباً للبرهان في المجلس، كفترة انتقاليه. كما اتفق المكون المدني ممثلة بقوى الحرية والتغيير، مع المكون العسكري ممثلا بالمجلس العسكري، على اقامة تحالف مشترك لتشكيل مجلس السيادة الانتقالي والذي تم التوقيع عليه في أغسطس ٢٠١٩م. لفترة ٣٩ شهرا، وزع مقاعدة بين المكون العسكري والقوى المدنية بالمناصفة[178].

يترأس مجلس السيادة الانتقالي المكون العسكري لواحد وعشرين شهراً، ثم يتبعه المكون المدني بترأس مجلس السيادة لثمانية عشر شهراً المتبقية من مدة الفترة الانتقالية[179] . ليترأس مجلس السيادة الانتقالي البرهان ويعين حميدتي نائباً، مع انتهاء فترة ترأس المكون العسكري لمجلس السيادة وصل المكون المدني لترأس مجلس السيادة الانتقالي بقيادة عبدالله حمدوك.

اولا: اسباب ودو افع اندلاع الحرب في السودان:

الا ان سوء إدارة الفترة الانتقالية ولدت أزمة سياسية جديدة بعد أن حل استقرار نسبي في السودان. باعلن المكون العسكري حالة طوارئ في اكتوبر ٢٠٢١م، وحل مجلس السيادة ووضع رئيس المجلس عبدالله حمدوك رهن الاعتقال، الذي اعاد الى منصبة بعد شهر من الانقلاب عليه، الا انه قدم استقالته مطلع ٢٠٢٢م لعدم التزام المكون العسكري بتعهداتهم[180]. وللتحفيف من الضغوط الدولية، والاحتجاجات الشعبية المطالبة بتسليم السلطة إلى المدنيين، برزت مبادرة الاتفاق الإطاري في ديسمبر ٢٠٢٢م، كمحاولة جديدة لتوصل إلى حل للأزمة السودانية، والذي تم تأجيل التوقيع النهائي عليه، المحدد في ١ أبريل ٢٠٢٣م، لأكثر من مرة بسبب العديد من الخلافات حول بنود الاتفاقية، ووصول الحل السياسي للأزمة السودانية إلى طريق مسدود. لتشتعل أول شرارات الحرب بين المكونان العسكريان الرئيسيان في السودان، متمثلا بعبدالفتاح البرهان قائد الجيش السوداني، وحميدتي قائد قوات الدعم السريع، في الخامس عشر من نفس الشهر، لتمثل نقطة فاصلة في تاريخ الأزمة السياسية السودانية.

وان فشل عملية انتقال السلطة إلى المدنيين، وفق الاتفاق الإطاري، الذي سعى الى عزل الجيش من كل الممارسات السياسية، وتجريدة من كل الانشطة التجارية والاقتصادية، كان سبب رئيسي في عدم التوقيع النهائي على الاتفاق، وبروز الانقسامات الشديدة.

ليصدر الجيش السوداني بيان بان البلاد تمر بمنعطف خطير بسبب قيام الدعم السريع بحشد قواته داخل العاصمة والولايات الاخرى دون موافقة القوات المسلحة، وان استمرار تحركات الدعم السريع سيؤدي إلى مزيد من التوترات التي تقود لانفراط عقد الأمن بالبلاد[181].

---

178 - مونت كارلو الدولية، النص الكامل للاتفاق السياسي الموقع بين المجلس العسكري الانتقالي وقوى إعلان الحرية والتغيير، ١٧ يونيو ٢٠١٩م، شوهد في ٢٥ مارس ٢٠٢٤م، على الرابط: https://n9.cl/jgega

179-نفس المرجع

180 -المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **الموقف الأميركي من الصراع في السودان: دوافعه ومدى قدرته على التأثير**، قطر، ٢١يونيو ٢٠٢٣م،ص ١

181 -بيان الجيش السوداني، قناة الجزيرة الاخبارية، **موقع تيليجرام**، ١٣ أبريل ٢٠٢٣م، شوهد في ٢٤ فبرير ٢٠٢٤م، على الرابط: https://t.me/AjaNews

الا ان اندلاع الحرب في السودان نتيجة أسباب غير مباشرة عديدة ابرزها، وصل الاطراف المتفاوضة في السودان إلى مرحلة يرفض كل طرف من الاطراف تقديم أي تنازلات. كإصرار الدعم السريع على تشكيل حكومة انتقاليه بقوى حزبية وسياسية محددة، بينما تمسك الجيش بحكومة ذات قاعدة عريضة وتوافق وطني واسع[182]. بالإضافة اعتبار بعض المكونات السياسية الاتفاق الإطاري سبب في الصراع الحالي[183]. **لسببين رئيسين:**

الأول :مطالبة حميدتي بإدراج بند لخروج الجيش من العملية السياسية، وامتثاله لحكومة مدنية، الذي ربطة البرهان دعم الجيش للاتفاقية بالتعجيل في تنفيذ بند دمج قوات الدعم السريع في القوات المسلحة[184].

والثاني: المدة المطلوبة لدمج قوات الدعم السريع في الجيش. فقد طالب مؤيدين حميدتي بعشر سنوات، بينما طالب الجيش بإن تنقضي عملية الدمج في مده لا تزيد عن سنتين[185]. أي مع انقضاء المرحلة الانتقالية الجديدة.

ثانيا: تداعيات وارتدادات الصراع السوداني

أداء الصراع السياسي والعسكري في السودان إلى ارتدادات وتداعيات كبيرة على وضع السودان الداخلي، والتي جعلت الشعب السوداني لايزال يعاني من ويلاتها، كما رهنت مستقبل السودان بمخرجاتها. وتجلت بثلاثة مستويات:

- **فعلى المستوى الأول** خلق بيئة سياسية وامنية هشة، وحالة عدم استقرار مزمن مع اقتتال دائم، كما انه نسف كل آمال الانتقال الديمقراطية القريبة في السودان.
- **وعلى المستوى الثاني** توقفت كل المشاريع الرئيسية للإنتاج الصناعي في السودان، والتي تتمركز معظمها في العاصمة السودانية الخرطوم، وهي مركز المواجهات، أيضا تردي الاوضاع المعيشية، واستمرار العجز الاقتصادي نتيجة استغلال وتوظيف موارد السودان المادية في الجانب العسكري رغم شحتها، وتوقيف المساعدات المالية الخارجية التي تعهدت بعض الدول في تقديمها.
- **وعلى المستوى الثالث** تعطيل شبة كامل لمرافق الخدمات العامة. كما قدرت الأمم المتحدة خروج مرفق صحي من كل ١١ مرفقا[186]. كما خلقت أكبر أزمة نزوح في العالم[187]. قدرت ٨,١ مليون شخص[188]. وكشف تقرير الأمم المتحدة إنه بحلول ١٥ ديسمبر ٢٠٢٣م تعرض ما لا يقل عن ١١٨ شخصاً للعنف الجنسي والاغتصاب، وأن العديد منها ارتكبت من قبل أفراد ينتمون لقوات الدعم السريع[189].

ثالثا: ابرزالمو اقف المحلية والدولية من الصراع السودان

تباينت المواقف الداخلية والخارجية للفواعل الرئيسية في السودان حيال الحرب العسكري الحالية، في ثلاثة اصعده:

---

182 -كرم سعيد، **دوافع وتداعيات تطورات الصراع في السودان**، مركز رواق بغداد، ٢ مايو ٢٠٢٣م، ص ص ٣- ٤

183 - مثل بيان التحالف الديمقراطي للعدالة الاجتماعية

184 - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **تفجير الصراع بين القوات المسلحة السودانية والدعم السريع: الأسباب والتداعيات المحتملة**، قطر، ٢٠ أبريل ٢٠٢٣م،ص ص ١-٢

185 - سيدي أحمد ولد الأمير، معركة الجيش السوداني وقوات الدعم السريع: الدلالات والسياق، مركز الجزيرة للدراسات، ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، شوهد في ١٨ فبراير ٢٠٢٤م ، على الرابط: https://n9.cl/29s51t

186 OCHA السودان: التحديث الإنساني، ٢٣ فبراير ٢٠٢٤م، شوهد في٣ مارس ٢٠٢٤م، على الرابط: https://n9.cl/umspt

187 - الأمم المتحدة، الحرب في السودان: 25 مليون شخص يعانون من الجوع وسوء التغذية، ١٩ فبراير ٢٠٢٤م، شوهد في ٢٩ فبراير ٢٠٢٤م، على الرابط: https://n9.cl/n0x9d

188 OCHA مرجع سابق

189 - الأمم المتحدة، تقرير أممي جديد: موت ومعاناة في السودان وانتهاكات مروعة من الطرفين، ٢٣ فبراير ٢٠٢٤م، شوهد ٢٩ فبراير ٢٠٢٤م، على الرابط: https://n9.cl/fhkk1

- **فعلى الصعيد الوطني** ناشد حزب المؤتمر السوداني وحزب الأمة السوداني وحزب الأمة القومي الأطراف العسكرية التهدئة والوقف الفوري والرجوع الحوار وعدم جر البلاد لحرب شاملة، كما إضافة الممثلة السابقة لقوى الحرية والتغيير في مجلس السيادة زينب الصادق، الى تنفيذ الاتفاق الإطاري باعتباره هو المخرج الوحيد للأزمة التي تعاني منها البلاد[190]. بينما عبر التيار الاسلامي عن دعمة للجيش ضد ما اسماهم "وكلاء المشروع الاجنبي" واعتبرتها حركة المستقبل للإصلاح والتنمية "معركة ضد المخطط الأجنبي لتفكيك البلاد"[191].
- **وعلى الصعيد الدولي** اعربت كل من السعودية وقطر روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية عن قلقنا البالغ، من التصاعد وحثت على وقف إطلاق النار، بالإضافة الى مطالبة مصر إعلاء المصالح العليا للبلاد؛ الا ان بلينكن اعتبرها محاولة لاعبون آخرون عرقلة التقدم الذي تحقق باتجاه الحكومة المدنية في السودان[192].
- **وعلى الصعيد المؤسساتي** ودعت الآلية الثلاثية في السودان[193] الجيش السوداني وقوات الدعم السريع إلى وقف المواجهات العسكرية والعودة إلى طاولة التفاوض والحوار[194].

رابعا: السيناريوهات

نتيجة لسلسلة من الازمات السياسية والاقتصادية والأمنية يبرز لدينا العديد من السيناريوهات المتوقعة للأزمة السودانية، ابرزها:

- **سيناريو الاول: انتصار قوات الدعم السريع**

يتضح عبر عدة مسارات الاول: من خلال التنقلات الداخلية والزيارات الخارجية، للقائد قوات الدعم السريع حميدتي، لشراء ابرز القيادات الشعبية والعسكرية، الى جانب الزيارات الخارجية لكسب التأييد الدولية، التي أكدها الجيش السوداني بمحاوله حميدتي خلق علاقات دبلوماسية موازية للدولة، الثاني: عبر سعي قوات الدعم السريع للاستفادة من المبادرات المحلية والإقليمية والعالمية، لتغلغل وتوطيد نفوذ في المناطق التي سيطر عليها بشكل حديث، لتأمينها خوفا من حدوث انقلاب فيها. يطالب حدوث هذا السيناريو ان يكون باستطاعة حميدتي بناء شبكة واسعة من العلاقات والتحالفات مع القوى السياسية، والتي تمكن الحصول عليها عبر دعم قوى الحرية والتغيير له وغيرها، بالإضافة الى الحصول على الدعم الخارجي العسكري واللوجستي. سوء من روسيا التي زارها في فبراير ٢٠٢٢م، ليؤكد التزامه باتفاقية إقامة قاعد عسكرية روسية في ميناء بور تسودان السوداني على البحر الأحمر، او من إسرائيل باعتباره من أهم الداعمين لمسار التطبيع او من غيرها [195].

- **السيناريو الثاني: استكمال مسار التفاوض**

عدم قدرة إحدى اطراف الحرب التغلب على الاطراف الآخر، بعد ما يقارب السنة من اشتعال الحرب، تسبب في خسائر كبيرة لجميع الاطراف، والمطالبات الشعبية بالعودة إلى طاولة الحوار، مما قد يجعل جميع الاطراف تقدم بعض التنازلات للخروج بحل سياسي نهائي، سوء في ظل الاتفاق الإطاري او غيره، يتطلب تحقيق هذا السيناريو عودة اطراف الحرب الجادة والراغبة للخروج بحل سياسي نهائي واقامة حكومة مدنية، ولكن المؤشرات ترى ان هذا السيناريو بعيد المنال بسبب اسناد

---

190 ـ بيان كل من حزب المؤتمر السوداني وحزب الأمة السوداني وحزب الأمة القومي، وزينب الصادق ، قناة الجزيرة الاخبارية، **موقع تيليجرام**، ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، شوهد في ٢٤ فبريل ٢٠٢٤م، على الرابط: https://t.me/AjaNews

191 ـ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **تفجير الصراع بين القوات المسلحة السودانية والدعم السريع**، مرجع سابق، ص٣

192 ـ بيان كل من السعودية وقطر روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ومصر ، قناة الجزيرة الاخبارية، **موقع تيليجرام**، ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، شوهد في ٢٤ فبريل ٢٠٢٤م، على الرابط: https://t.me/AjaNews

193 ـ تضم الأمم المتحدة، والاتحاد الإفريقية، والهيئة الحكومية للتنمية "الايغاد"

194 ـ كرم سعيد، مرجع سابق، ص ٥

195 ـللمزيد انظر محمد تورشين، **تداعيات الصراع بين الدعم السريع والجيش على العملية السياسية بالسودان**، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٢ ابريل ٢٠٢٣م

وتفضيل القوى السياسية طرف دون طرف وفق مصالح مشتركة، وتبادل الاتهامات بين المكونان العسكريان حيث اعتبر البرهان قوات الدعم السريع مليشيات حاولت الانقلاب على السلطة، وانه صراع للأطراف الخارجية، بينما اتهم حميدتي البرهان بأنه المتسبب بهذه الحرب والمسؤول عن دمار البلاد، لمحاولته اعادة الحكم الاستبدادي وطمس الثورة المجيدة.

- **السيناريو الثالث: حرب اهلية طويلة الأمد ستودي الى انفصل اقاليم شمال السودان**

تمكن كل الاطراف الحفاظ على مناطق سيطرتهم، فتمركز قوات الدعم السريع في الاقاليم الشمالية كإقليم دارفور[196] وغيرها من الاقاليم الشمالية، واستغلال مناجم الذهب والمعادن الأخرى، بتوظيف عوائدها المالية في تعزيز قواته، كما سعى المكونين العسكريين الى الاستقطاب الشديد عبر الإعلان والدعوة للنفير العام بداء من ١٥ أبريل ٢٠٢٣م. تتعزز هذا السيناريو من خلال تقارب القدرات العسكرية والاقتصادية لقوات الدعم السريع مع قوات الجيش السوداني، ورفض جميع الاطراف تقديم التنازلات للخروج بحل سلمي، ومحاولة كل طرف التمسك بمكاسبه العسكرية والاقتصادية والسياسية، مما أوصل جميع محاولات التفاوض السابقة إلى الفشل. وان تفاقم الصراع العسكري بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع ساهمت في بروز فاعلين عسكريين محليين جدد ترفض الانضمام إلى كلاء الفصيلان العسكريان، وهو ما يشكل تهديد بعودة الصراعات الاثنية في السودان إلى سطح المواجهات، وإعادة تجربة السودان قبل ٢٠١٠م. **يعتبر هذا السيناريو أقرب السيناريوهات إلى الو اقع**

بالنظر إلى ما تقدم من سيناريو محتمل تبرز توصية ان لم ينتهي الصراع العسكري الحالي بتوحيد القوات المسلحة في جيش واحد فيستحيل إن تشهد السودان استقرار طويل الأمد، دون وجود جيش واحد قادر على بسط نفوذه على كل الاراضي السودانية، وان عجز الجيش السوداني عن التغلب على قوات الدعم السريع ودمجها في الجيش، سيفتح للجماعات المسلحة الأخرى آمال لتكرار الفعل، وعدم الاندماج في الجيش. لذلك يجب على الدول العربية في ظل جامعة الدول العربية التحرك وفق اتفاقية الدفاع المشترك لعام ١٩٥٠، لإيقاف الحرب الدائرة واجبار جميع الاطراف على العودة الى التفاوض باشتراط، ان يكون أولها توحيد جميع القوات المسلحة في جيش واحد عبر تقديم ضمانات لجميع الاطراف بأن يكون التفاوض السياسي منصف لجميع الاطراف؛ باعتبار توحيد كل القوات المسلحة في جيش واحد غاية جوهرية لتحقيق الاستقرار السياسي في السودان، ومن أجل التوصل الى حل سياسي يرضي الجميع، ويسهل عملية انتقال السلطة إلى الجانب المدني، وكذلك تقدم عملية التنمية.

قائمة المراجع:

1. مونت كارلو الدولية، النص الكامل للاتفاق السياسي الموقع بين المجلس العسكري الانتقالي وقوى إعلان الحرية والتغيير، ١٧ يونيو ٢٠١٩م، على الرابط: https://n9.cl/jgega
2. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **الموقف الأميركي من الصراع في السودان: دو افعه ومدى قدرته على التأثير**، قطر، ٢١يونيو ٢٠٢٣م
3. كرم سعيد، **دو افع وتداعيات تطورات الصراع في السودان**، مركز رواق بغداد، ٢ مايو ٢٠٢٣م
4. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **تفجير الصراع بين القوات المسلحة السودانية والدعم السريع: الأسباب والتداعيات المحتملة**، قطر، ٢٠ أبريل ٢٠٢٣م

[196] - الذي يمثل خمس مساحة السودان ومعظم ثروات السودان النفطية والمعادن تتواجد فيه

5. سيدي أحمد ولد الأمير، معركة الجيش السوداني وقوات الدعم السريع: الدلالات والسياق، مركز الجزيرة للدراسات، ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، شوهد في ١٨ فبراير ٢٠٢٤م ، على الرابط: https://n9.cl/29s51t
6. OCHA السودان: التحديث الإنساني، ٢٣ فبراير ٢٠٢٤م، على الرابط: https://n9.cl/umspt
7. الأمم المتحدة، الحرب في السودان: 25 مليون شخص يعانون من الجوع وسوء التغذية، ١٩ فبراير ٢٠٢٤م،على الرابط: https://n9.cl/n0x9d
8. الأمم المتحدة، تقرير أممي جديد: موت ومعاناة في السودان وانتهاكات مروعة من الطرفين، ٢٣ فبراير ٢٠٢٤م، على الرابط: https://n9.cl/fhkk1

التوزيع المجالي لأشكال التعرية وديناميتها في حوض كرت الأسفل بالريف الشمالي الشرقي (المغرب).

د. مخشان محمد[1]_د. الحريشي كمال[2] _د. عوكاشة عبد المنعم[3] _ د.فطاس حميد[2]

[1]-جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية (مختبر توازنات الأراضي واعداد المجال).

[2]-جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس بفاس.

[3]-جامعة عبد المالك السعدي (شعبة الجغرافية)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، مرتيل، المغرب.

البريد الإلكتروني: makhchanemohamed@gmail.com

ملخص:

يعاني الريف الشمالي الشرقي بالمغرب عموما وحوض كرت الأسفل خصوصا، من مظاهر متنوعة لتدهور الأراضي الفلاحية نتيجة التعرية، وتتباين من حيث آليات تشكيلها بفعل تعدد وتداخل العوامل الطبيعية والبشرية، وأشكالها المختلفة، كالتعرية الغشائية، والسيلان المركز، والتخديد والأساحل...الخ.

من خلال هذا العمل، تم جرد مظاهر التعرية وتوزيعها المجالي بحوض الكرت الأسفل بالريف الشمالي الشرقي، قصد محاولة فهم واستنباط ما يعكسه هذا التوزيع لهذه الأشكال، من حيث تأثيرها على الدينامية البيئية وآثارها السلبية على الأراضي الفلاحية، ثم تحديد مساحة ونسبة كل مظهر على حدة وتفسير ديناميته داخل الوسط. ولهذه الغاية، تم الاعتماد على المرئيات الفضائية العالية الدقة، والزيارات المتكررة للميدان للوقوف والمعاينة، للتمكن من رسم وتوطين مختلف أشكال التعرية الموزعة بالمجال المدروس.

الكلمات المفتاحية: التوزيع المجالي - أشكال التعرية، الدينامية البيئية، حوض كرت الأسفل، التنمية المستدامة.

Résume :

Le Rif nord-oriental du Maroc, et plus précisément le bas du bassin versant el kert, souffre de diverses manifestations de dégradation des terres agricoles dues à l'érosion hydrique. Ces manifestations varient en termes de mécanismes de formation, résultant de l'interaction de facteurs naturels et humains, et se présentent sous différentes formes, telles que l'érosion en nappe, le ruissellement concentré, les ravines et les badlands.

Cet article vise à identifier les manifestations de l'érosion et leur distribution spatiale dans le bassin du Kert inférieur au nord-est du Maroc, afin de comprendre et de déduire les implications de cette distribution pour ces formes d'érosion. Cela comprend l'évaluation de leur impact sur la dynamique environnementale et des effets négatifs sur les terres agricoles. L'étude vise également à déterminer la superficie et le pourcentage de chaque manifestation individuellement et à interpréter leur dynamique au sein de la région. Pour ce faire, des images satellitaires à haute résolution et des visites de terrain répétées ont été utilisées pour l'observation et l'examen afin de cartographier et de localiser les diverses formes d'érosion réparties dans la zone d'étude.

Mots-clés : Distribution spatiale - Formes d'érosion ; dynamique environnementale ; le bas du bassin versant el kert ; développement durable.

تقديم عام:

تشكل مخاطر التعرية بالريف الشمالي الشرقي، أحد المخاطر الرئيسية التي تهدد الأراضي بالانجراف والتصحر، حيث توفر العوامل الطبيعية مناخا ملائما لحركية السفوح، كما هو الحال بحوض كرت الأسفل، والمتمثلة في المناخ الشبه الجاف وهيمنة الصخور الهشة وتعدد مناطق الضعف الجيولوجي المرتبطة بالتكتونية الحديثة وتعمق الشبكة الهيدروغرافية خلال الرباعي، بالإضافة إلى التساقطات المطرية العنيفة والمركزة. وقد تأخذ التعرية أبعاد كارثية حينما تتفاعل العوامل الطبيعية مع العوامل البشرية، المتمثلة في الكثافة السكانية العالية، والاستغلال العنيف للمجال، وفقدان قيمة الأرض أمام الموارد المالية البديلة، بالإضافة إلى التوسع على حساب الأراضي الهامشية الهشة، الأمر الذي يعرض الإنسان وأنشطته الاقتصادية إلى الخطر.

تعمل التعرية المائية بوتيرة متسارعة على كشط التربة ونقل عناصرها الصلبة نحو الأودية والمنخفضات وإلى حقينة السدود. ويعتبر وصف وتوطين مظاهر هذا الخطر داخل الوسط الذي يتفاعل فيه، من الطرق والأساليب الأكثر فاعلية لمحاولة تحديد مدى خطورتها مجاليا وفهم ديناميتها في علاقتها بمختلف العناصر الطبيعية. وتعتبر هذه المنهجية المبنية على الوصف والتفسير والتحليل من المناهج الجغرافية الأنجح في تقريب الواقع الحقيقي لوسط معين من مواقع اتخاذ القرار، من أجل سن حلول ناجحة لوقف او كبح هذا الخطر الذي يهدد أمن وسلامة الساكنة المحلية.

I. تحديد المجال والإشكالية والمنهجية المتبعة في الدراسة:

1. تقديم مجال الدراسة:

تقع منطقة حوض كرت الأسفل في أقصى غرب الجهة الشرقية، على بعد 15 كلم، غرب مدينة الناضور. وتبلغ مساحته حوالي 140 كلم²، تتوزع على خمس جماعات ترابية، لكن معظمها يقع خارجة منطقة الدراسة وهي اعزانن، بني بويفرور، بني سيدال الجبل، بني سيدال لوطا، ثم جماعة أمجاو (الخريطة 01).

من الناحية الطبيعية، يتخذ المجال شكل منخفض مفرغ لحوض كرت الأسفل، يتشكل من رافدين أساسين هما وادي أوماسين ووادي إغزار وشن. تشرف على هذا المجال، العديد من المرتفعات الجبلية، كمرتفعات آيت سعيد غربا، وهضاب بني فكلان شمالا، وجبال تديونيت جنوبا، وكتلة كوروكو شرقا، وبالتالي تشكل هذه المرتفعات حدودا طبيعية لمجال الدراسة، الذي يعتبر مجال تراكم للموارد القادمة من العالية، عبر سفوح، أقل ما يمكن أن نقول عنها، أن انحدارها غير منتظم ومتقطع، وهي تحمل آثار تشكيل قوي، بالرغم من الانبساط المميز لحوض كرت الأسفل وموقعه الاستراتيجية على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط. حيث من المتوقع أن تعرف المنطقة نهضة عمرانية واقتصادية كبيرة جدا في السنوات القادمة، بفضل المركب الميناني الضخم " ميناء الناظور غرب المتوسط"، المرتقب الانتهاء من أشغاله سنة 2024م (الخريطة 01). وبالتالي تشكل هذه الدراسة أهمية بالغة تهدف إلى تسليط الضوء على النشاط المورفوديناميي القوي بالمنطقة، والذي من شأنه أن يشكل تهديد حقيقي للتنمية المستدامة بالمنطقة.

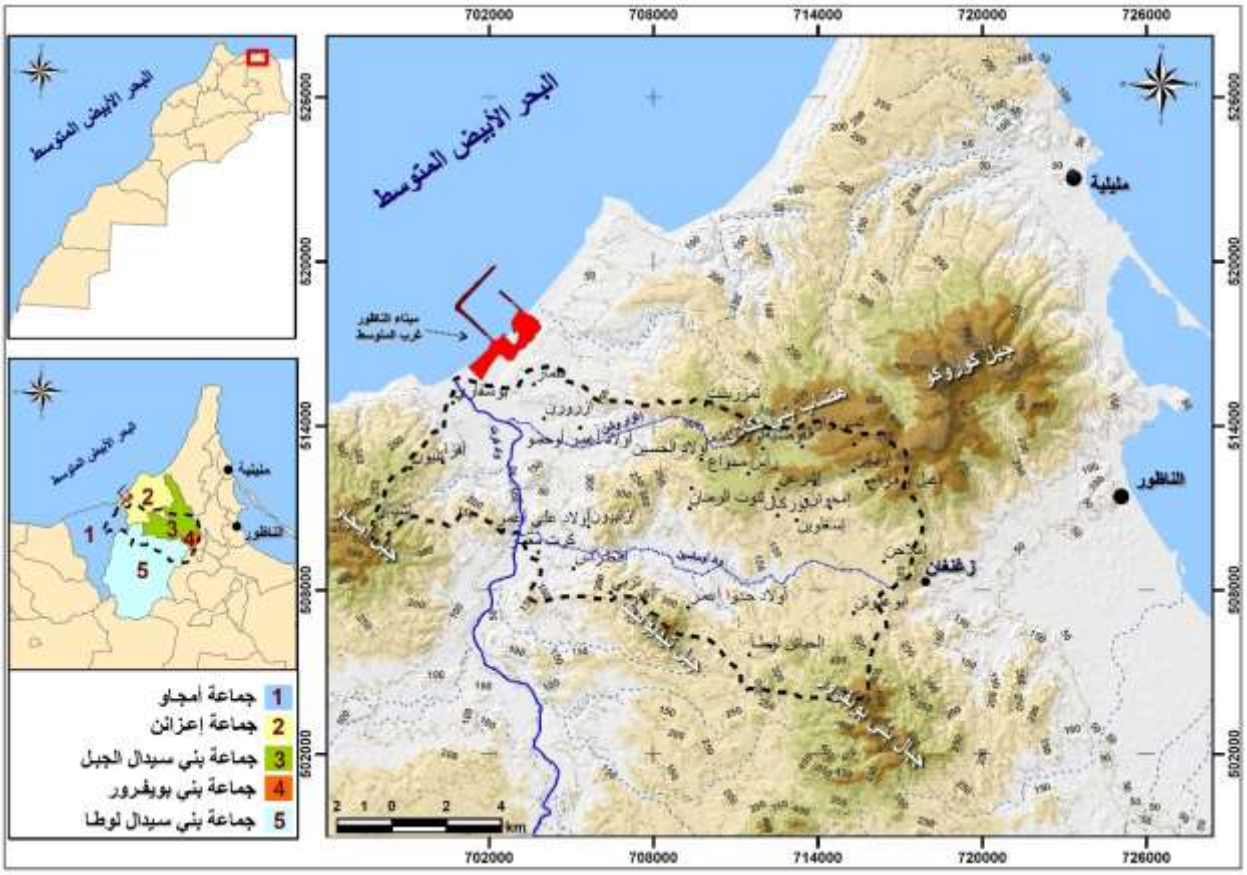

الخريطة 01: موقع حوض كرت الأسفل ضمن التراب الوطني المغربي

2. إشكالية التعرية بحوض كرت الأسفل:

تعرف سفوح حوض كرت الأسفل بالريف الشرقي، تشكيلا مورفوديناميا قويا وعنيفا، تسرع من آليات تدهور الأراضي، والمتمثلة في مختلف أشكال التعرية مثل التعرية الغشائية، التعرية المركزة، والانزلاقات الكتلية. فالأمر لم يعد يقتصر فقط على تدهور الأراضي الزراعية وانجراف تربتها، بل تعدى ذلك إلى تهديد المنازل السكنية والمنشآت البشرية بالانهيار (الصورتان 01 و02)، الشيء الذي جعل معظم ساكنة المنطقة تعيش حالة من القلق، وتنتظر الفرصة المناسبة للمغادرة أو الانتقال إلى المدن المجاورة بشكل نهائي، وهذه الظاهرة تبرز بشكل واضح من خلال معدلات الهجرة القروية المرتفعة التي تعرفها المنطقة مقارنة بباقي مناطق المغرب.

نسعى من خلال هذه الورقة العلمية الإجابة عن إشكالين رئيسيين هما: ما هي أهم مظاهر وآليات التعرية المساهمة في تدهور الأراضي الفلاحية؟ وإلى أي حد يمكننا تقييم خطورة هذا النشاط المورفوديناميي على الموارد الطبيعية وعلى المنشآت البشرية بالمنطقة؟

يهدف هذا العمل إلى ابراز مختلف مظاهر التعرية وتوزيعها المجالي داخل مجال حوض كرت الأسفل، وذلك من خلال تحويل المعطيات الميدانية الى خرائط موضوعاتية تسهل على القارئ او الدارس فهم توزيعها الحالي والمواقع الأكثر هشاشة من ناحية كثافة ونوعية التعرية المهيمنة. كما نسعى من خلال هذه الدراسة الى تفسير أساليبها وآلياتها وعوامل المتحكمة في نشاطها داخل الوسط الطبيعي.

3. منهجية الدراسة:

تتناول هذه الورقة العلمية دراسة التوزيع المجالي لأشكال التعرية في حوض كرت الأسفل، وتشخيص مختلف مظاهر تدهور الأراضي الفلاحية. وتعتمد الدراسة على الوصف الميداني لمختلف آليات تشكيل السفوح، من خلال جرد آليات وأشكال التعرية الحالية وتوزيعها المجالي.

وتُبدأ الدراسة بإنجاز خريطة توزيع أشكال التعرية باستخدام المرئيات الفضائية (Google Earth) الملتقطة في سنة 2022م، إضافة إلى الزيارات الميدانية المتكررة للتحقق من صحة الأشكال والظواهر ومعاينتها وتعديل البيانات المستنبطة من المرئيات الفضائية.

ثم تُصنف تلك الأشكال حسب نوعية آلية التعرية المهيمنة وحدتها، ويُوصف كل شكل على حدة باستخدام الصور الميدانية كدعم للبيانات.

من بين أهم الصعوبات التي اعترضت إنجاز خريطة توزيع أشكال التعرية الحالية يمكن ذكر تداخل مجموعة من الأشكال المرتبطة بالسيلان والتخديد فوق السفح نفسه، وكذلك صعوبة التعرف على الفرق بين المجالات المعرضة للسيل المنتشر والتخديد الأولي أو الخدوش، ثم التمييز بين أشكال التعرية والتعرف عليها بالأراضي المحروثة التي تعرف تعرية غير مرئية وخفية. ولتجاوز هذه الصعوبات، تم الاعتماد على الملاحظات الميدانية وعلى نظام التموضع العالمي GPS من أجل تحديد مواقعها.

II. التوزيع المجالي لآليات وأشكال التعرية بحوض كرت الأسفل:

لتصنيف أشكال التعرية حسب نوعيتها وحدتها، اعتمدنا مفتاحا يراعي المظاهر النوعية لأشكال التعرية (سيول، تخديد، حركات كتلية وتقويض ضفاف الأودية)، كذا توزيعها الطبوغرافي حسب الانحدارات والارتفاعات بين المناطق الجبلية والسهلية (الخريطة 2) .

ويجب الإشارة إلى أن بعض أشكال التعرية مثل الحفر الوعائية والانزلاقات، إضافة إلى بعض الخدوش، تم تحديدها باستعمال نظام تحديد المواقع العالمية GPS.

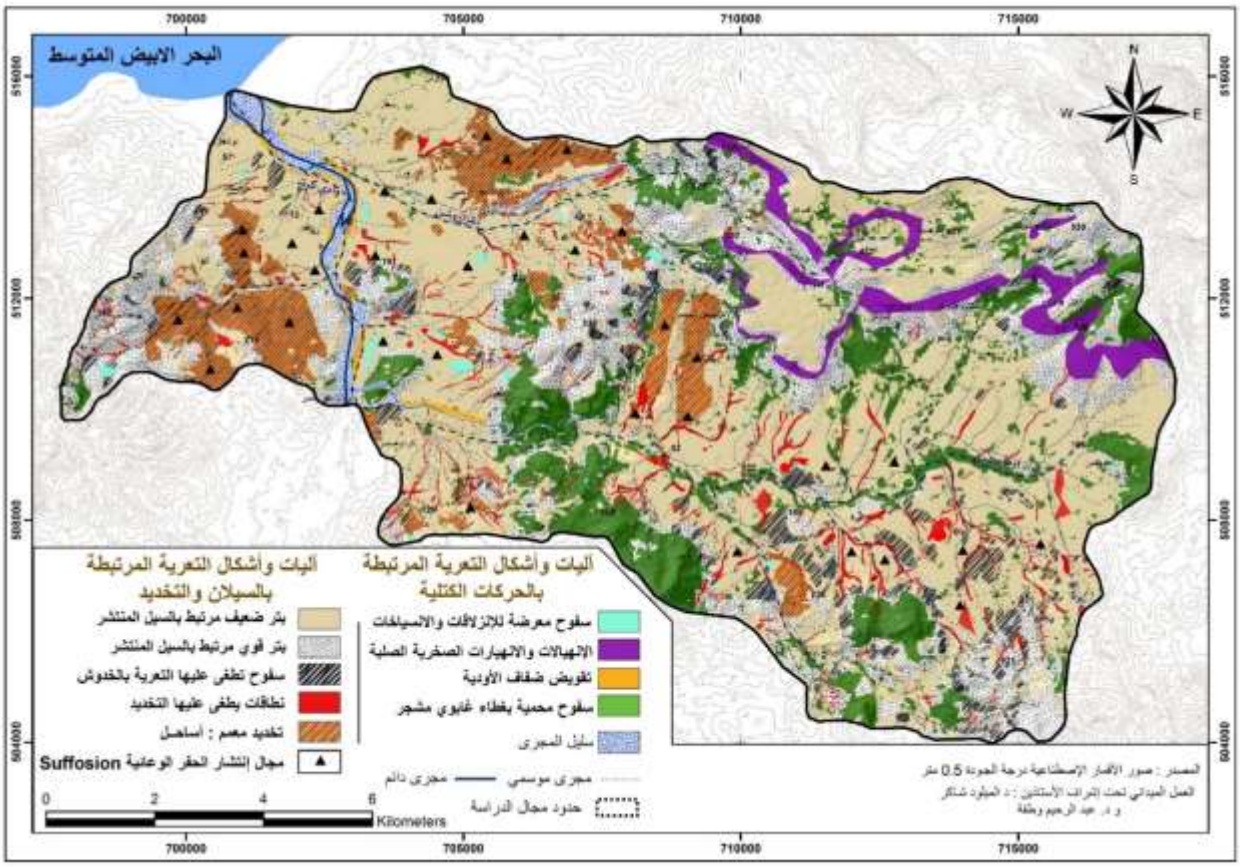

الخريطة 02: نطاق أشكال التعرية بحوض كرت الأسفل (السنة المرجعية 2022)

1. يكتسح السيل المنتشر جل السفوح بمجال الدراسة:

يتميز الجريان المنتشر بتدفقه على شكل خيوط رقيقة من المياه فوق سطح التربة، تفصل بينها حواجز (حجارة، غطاء نباتي...الخ). تشمل التعرية المرتبطة بالجريان المنتشر ما يقارب 70 % من مجموع مجال حوض كرت الأسفل (المبيان 01). ويكتسح هذا الشكل من التعرية جل السفوح. وغالبا ما يتم هذا التدهور بشكل متستر على المسكات العليا من التربة، ولن يستفحل إلا مع بروز الركيزة الصخرية الهشة. يمكن التمييز بين نوعين من التعرية الغشائية، حسب حدتها وآثارها البارزة على السطح:

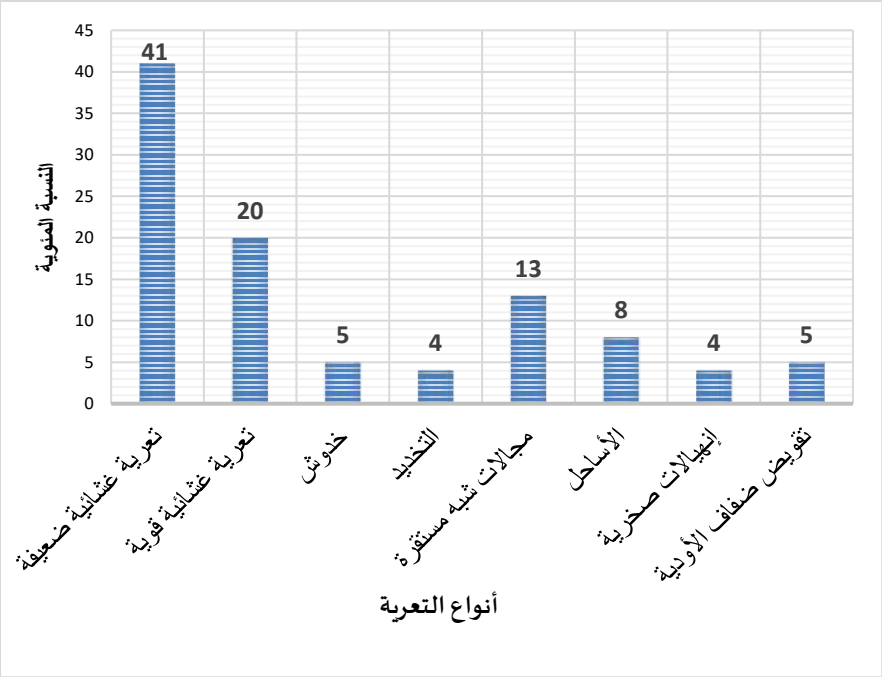

المبيان 01: توزيع أشكال التعرية بحوض كرت الأسفل (السنة المرجعية 2022)

أ) التعرية الغشائية ذات البتر الضعيف للتربة:

تعتبر المرحلة الأولى من عمليات تدهور التربة بفعل التعرية المائية (ROOSE 1994)، على شكل تعرية غشائية ذات بتر ضعيف وعلى مساحة تقدر بـ 41% من مجال الدراسة، وتبقى آثارها جد باهت ولا يمكن تمييزها بالعين المجردة سوى من خلال انفتاح لون التربة، على شكل بقع بيضاء منتشرة على السطح (الصورة 1 و2). تبين من خلال نتائج تنضيد خريطة التعرية على خريطة الانحدارات، أن هذه النوع يستوطن المواقع التي يقل انحدارها عن 15°، والتي توافق مجالات مفضلة لممارسة النشاط الزراعي من جهة، كما تسمح طوبوغرافيتها المنبسطة باستعمال المكننة من جهة ثانية، وهي تحتل المواقع المتواجدة بقدم السفوح، حيث الانتشار الواسع للحادورات ومخاريط الانصباب فضلا عن هضاب بني فكلان في شمال منطقة الدراسة (خريطة1).

الصورة 01: مشهد لعملية اصلاح المواقع المتضررة بالتعرية الغشائية ذات البتر الضعيف

الصورة 02: مشهد لبقع فاتحة اللون على سطح المشارات الزراعية بسبب التعرية الغشائية ذات البتر

تبين من خلال استجواب بعض الفلاحين المالكين للأراضي المعرضة للتعرية الغشائية ذات البتر الضعيف، أن الإنتاجية تختلف من قطاع إلى آخر داخل السفح الواحد بل وداخل المشارة الواحدة، ففي الأجزاء المحافظة على استقرارها المورفو-دينامي، والتي ما زالت تحافظ على سمك مهم من التربة ولونها الداكن، يصل متوسط الإنتاجية بها إلى 7

قنطار/الهكتار من الشعير، بينما لا تتجاوز 2 قنطار/هكتار في الأراضي المعرضة لدينامية التعرية الغشائية ذات البتر الضعيف[197].

علاوة على ذلك، تظهر المعاينات الميدانية والقراءة التأويلية للخرائط التركيبية، وجود علاقة بين هذا النوع من التعرية مع طبيعة استعمالات التربة؛ حيث أن حوالي 93% من التعرية الغشائية ذات بتر ضعيف، تحتل المجالات التي تعرف انعدام التغطية النباتية أو الضعيفة على شكل ماطورال والمجالات المشجرة، ثم الأراضي الزراعية. فطبيعة عملياتها الانتقائية وعملها الخفي الطويل الأمد، يجعلها تصنف من أعنف وأشد مظاهر التدهور للتربة، على اعتبار أنها تهاجم خصوبتها بشكل مباشر عبر إفقار آفاقها العليا من العناصر الدقيقة والمواد العضوية، وإلى تغيير نسيج التربة وبنيتها (علي فلاح،2010م). وتظهر آثارها في الأجزاء الوسطى من السفوح، حيث تبرز على السطح بقع فاتحة اللون (الصورة 01)، تعكس طبيعة عملياتها الانتقائية التي عملت على إضعاف سمك التربة وتهجير المواد الدقيقة والعضوية باتجاه السافلة، الشيء الذي يدفع بعض الأسر التي تزاول النشاط الزراعي، إصلاح المواقع المتضررة من عملية التعرية الغشائية الانتقائية، من خلال تزويدها بالمادة العضوية (غبار الحيوانات) (الصورة 02).

ب) تعرية غشائية ذات بترقوي:

ما يميز هذا النوع من التعرية الغشائية، وضوحها من حيث خشونة السطح والانتشار الواسع للعناصر الحصوية، حيث تؤدي في بعض النطاقات إلى حدود بروز القاعدة الصخرية على السطح. تشكل 20% من مجموع مساحة المجال، تنتشر بشكل كبير فوق السفوح التي تتميز بانحدارات متوسطة ما بين 20 إلى 35 درجة. 72 % منها توجد فوق قاعدة صخرية بركانية صلبة ومتنوعة السحنات (فليس متصلب مع رماد بركاني-لاتيت latites، التراكيت trachytes) فأمام عدم قدرة مياه الجريان على اختراق هذه الصخور الصلبة بالرغم من الانحدارات المهمة، تؤدي التساقطات المطرية، إلى تشكيل غشاء من المياه المنتشر على كامل السطح، حيث تعمل بفضل سرعتها التي تشتد بزيادة درجات الانحدار، على نقل العناصر الدقيقة بشكل سريع وتخلف العناصر الخشنة، مما يؤدي إلى شدة خشونة السطح وإلى حد بروز القاعدة الصخرية (الصور 03؛04؛05).

3 - صورة لسطح خشن يقع وسط سفح ذو تعريض نحو الشمال، معدل الانحدار يتجاوز 35 درجة. فوق قاعدة صخرية من الفليس مختلط مع الرماد البركاني.
4 - صورة لسطح خشن يقع وسط سفح ذو تعريض نحو الجنوب، معدل الانحدار ما بين 20 – 35 درجة. القاعدة الصخرية فليس مختلط مع الرماد البركاني.
5 - صورة فوق سطح هضبة درجة انحداره اقل من 12 درجة، بروز القاعدة الصخرية " لاتيت قاعدي "latites basique".

الصور03؛04؛05: جانب من الأراضي المعرضة للتعرية الغشائية ذات بترقوي بحوض كرت الأسفل

[197]- تم حساب متوسط الانتاجية انطلاقا من نتائج المقابلة، أجريت مع 20 شخص يمتلكون أراضي معرضة للتعرية الغشائية ذات بتر ضعيف.

تعتبر أغلب هذه النطاقات المعرضة للتعرية الغشائية القوية، أراضي غير صالحة للزراعة والبعض الآخر يكون قد فقد قدرته الإنباتية بشكل نهائي، نتيجة البتر وفقدان التربة موردها الرئيسي. وبالتالي هي تبقى أراضي متصحرة وجرداء، تعتبر مؤشر واضح لما وصلت إليه التعرية الغشائية في هذه النطاقات. والحال يسير على نفس المنوال في باقي الأراضي إذا لم يتوقف نزيف التعرية الغشائية بها.

2. تتعرض التلال الصلصالية بحوض كرت الأسفل للسيل المركز:

بخلاف المناطق السهلية والمناطق ذات القاعدة الصخرية الصلبة، الأكثر مقاومة لتركز المياه، بحكم انعدام شروط التركز، سواء تعلق الأمر بضعف الانحدار أو ببنية وسمك التربة أو بصلابة الركيزة، تبقى جل سفوح الكتل الجبلية، معرضة لتعرية قوية، تتمثل في مجموعة من الأشكال والأحجام المختلفة، من قبيل؛ الخدوش، الحفر الوعائية، الخدات، الأساحل، والتي لم تعد تهدد التربة وفقط، بل أصبحت تتعمق في البنية الصخرية وتهدد المنشآت من طرق وسكن...إلخ.

يعتبر وصول السيل السائح، الذي يكون في البداية على شكل خيوط مائية تربط بين البرك المائية، إلى سرعة 25 سنتمتر/ثانية، وفقا ل Hjulstrôm (1935) نتيجة الإنحدارات، مرحلة متطورة من التعرية، حيث تصبح طاقتها قادرة على خلق تعرية محدودة في المجال عن طريق حفر خطوط التدفق. بمعنى آخر؛ لم تعد هذه الطاقة مشتتة على السطح بشكل كامل، ولكن أصبحت مركزة ضمن قنوات تتميز بانحدارات قوية. وبالتالي تساهم في خلق تعرية خطية، تعتبر مؤشرا على أن الجريان السطحي أصبح منتظما، يتميز بسرعة وطاقة قادرة على تجزيئ التربة، ونقل عناصر أكثر خشونة مثل الحصيم والحصى...الخ. يمكننا التمييز بين عدة أشكال للسيل المركز، وكل شكل يعبر عن مرحلة معينة من التطور الذي تعرفه التعرية بالمنطقة.

أ) التعرية بالخدوش:

تشكل الخدوش أولى مظاهر التعرية المركزة، والتي يكون قد وصل فيها السيل الغشائي إلى مرحلة التركز عبر التجريحات الخفيفة وتوسعها الجانبي لبعض السنتمترات فقط. تصل المساحة المهددة بهذا النوع من التعرية 5% من مجال الدراسة (750هكتار)، فباستثناء المناطق ذات النتوءات الصخرية البارزة على السطح، والمناطق المشجرة والمهيأة على شكل مدرجات، يبقى باقي المجال يعرف تواجد أشكال الخدوش التي لا تتعدى في الغالب 40 سنتمتر في العمق.

يمكن التمييز بحوض كرت الأسفل، بين عدة أشكال من الخدوش تختلف من حيث العمق والمظهر المورفولوجي:

– <u>خدوش دقيقة ذات عمق أقل عن 10 سنتمتر</u> :

يعرف هذا النوع من الخدوش انتشارا واسعا، خصوصا فوق التكونات السطحية الطينية الغرينية والصخور الصلصالية، وهي أشكال موسمية، تبقى قابلة للمسح والإزالة بمختلف أنماط استغلال الأرض. فمن خلال تتبع توزيعها بمجال الدراسة، تبين لنا وجود ارتباط وثيق بين هذه الخدوش الدقيقة وشقوق التراجع، الناتجة عن تناوب التبليل والتجفيف التي تتعرض لها الصخور الطينية بشكل عام (الصورة 06).

الصورة 06: جانب من الخدوش بحوض كرت الأسفل

– الخدوش العميقة ما بين 10 و40 سنتمتر:

يتعلق الأمر بخدوش واضحة المعالم وذات تصريف دائم لمياه الأمطار (الصورة 07)، حيث يصعب محوها بالتقنيات الزراعية على خلاف سابقتها، بل نجدها تستغل خطوط الحرث وأماكن الضعف على السطح للتعمق والتوسع بشكل جانبي. ينتشر هذا النوع من الخدوش في حوض كرت الأسفل (الخريطة 02)، على السفوح الظليلة ذات التعريض نحو الشمال بكثافة مرتفعة، حيث سمك التكوينات السطحية جد مهم.

الصورة 07: تعبر عن الخدوش العميقة ما بين 10 و40 سنتمتر

كما يمكن التمييز بين عدة أنواع مورفولوجية لهاته الخدوش بحوض كرت الأسفل (الشكل 01)، إذ يمكن أن نجد خدوشا ذات قناة واحدة (Rigoles à chenal unique)، وقد اقترن توزيعها بشكل كبير بالأراضي الزراعية، مستغلة خطوط الحرث الموافقة للانحدار، لترسم مسارها على السطح بشكل مستقيم وموازي لخطوط الحرث، والتي يوحي مظهرها العام بأنها حديثة التطور وما زالت في بداية مرحلة تشكيلها. ويمكن أن تتواجد حتى على المنحدارات الضعيفة بأقل من 2 % (Stéphane Sogon 1999). وهناك أيضا بالمجال خدوش متشعبة، تستوطن الانحدارات المتوسطة بين 20% و30% خاصة وسط السفوح، كما تتطور على سطح التشكيلات السطحية غير المتجانسة. وهي نوع جد خطير نظرا لتفرعها السريع والاكتساح الكامل لمسكات التربة السطحية، على عرض مسارات المياه. كما يمكننا أن نصادف أيضا في الميدان خدوشا متوازية (Rigoles parallèles)، وهي توجد على الانحدارات من مستوى 30% فأكثر.

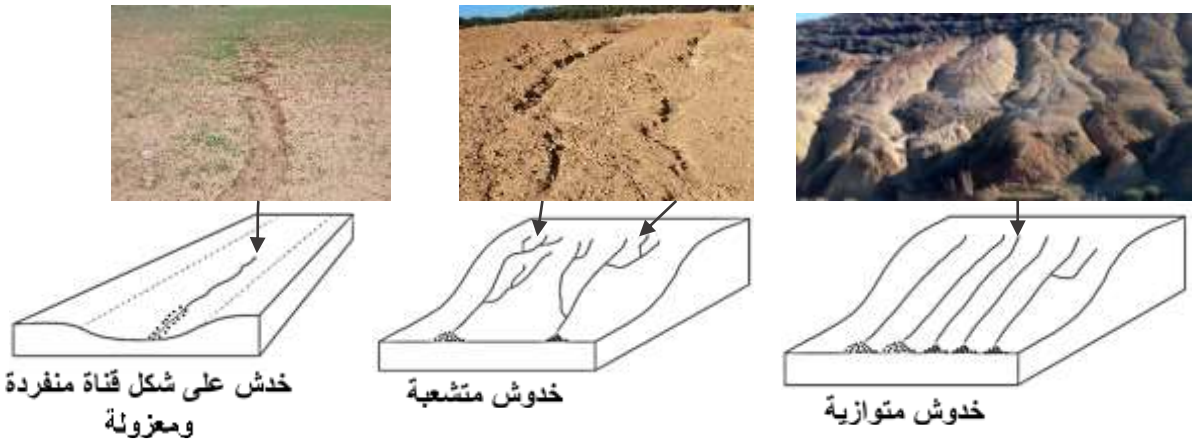

الشكل 01: الأنواع المورفولوجية للخدوش بحوض كرت الأسفل.

ب) التعرية بالتخديد:

تعتبر التعرية بالتخديد ظاهرة متطورة عن السيل المركز، بحيث يتجاوز هذا النوع في أغلب الحالات التكونات السطحية ليصيب الأساس الصخري. وتؤدي هذه الآلية إلى تشكيل خدات إما مستقلة أو موازية، يتجاوز عمقها من 50 سنتمتر إلى أكثر من متر[198]، حسب نوعية التربة، والركيزة الصخرية، وحدة التساقطات المطرية، والوضعية الطبوغرافية والمورفلوجية للسفوح، فضلا عن نمط استعمالات التربة .

تحتل أشكال التخديد 4% من مجموع مساحة مجال الدراسة، وهي تنتشر بشكل كبير فوق الصخور الصلصالية الهشة في قدم السفوح، حيث الامتداد الواسع لمخاريط الانصباب والتكونات الرباعية السميكة غير المتجانسة. كما تشكل هذه التكونات أرضية مناسبة لتطور التخديد بمختلف أشكاله وأبعاده البيئية. الشيء الذي يهدد الأراضي الزراعية والمواقع السكنية بالانجراف، كما يرفع من حدة الفيضانات خلال التساقطات المطرية بالمجال (صورة 08).

الصورة 08: جانب من التخديد الذي يهدد المنشآت السكنية بمجال الدراسة

تختلف أشكال توسع وتعمق الخدات على طول السفوح حسب اختلاف القاعدة الصخرية والتربة والتكونات السطحية، وشكل ودرجة الانحدار وطول السفوح. يمكن التمييز في سفوح حوض كرت الأسفل، بين خدات على شكل V وهو الشكل المهيمن في المشهد (الصورة 09)، والذي يتطور فوق الانحدارات القوية والصخور المتجانسة، وهي في الواقع تستقر في المناطق التي تعرف سمكا ضعيفا للتربة، حيث في الغالب لا يتجاوز 20 سم. وهذا ما يفسر تواجد أغلب هذه

198 - Éric Roose, Mohamed Sabir et Abdellah Laouina (2010) GESTION DURABLE DES EAUX ET DES SOLS AU MAROC. IRD Éditions, 2010

الأشكال من التخديد في القسم الأوسط والعلوي من السفوح، بمظهرها العام وطولها الذي لا يتجاوز بضع أمتار، يشير إلى أنها ما زالت في بداية مرحلة تطورها، فضفافها جد حادة ومجزئة، تتطور وتتعمق أكثر وبشكل رأسي فوق القاعدة الصلصالية المتجانسة، من خلال سليلها الضيق وتراجع رؤوسها في اتجاه العالية. مقارنة بالتوسع الجانبي الذي يرتبط فقط بعمليات الخدوش والانزلاقات القشرية التي تحدث من حين لآخر.

غير أنه، عندما تصل هذه الخدات مستوا متصلبا (قشرات كلسية أو قاعدة صخرية صلبة)، تتحول عمليات الحفر الرأسي إلى الحفر الجانبي للضفاف مما يؤدي إلى حدوث انزلاقات كتلية مهمة تساهم في تراجع الضفاف بشكل سريع عن مركز السليل، الشيء الذي يعني توسع مجرى الخدة في اتجاه مقطع على شكل حرف **U** وعلى حساب الأراضي الزراعية (الصورة 10).

وقد أسفرت المقابلات الشفوية التي شملت بعض المزارعين والفلاحين بالمنطقة، الذين لهم احتكاك مباشر بأراضيهم، حول النوعين المذكورين من التخديد الأكثر خطورة على أراضيهم. فجاءت أجوبتهم متباينة، وذلك أن 80% من المستجوبين يقرون بأن الخدات على شكل حرف **V** هي الأكثر خطورة بالمنطقة كونها حديثة، تتطلب تساقطات مطرية أقل لتطورها وتوسعها، مقارنة بالنوع الثاني الذي لا ينشط سوى خلال التساقطات المطرية الكثيفة، التي تؤدي إلى حدوث فيضانات، مما يساعد على تطورها الجانبي، وهذه الأخيرة قليلا ما تحدث في هذا الوسط الشبه الجاف حسب تعبيرهم، بينما 20 % يرون بأن التخديد على شكل حرف **U** هو الأكثر خطورة، نظرا لكونه يجمع بين مختلف عمليات التعرية (خدوش، تخديد، حفر وعائية، انزلاقات فجائية...الخ وبالتي تنشط بكثافة على ضفافها.

الصورة 09: خدة على شكل مقطع V

الصورة 10: خدة على شكل مقطع U

ت) التخديد المعمم (الأساحل):

تشكل الأساحل بحوض كرت الأسفل (الصورة 11)، المرحلة القصوى التي وصلت إليها دينامية التعرية بالأراضي الفلاحية. وهي عبارة عن أراضي وعرة شديدة التقطع بفعل الكثافة المهمة لخطوط متفرعة وعميقة من الشبكة الهيدروغرافية، متقاربة جدا مع بعضها البعض. في بعض الحالات تفصل بين هذه الخطوط قمم متفاوتة التآكل، من حادة، محدبة، إلى منبسطة نسبيا، وبعضها، لا تزال تحتفظ بسمك مهم من التربة على مستوى بعض القمم التلية المحمية بالغطاء النباتي. وغالبا ما تبدوا معظم هذه الأراضي جد مجزئة وغير صالحة للاستعمال، ويبقى السطح، شديد التقطع بشبكة كثيفة من الخدوش والخدات، تشهد على الدينامية الحالية النشيطة بهذه المناطق.

تشغل الأساحل مساحة مهمة من مجال الدراسة تقدر بحوالي (7%) وتتوزع على أربع قطع رئيسية، مساحة أدناها تصل حوالي2 هكتار وأقصاها تقدر مساحتها ب 522 هكتار، على سفوح الشمال الشرقي لكتلة بني سعيد بالجنوب الغربي.

الصورة 11: جانب من التخديد المعمم بحوض كرت الأسفل

في الواقع، تعتبر الأساحل مظاهر ثابتة في المشهد الطبيعي لمنطقة البحر الأبيض المتوسط، كما أشار Dumas (1987). إلا أنها تطرح العديد من علامات الاستفهام حول طبيعة ديناميتها داخل النظام البيئي المتوسطي الشبه الجاف، والعوامل الفعلية التي أدت إلى تكونها وتطورها الرهيب. فطبيعة التوزيع التي تأخذه داخل مجال الدراسة، وارتباطها الكبير بالصخور الصلصالية، وبقايا التربة الحمراء الخصبة الموجودة على سطوح تلالها، التي قل نظيرها بالريف الشرقي، وأيضا تواجدها على مقربة من التجمعات السكنية، بل وتوسطها، كلها مؤشرات تأكد أن نشاطها غير عادي، وتطورها أتى على مساحات شاسعة من الأراضي الفلاحية الخصبة (شكل 02). كل ذلك يوحي بأن الظاهرة اشتدت وطأتها حديثا، الشيء الذي يدعو إلى البحث عن العوامل المنشطة الحقيقية.

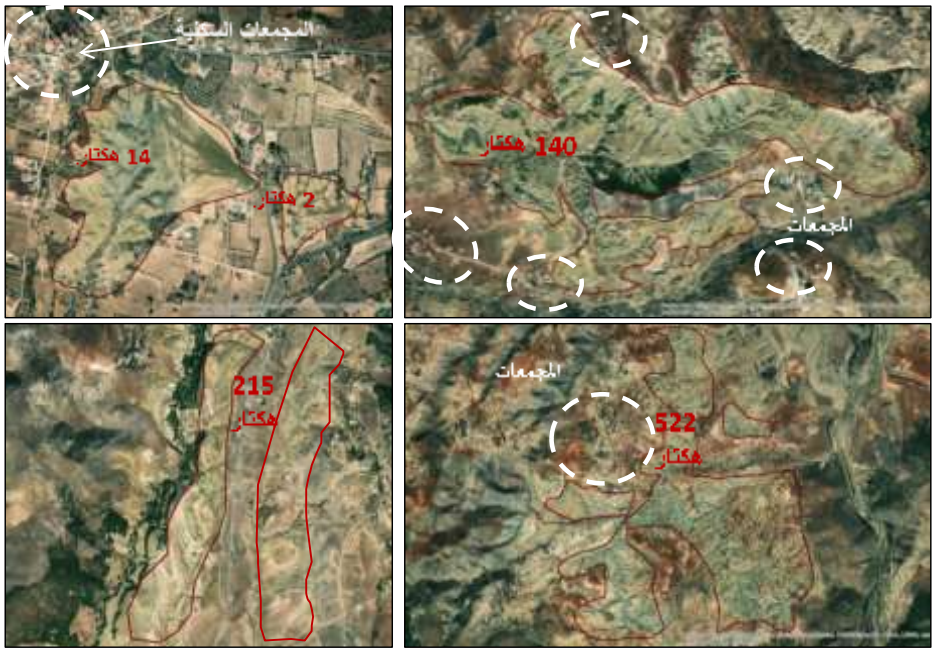

الشكل 02: القطع الكبرى من الأساحل بحوض كرت الأسفل من خلال صور الأقمار الاصطناعية 2020

3. تعتبر التعرية الكتلية أهم المخاطر الطبيعية التي تهدد استقرار السفوح:

في الوقت الذي تهاجم التعرية الغشائية سطح التربة، وتتعرض السفوح للتقطيع بفعل مختلف أشكال السيل المركز، تعرف بعض المناطق تعرية كتلية متنوعة. ترتبط هذه الأخيرة بالحجم الداخلي للغطاء الترباتي(Roose, 1994). كما

تعتبر الحركات الكتلية أو الانزلاقات من أخطر المشاكل التي تتعرض لها بعض السفوح بالمنطقة، نظرا لحجم التأثيرات التي تحدثها على الإنسان وأنشطته المختلفة على تلك السفوح، أو عند قدمها .

تتعدد أشكال التعرية المرتبطة بالحركات الكتلية، ويصعب رصد جميع الأشكال المنتشرة داخل حوض كرت الأسفل، نظرا لتداخل هذه الأشكال فيما بينها، كما أن الأنشطة البشرية عملت على طمس معالمها، مما جعل تحديدها على صور الأقمار الاصطناعية أمرا في غاية الصعوبة، خصوصا وأنه يمكن أن نجد فوق نفس السفح انزلاقات قديمة وأخرى حديثة وأخرى متجددة النشاط. أمام هذه الصعوبات سنعمل على وصف النماذج البارزة داخل مجال الدراسة، والمتمثلة في التدفقات الوحلية والانزلاقات السطحية وكذا العميقة بالإضافة إلى الانهيارات الصخرية التي توافق أعراف وأجراف صخرية بركانية على الخصوص، والتي تم تحديدها باستعمال نظام تحديد المواقع GPS.

أ) أساليب وأشكال الحركات الكتلية (Mouvement de Masse):

يقصد بالحركات الكتلية، كل الحركات الترباتية في علاقة مباشرة مع تجاوز حدود السيولة والليونة أو في علاقة غير مباشرة مع تجاوز هذه الحدود على تماسكها (محمد أبهرور، 2008). وحسب التعريف الذي قدمته اليونسكو " الحركات الكتلية أو الانزلاقات هي حركة تهم كتلة صخرية أو تكوينات فتاتية فوق سفح ما، تقتضي وجود سطح انفصال وحركة المواد باتجاه الأسفل. تتغير أبعادها من حجم انسياخ بسيط إلى انزلاق سفح كبير."

تتعدد تصنيفات الحركات الكتلية، التي تهدف إلى وصف وتحديد الأساليب المختلفة للتعرية الكتلية في زعزعة استقرار السفوح؛ يميز Collin (1846) من خلال عمله " البحث التجريبي حول الإنزلاقات المفاجئة على الأراضي الطينية "، بين نوعين أساسين من الحركات الكتلية: الحركات السطحية والحركات العميقة؛ في حين قدم العديد من الباحثين أيضا تصنيفات مغايرة للحركات الكتلية تعتمد على عدة معايير مثل: طبيعة المادة – طبيعة الحركة-سرعة الحركة – مورفلوجية سطح الانقطاع-سبب الانقطاع – عمر الانقطاع... إلخ. وكان قد صنف Nemcok (1972) على سبيل المثال اعتمادا على الأساليب المميزة للحركات الكتلية على السفوح، بين أربع أنواع أساسية منها وهي: الزحف(fluage) ، الانزلاق(glissement) ، التدفق (écoulement) ثم أخيرا الانهيار .(écroulement) كما ميز الباحث(1978) Varnes ، بين خمس أصناف رئيسية للحركات الكتلية وهي: الانهيارات – الانزلاقات-التمدد الجانبي – مقياس السرعة. (Roose, 1994) بدوره يصنف الانزلاقات إلى 5 أنواع تعتمد على سرعة الحركة: الحركات البطيئة، الحركات السريعة، التدفقات الوحلية، الانسياخات، الانزلاقات الدائرية.

ولتصنيف الحركات الكتلية بحوض كرت الأسفل، سنعتمد على نوعية وسمك التربة، حيث يمكن التمييز بين الحركات السطحية والحركات العميقة. الأولى تهم الأجزاء السطحية من التربة والتكونات السطحية، في حين تعمل الثانية على تحريك سمك وحجم مهم من الرواسب يتعدى التكونات السطحية ليصل إلى الصخرة الأم. كما يمكننا إضافة الانهيارات الصخرية التي توافق أعراف وأجراف صخرية بركانية على الخصوص.

- **الانزلاقات السطحية Les glissements superficiels:**

تعرف الانزلاقات السطحية بكونها حركة بطيئة للمواد السطحية فوق السفوح، التي تتجاوز حدود الليونة أو المطاطية، وتنفصل عن باقي أجزاء السفح في اتجاه الانحدار تحت تأثير الجاذبية .(FALEH A. & al 2002) يكتسح هذا النوع السفوح الصلصالية التي يغطيها سمك ضعيف من التكونات السطحية الغنية بالأطيان، وهي تختلف من انزلاقات قشروية إلى انسياخات وحلية، حسب درجات سمك التربة التي تغطي الصخور الصلصالية (شكل 03).

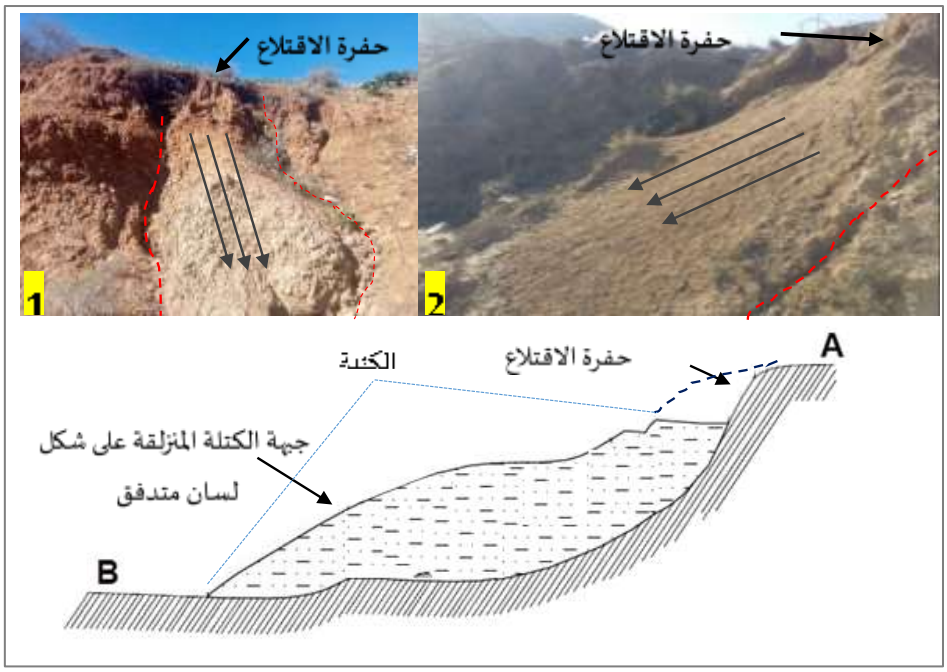

الشكل 03: جانب من الانزلاق السطحي بدوار إفنطراس بحوض كرت الأسفل

لفهم ميكانزمات ظهور هذا النوع من الانزلاقات وقع اختيارنا على نموذجين :

- **النموذج الأول** (الشكل 03: الصورة 02)، عبارة عن انزلاق قشروي، فوق سفح مشكل من الصلصال الأزرق، تغطيه فسخة رمادية غنية بالعناصر الدقيقة، يتراوح متوسط سمكها بين 15 و20 سنتمتر، وتصل نسبة العناصر الطينية والطمية من العينة المدروسة بالمختبر إلى 76 %[199] .

- **النموذج الثاني** (الشكل 03: الصورة 01)، عبارة عن إنسياخ أعمق لسفحيات طينية طمية حمراء، فوق صخر صلصالي أبيض، سمكها أكثر من 1.50 متر، والتي حاولنا الوصول إلى فترات حدوثها من خلال استجواب بعض المزارعين لكن للأسف بدون جدوى. لكن بالمقابل، يتفقون على أن مثل هذه الانزلاقات تحدث خلال الأمطار الغزيرة التي تستمر لفترة أطول؛ حيث تؤدي المياه المتسربة إلى إشباع التربة السطحية إلى أن تتخطى عتبة المطاطية والسيولة، فتتحرك المواد تحت ثقل وزنها وبمساعدة الانحدار والجاذبية في اتجاه سافلة السفح، تاركة في العالية حفرة اقتلاع. ويتوافق حجم الكتلة المنزلقة مع سمك التكوينات السطحية.

تأخذ السفوح المعرضة لهذا النوع من الانزلاق طابعا محدودبا، نتيجة تتابع منخفضات صغيرة مرتبطة بحفر الاقتلاع ومحدبات ناتجة عن ألسنة التدفق الوحلي. تتطور جل هذه الانزلاقات السطحية فوق سطح السفوح المعرضة نحو الشمال والشمال الغربي، والمشكلة من قاعدة صلصالية تغطيها فساخات وسفحيات سميكة غنية بالعناصر الطينية الطمية.

- **الانزلاقات العميقة Les glissements profonds:**

يتعلق الأمر بحركات كتلية عميقة تصيب التكوينات السطحية والقاعدة الصخرية(Maurer 1968) ، كما تختلف عن الانزلاقات السطحية لكونها تحرك حجما هائلا من المواد من تكونات سطحية وصخور وأشجار، مما يؤدي إلى اضطراب السفح، وهي تشكل تهديدا حقيقيا لمجموعة من المنشآت السكنية بالمنطقة.

[199] - نتائج العمل المخبري لعينة من التربة، "المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (بمدينة العرفان -الرباط)

تظهر هذه الانزلاقات العميقة بمجال الدراسة على الضفة اليمنى من وادي كرت، بهضبة الكعدة التي تشرف على سليل الوادي بانحدارات قوية وارتفاع يصل إلى أكثر من 20 متر (صور 12؛13). تتشكل من قاعدة صلصالية ويغطيها سمك كبير من التكونات السطحية الطينية الرملية الحمراء، التي تسمح بتسرب المياه واشباع المستويات الصلصالية عند مستوى فواصل الارساب، حيث أدت المياه المتراكمة عند هذا المستوى إلى إحداث انهيار لأجزاء ضخمة من الهضبة بما تحمله من تكونات سطحية وغطاء نباتي وقاعدة صلصالية.

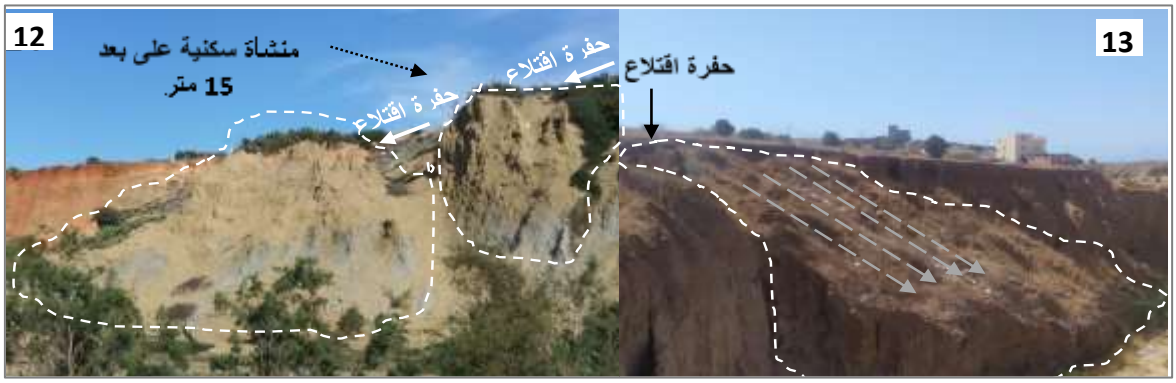

صور12؛13: جانب من الانزلاقات العميقة التي تهدد دوار الكعدة بالانجراف

يبدأ الانزلاق في العالية بحفرة اقتلاع يصل عرضها لأكثر من 11 متر، ويصل علو الكتلة المنزلقة إلى أكثر من 10 متر (الصورة 12)، تم تحديد عدة انزلاقات تختلف من حيث الحجم على نفس السفح، وهو ما يطرح عدة تساؤلات حول فترات حدوثها؟ حسب ما صرحت به الساكنة التي تستقر على بعد بضعة أمتار عن حفرة الاقتلاع، أن هذه الأشكال مرتبطة بالفترات المطيرة خلال الستينيات والسبعينيات، والتي تجدد نشاطها بشكل قوي خلال سنة 2008. حيث تشكل مصدر تهديد حقيقي لمنشآتهم السكنية. وقد وضعوا طلبهم لدى الجهات المختصة للتدخل العاجل لحمايتهم.

انطلاقا من التحريات الميدانية لهضبة الكعدة، تمت ملاحظة نشاط كبير للحفر الوعائية على السطح، وقد أقترن نشاطها بحدوث بعض الانزلاقات، الشيء الذي نستنتج من خلاله، أنها تلعب دورا مهما في تنشيط الانزلاقات العميقة بهذه المنطقة.

- **الانهيارات الصخرية Les éboulements:**

تتطور أشكال الانهيارات الصخرية فوق السفوح ذات الصخور الصلبة البركانية، والتي تعرف تعرية ميكانيكية قوية خاصة في القمم حيث الأجراف الصخرية وعرة، مما يؤدي إلى تفكك هذه الصخور ونزولها على شكل جلاميذ صخرية على طول السفوح في اتجاه السافلة، الشيء الذي يشكل خطرا على البنيات التحية والتجمعات السكنية (الصورة 14).

الصورة 14: مشهد من الانهيار الصخري بقدم سفح الهضاب البركانية

تنتشر هذه الانهيارات الصخرية بمجال الدراسة، على سفوح هضاب بني فكلان المشكلة من قاعدة صخرية بركانية صلبة، إضافة إلى بعض الكتل الجبلية المعزولة وسط مجال الدراسة، التي تعتبر انزلاقات موروثة عن ديناميات قديمة خلال الزمن الرابع (MAURER G. 1968).

يحدث هذا النوع من الانهيارات في القطاع العلوي من السفوح حيث الانحدار قوي، مما تؤدي إلى مجموعة من العوامل تعمل على حدوث انفصال لكتل صخرية مختلفة الأحجام عن القاعدة الصخرية، لتنتشر في الأسفل على طول السفح وبقدمه ضمن جلاميذ ضخمة مبعثرة، تشكل تهديدا حقيقيا للمنشآت السكنية، خاصة ساكنة جماعة بني سيدل الجبل، الذين يتوجسون خوفا من هذه الظاهرة الخطيرة. من المفارقات الغريبة المسجلة أيضا، أن المجال لا يشهد تلك التناقضات الحرارية الكبيرة التي من شأنها أن تؤدي إلى هذا الظاهرة، ومع ذلك تمت ملاحظة انزلاقات ضخمة على طول مجموعة من السفوح. حسب وجهة نظر الساكنة، فإن المنطقة تشهد من حين إلى آخر نشاطا زلزاليا قويا، الشيء الذي يساهم في كسر الصخور الصلبة في العالية، مما يؤدي إلى تسريع نشاط هذه الظاهرة.

ب) تقويض ضفاف الأودية والمجاري المائية Sapement des berges:

تنتشر هذه الأشكال على ضفاف الأودية الرئيسية (وادي أوماسين ووادي كرت)، وبعض الشعاب الكبرى، خصوصا الضفاف التي تتميز بانحدارات قوية، مما يؤدي إلى تهدلات وانهيارات لأجزاء من هذه الضفاف على طول المجاري. من الملاحظات المستنتجة بالميدان، أن تقويض ضفاف الأودية والمجاري يصعب جردها بشكل كامل، لأن حدوث هذه الظاهرة لا ترتبط فقط بالفترات المطيرة وبأودية رئيسية محددة، وإنما نشاطها مستمر على طول السنة وتعاني منه جميع المجاري المائية الصغرى والكبرى. وتختلف هذه الأشكال من انهيارات قشروية صغرى تحدث خلال الفترات الجافة نتيجة تقلص حجم الأطيان على مستوى الضفاف الشديدة الانحدار، إلى انهيارات ضخمة مرتبطة بالمنعطفات القوية للمجاري، مما يؤدي إلى الاتساع العرضي للمجرى المائي خلال الفترات الفيضية على حساب الأراضي الزراعية.

ومن أبرز الأمثلة التي يمكن تقديمها عن ظاهرة تأثير تقويض ضفاف الأودية على الأراضي الفلاحية، هو ما تعاني منه هضبة دوار الكعدة على الضفة اليمنى لوادي كرت (الشكل 04)، على بعد 1 كلم عن مصب الوادي، حيث نتيجة المنعرج المائي الذي يرسمه الوادي، تحدث اصطدامات لمياه الوادي مع حافة الهضبة الطينية خلال الفترات الفيضية، الأمر الذي يؤدي إلى التوسع الجانب للمجرى على حساب الأراضي الفلاحية، والخطير في الأمر أن هذه الظاهرة تهدد المنشآت البشرية بالانجراف في أية لحظة والتي توجد على بعض أمتار قليلة من مجرى الوادي (الشكل 04).

الشكل 04: جانب من ظاهرة تقوض ضفاف وادي كرت بحوض كرت الأسفل 2020.

ت) ظاهرة السحب (suffosion)[200]:

تعرف ظاهرة السحب بشكل عام، كونها عملية هيدرولوجية تحدث في التربات غير المتماسكة، تسحب خلالها الجزيئات الدقيقة من التربة بشكل رأسي، بحيث يتم فصلها ونقلها بواسطة المياه المتدفقة عبر مسام بنية التربة (Busch ;1993)، دون حدوث تغير في حجم البنية. وهي عملية تزيد من التوصيل الهيدرولوجي للتربة، مع انخفاض في كثافتها، نتيجة إفراغها من الداخل، مما يولد فجوات وحفر وعائية في الطبقات الوسطى والطبقات السطحية، ترتبط فيما بينها بأنفاق، قد تؤدي إلى حدوث انهيارات ومن ثم تقدم حدوث سريع لمختلف آليات تدهور التربة.(Barathon ;1989)

يتطلب تنشيط ظاهرة السحب، توفر ظروف صخارية، كيماوية معينة ومناخ من نوع سهوبي وتكونات سطحية نسيجها دقيقة(Neboit,1983) ، مع وجود أملاح، مما يؤدي إلى نقل العناصر الدقيقة للتربة عبر المسام الداخلية للتربة .(Bascon, 1983)يعبر عن هذه الدينامية بحوض كرت الأسفل، وجود حفر وعائية مختلفة الأحجام تنتشر على سطح التشكيلات السفحية الطينية، التي يصل قطرها في بعض المواقع إلى أكثر من 50 سم (صورة 15).

الصور15: جانب من الحفر الوعائية على سطح التكوينات الغنية بالجبس

- **دينامية الحفر الوعائية على ضفاف الأودية:**

على طول الأودية والشعاب الرئيسية بحوض كرت الأسفل، في البداية تم تفسير المشهد العام للتعرية، كونه نتيجة فيضانات استثنائية وجيزة، تتعلق بالأمطار الغزيرة التي تحدث بعد موسم الجفاف، والتي تؤدي إلى تقويض ضفاف الأودية والشعاب، من خلال انهيار أجزئها، وحدوث تغير وتعديل ملحوظ في المقطع العرضي والطولي للمجرى. لكن بعد التعمق في البحث الميداني ما بين 2016 و2019، اتضح لنا وجود تفاعلات معقدة مع ظاهرة الحفر الوعائية وتطور الضفاف.

[200]- معجم مصطلحات الجيومرفولوجية، فرنسي – عربي، الطبعة الأولى 2003، من اصدار الجمعية المغربية للجيومرفوجيا، وبمساهمة مخابر الجيومرفولوجيا بالمغرب

تختلف دينامية الحفر الوعائية حسب الطبيعة المورفلوجية لضفاف المجرى المائي؛ فعلى مستوى الضفاف المحدبة، التي تتميز بانحدارات متوسطة، غالبا ما تتواجد الحفرة الوعائية على بعد عدة أمتار عن منفذها في القاعدة. ترتبط ديناميتها بتنشيط الإنهيارات المفاجئة، التي تحدث من حين إلى آخر نتيجة إفراغ الكتلة من الداخل، حيث تؤدي هذه الدينامية إلى تراجع الضفاف على حساب الأراضي الفلاحية (الشكل 05).

الشكل 05: دينامية الحفر الوعائية على الضفاف المحدبة للوادي

بالمقابل، تؤدي دينامية الحفر الوعائية على الضفاف الحادة والشديدة الانحدار، إلى خلق خدات متوازية، تتطور إلى تعرية تراجعية على السفوح. وتتميز الحفر الوعائية على هذه الضفاف بكثافتها وقصر المسافة بينها، حيث تنتظم بشكل رأسي وتتصل بمنافذ بعضها فتح في الطبقات الصخرية العليا والمتوسطة، حيث تؤدي الانهيارات التي تحدثها إلى خلق خدات متوازية، تتطور بشكل تراجعي على السفوح.

الصورة 16: دينامية الحفر الوعائية على الضفاف الشديدة الانحدار في بعض المجاري المائية بحوض كرت الأسفل

- **دينامية تطور التخديد بفعل الحفر الوعائية على التكونات السطحية والتربة:**

تلعب الحفر الوعائية دورا فعال في تطور التخديد. ففي السهول الغرينية المحاذية للمجاري المائية الرئيسية " مجرى كرت" و"مجرى أوماسين"، فضلا عن بعض الشعاب الكبرى، تهيمن على خصوصية هذه المجاري دينامية التعرية، المرتبطة بآلية التخديد والحفر الوعائية. يمكن التمييز بين ديناميتين أساسيتين للتعرية، على سطح هذه التكونات الغرينية الغنية بالجبس والأملاح:

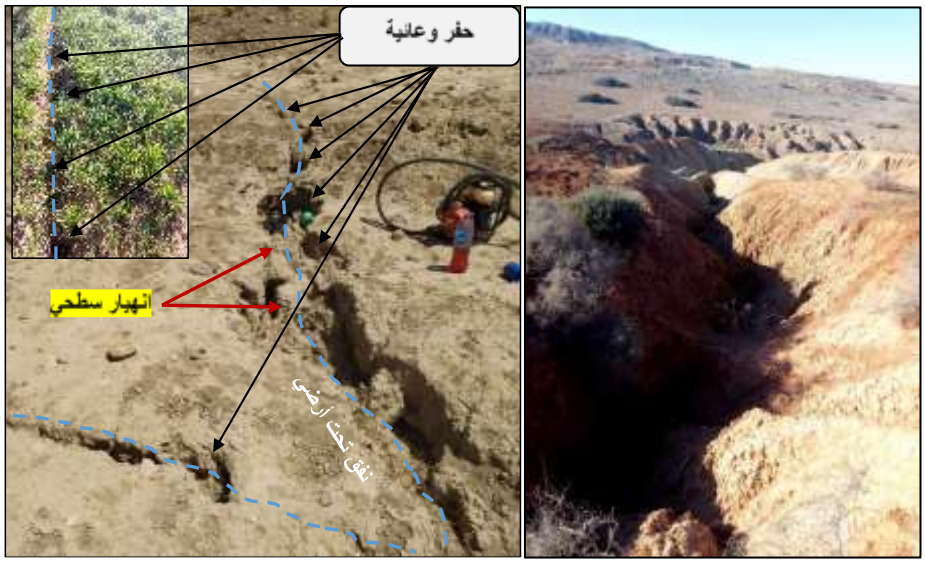

الصورة 17: تطور التخديد بفعل الحفر الوعائية

تؤدي نتائج الدينامية الأولى، إلى ظهور سلسلة من الثقوب والحفر الوعائية، تكون لها نفس الأبعاد تقريبا، والتي تتماشى في اتجاه يفرضه انحناء طفيف للسطح، تتصل هذه الحفر بقناة واحدة داخل التكونات السطحية، لضمان جريان المياه المتسللة على مستوى الحفر الوعائية. تؤدي هذه الدينامية إلى خلق خدات عميقة على السطح، نتيجة الانهيار السطحي الذي يسببه توسع النفق الداخلي (الصورة 17).

بالمقابل، في المناطق الغرينية الغنية بالتبخاريات القابلة للذوبان، المفضلة لنشاط الحفر الوعائية، تؤدي كثافة هذه الحفر على السطح، والقريبة جدا من بعضها البعض (الصورة 18)، إلى تشكيل شبكة من الأنفاق. يتم ذلك نتيجة سحب كتل كبيرة من الرواسب بشكل رأسي. هذه الشبكة بإمكانها أن تتطور إلى قنوات تصريف، التي قد يصل عمقها إلى عدة أمتار، مشكلة مظهرا من مظاهر التخديد المعمم وعلى مساحة مهمة من الأراضي الفلاحية.

الصور18: التخديد المعمم الناتج عن كثافة الحفر الوعائية على السطح

خلاصة:

يتضح من خلال جرد مختلف آليات وأشكال التعرية، أن مجال حوض كرت الأسفل يعرف نشاطا مورفوديناميا قويا، متنوع المظاهر والأشكال. تتداخل فيه آليات التعرية، بحيث يمكن أن نجد فوق نفس السفح تعرية الغشائية والخدوش والانزلاقات، كما يوجد تداخل بين الأشكال الحالية والموروثة والمتجدد نشاطها.

يشكل الجريان المائي الآلية المهيمنة بهذا الوسط الشبه الجاف، ويبدوا من خلال التشخيص الميداني أنها تعرف توزيعا متباينا على السفوح، تبعا لاختلاف السحنات الصخرية والتكونات السطحية وطبيعة الانحدارات. كما يتبين أن الأشكال الحالية هي نتاج مراحل طويلة ومختلفة من التطور، ولعل حجم المساحة الكبيرة للأساحل التي تمثل 10%، واتساع رقعة التخديد الذي انتقل من 1.5% سنة 1958م إلى 4% سنة 2020م (مخشان محمد 2021)، خير دليل على هذا التطور الكارثي لتدهور الأراضي بحوض كرت الأسفل، حيث أصبحت تهدد بشكل واضح المنشآت البشرية ومستقبل التنمية بالمنطقة، خصوصا وأن ساحل مصب كرت يشهد حاليا إنجاز أكبر الموانئ الصناعية والتجارية بشمال إفريقيا، الأمر الذي يطرح تساؤلات كثيرة حول مستقبل هذه المشاريع في ظل هذا التطور الملموس لرقعة الأراضي المتدهورة والمعرضة للتصحر .

المراجع:

طليسان محمد (1996): شواهد عن مراحل التطور الجيومرفلوجي "البليورباعي على الحدود الشمالية الغربية لسايس فاس". مجلة .143-المصباحية سلسلة العلوم الإنسانية العدد الثاني، الصفحات 12

شاكر الميلود (1997): كتلة بوخوالي وسهل العيون (المغرب الشرقي) الدينامية الحالية للسطح بين الهشاشة الطبيعية والضغط البشري، أي آفاق وأي استراتيجيات، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الأداب والعلوم الإنسانية الرباط، 287 ص.

الفلاح بوشتى (2000): حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها في الريف الأوسط. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 324 ص.

نافع رشيدة ووطفة عبد الرحيم (2002): التعرية المائية وأثرها في تدهور التربات: تحليل المظاهر ومناهج القياس. مجلة أبحاث، .159-منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، العدد العاشر، ص: 139

فالح علي (2004): التقييم النوعي والكمي والنمذجة المجالية للتعرية المائية بحوضي أكنول ومركات (مقدمة الريف الشرقي والأوسط). أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية، جامعة محمد الأول، وجدة. 375 ص.

محمد أبهرور(2009)، إسهام في التقييم الكمي للتعرية المائية بمقدمة الريف الشرقي، نموذج حوض واد الثلاثاء، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-سايس، فاس. ص 285.

مخشان محمد (2021)؛ دينامية السفوح وخطورة تدهور الأراضي في الريف الشمالي الشرقي، حالة حوض كرت الأسفل. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافية، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط. 360 ص.

AL KARKOURI J., 2003 - Dégradation du milieu naturel dans le bassin versant de Béni Boufrah (Rifcentral, Maroc): analyse . desfacteurs et des processus, essai de quantification et de modélisation spatiale. Rabat, thèse de doct. d'État, université Mohammed V, 392 p

Barathon J. J. (1989) – *Bassins et littoraux du Rif oriental (Maroc) : évolution morphoclimatique et tectonique depuis le Néogène supérieur*. Thèse d'État, université de Poitiers, 584 p.

Birot, P. (1981) – *Les processus d'érosion à la surface des continents*, Paris, Masson, 607 p.

Boiffin, J. (1984). ((La dégradation structurale des couches superficielles du sol sous l'action des pluies)). Thèse de docteur-ingénieur, Institut National Agronomique de Paris-Grignon.

Dumas B., Guéremy p., Lecompte M., Lhénaff R., Raffy J. (1987) – Mouvements de terrain et érosion hydrique dans les Baronnies méridionales : méthodes d'étude et premiers résultats. Travaux de l'Institut Géographique de Reims, 69/72, 68-93.

El Abbassi H. (1999) – *Les campagnes du Rif Oriental marocain : géomorphologie, occupation humaine et érosion des sols*. Thèse de Doctorat d'État ès Lettres, université Chouaib Doukkali, El Jadida (Maroc), 393 p.

GAUCHE É. (2005) - La dynamique contrastée du ravinement dans le massif des Beni Saïd (Rif oriental, Maroc) : processus, facteurs et évolution. Géomorphologie : relief, processus, environnement, n° 1, p. 45-60.

GUILLEMIN, M., & HOUZAY, J.- P., 1982. Le Néogène post-nappes et le Quaternaire du Rif nord-oriental : Stratigraphie et tectonique des bassins de Mellila, du Kert, de Boudinar et du piedmont des Kebdana. In : Etudes géologiques sur la chaîne du Rif : III. Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc, v. 314, p. 1–238.

Hjulstrom, F. (1935) Studies of Morphological Activity of Rivers as Illustrated by the River Fyris. Bulletin of the Geological Institute University of Uppsala, 25, 221-527.

Hjulstrom, F. (1935) Studies of Morphological Activity of Rivers as Illustrated by the River Fyris. Bulletin of the Geological Institute University of Uppsala, 25, 221-527.

Laouina A., Chaker M., Naciri R. et Nafaa R. (1992) – L'érosion anthropique en pays méditerranéen, le cas du Maroc septentrional. *Travaux du laboratoire de Géomorphologie de l'université Mohammed V*, 1, Rabat, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, 23-39.

MAURER G. 1968, - Les montagnes du Rif central. Etude géomorphologique, Travaux de l'Institut scientifique chérifien, Rabat, p. 141/ 499 fig. 3 pl. h.t. (thèse Fac. Lettres, Paris).

Nafaa R. (1993). Mesure de l'érosion superficielle sur les versants de la Maamora. Trav. Labor. Géomorph. Fac. Des lettres Rabat, p.20-28.

Nemcok, A., Pasek, J., and Rybar, J. 1972. Classification of landslides and other mass movements. Rock Mechanics.

Poesen, J. & Savat, J. (1981). ((Detachment and transportation of loose sediments by raindrop splash. Part II : Detachability and transportability measurements)). *Catena*, 8(1) :19–41.

R. Neboit 1983, L'homme et l'érosion. Clermont-Ferrand, Ass. publ. Fac. lettres et se. hum. de l'Université de Clermont-Ferrand. 183 p.

Roose E. (1994). Introduction à la gestion conservatoire de l'eau, de la biomasse et de la fertilité des sols (GCES). *Bulletin Pédologique FAO* 70 *(Rome)* : 420 p.

Roose E. 1977. Erosion et Ruissellement en Afrique de l'Ouest. Vingt années de mesure en parcelles expérimentales. *Travaux et Doc.* ORSTOM Paris n° 78, 108 p.

Stéphane Sogon 1999 ; Erosion des sols cultivés et transport des matières en suspension dans un bassin versant de Brie. Thèse doctorat, université Paris 1. Géographie Physique.P: 57.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد التاسع والعشرون
كانون الثاني – يناير 2025
ISSN 2569-734X

آليات اشتغال الحيازات الفلاحية بالجزء الغربي للريف الشرقي (إقليم الدريوش)

Mechanisms for the operation of agricultural holdings in the western part of the eastern countryside

1- القلوشي محمد، دكتور في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب.
2- بلغيثري الحسن، أستاذ التعليم العالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب.
*مختبر التواصل، التربية، الاستعمال الرقمي والإبداع- فريق بحث، تكنولوجيا المعلومات الجغرافية وتدبير المجال.
m.elkallouchi@ump.ac.ma

الملخص:
تشكل الحيازات الفلاحية العنصر الأساسي داخل المجالات الفلاحية الريفية، وبداخلها يتم اتخاذ مختلف القرارات من طرف الفلاحين، وهي مرآة تعكس طبيعة وحجم الإنتاج الفلاحي ومدى إمكانية تطويره وتنميته. فرغم التحولات التي السوسيومجالية والاقتصادية التي شهدها الجزء الغربي للريف الشرقي فإن مساهمة الحيازات الفلاحية في الاقتصاد المحلي تبقى دون المستوى المطلوب وتعترض ذلك مجموعة من الإكراهات الطبيعية والبشرية والتقنية. لذا أردنا بهذه المساهمة إثارة موضوع أساسي مرتبط بآليات اشتغال الحيازات الفلاحية بالمجالات الجبلية من خلال دراسة الجزء الغربي من الريف الشرقي.
الكلمات المفاتيح: - الحيازات الفلاحية - الاقتصاد المحلي – الاستغلال المباشر - الجزء الغربي للريف الشرقي

Abstract :
Agricultural holdings constitute the basic element within rural agricultural areas, and within them various decisions are taken by farmers, and they are a mirror that reflects the nature and size of agricultural production and the extent of the possibility of developing and developing it. Despite the socio-economic transformations that the western part of the eastern countryside has witnessed, the contribution of agricultural holdings to the local economy remains below the required level, and this is hindered by a group of natural, human and technical constraints. Therefore, with this contribution, we wanted to raise a basic topic related to the mechanisms of operation of agricultural holdings in mountainous areas by studying the western part of the eastern countryside.
Keywords: - agricultural holdings - local economy - direct exploitation - the western part of the eastern countryside

مقدمة

أصبح موضوع الحيازات الفلاحية من أهم الإشكالات التي تهتم بها جغرافية الأرياف، على اعتبار أن الحيازة تشكل أولا وأخيرا العنصر الأساس داخل المجالات الفلاحية الريفية، وبداخلها يتم اتخاذ مختلف القرارات من طرف الفلاحين، وهي مرآة تعكس طبيعة وحجم الإنتاج الفلاحي ومدى إمكانية تطويره وتنميته خصوصا بالمجالات الجبلية التي تعاني أصلا من قلة الأرض الزراعية بالنسبة لشريحة واسعة من السكان. وفي هذا الصدد يعتبر مشكل صغر حجم الحيازات الفلاحية وتشتتها المجالي من أبرز المشاكل التي تواجه القطاع الفلاحي بالجزء الغربي للريف الشرقي، ويرجع ذلك إلى تفكك الملكيات الزراعية الكبرى وتقسيم الأرض بين الورثة وهذا ما ينعكس بشكل سلبي على المردودية والإنتاجية الزراعية بالإضافة إلى صعوبة إدخال أساليب وتقنيات فلاحية عصرية. ولا زال مشكل الحيازات مطروحا بقوة على صعيد الجزء الغربي للريف الشرقي خصوصا أمام النمو الديموغرافي المتزايد مع محدودية الأرض الزراعية ناهيك عن استمرار تجزيء الأرض وتقسيمها في إطار نظام الإرث الذي يمنح لكل فرد نصيب من الأرض حسب حالته ودرجة قرابته من الهالك.

1. الإطار المنهجي للدراسة

1.1. أهمية وأهداف الدراسة

تكتسي الدراسة أهميتها لاعتبارين اثنين؛ أولهما تزايد الاهتمام بالنشاط الفلاحي كنشاط رئيسي لدى المجتمعات الجبلية، وثانيا نظرا للتطورات والتحولات التي شهدها القطاع الفلاحي والتي تستدعي الدراسة والتحليل، لذلك تهدف الدراسة إلى إبراز وضعية الحيازات الفلاحية بالجزء الغربي للريف الشرقي من خلال تحديد وسائل الإنتاج الفلاحي وطبيعة الاستغلال السائد للأرض الفلاحية، بالإضافة إلى تسليط الضوء على الخصائص الديموغرافية والثقافية للمجتمع الفلاحي بهذا المجال لمعرفة مدى مسايرته للواقع الفلاحي.

2.1. إشكالية الدراسة وفرضياتها

انطلقت الدراسة من إشكالية رئيسية مفادها: كيف تشتغل الحيازات الفلاحية بالجزء الغربي للريف الشرقي؟ والتي يمكن تحويرها حول الفرضيات التالية:

- يتميز الجزء الغربي للريف الشرقي بصغر حجم الاستغلاليات والحيازات الفلاحية؛
- يغلب على وسائل الإنتاج الفلاحي طابع البساطة والتي لا تشجع على تكثيف الانتاج؛
- تهيمن فئة الشيوخ غير المتعلمة على المجتمع الفلاحي بالجزء الغربي للريف الشرقي.

3.1. المناهج المعتمدة ومصدرجمع المعطيات

اعتمدت الدراسة في تحليل جوانب الإشكالية النظرية والتطبيقية على المنهجين العلميين الاستقرائي والوصفي التحليلي، بالإضافة إلى العمل الميداني لتعزيز الدراسة ومنحها المصداقية والمقاربة الكرطوغرافية لتمثيل الظاهرة.

4.1. تقديم مجال الدراسة

ينحصر طبيعيا المجال الذي نحن بصدد دراسته والبحث فيه، بين وادي النكور غربا ووادي كرت شرقا، كما أنه ينفتح على واجهة متوسطية شمالا ويتصل بحوض جرسيف جنوبا. وينتمي جغرافيا، كما هو معروف لدى الجغرافيين، إلى الريف الشرقي. أما من الناحية الإدارية، فيعتبر الإقليم حديث التأسيس حيث تم إحداثه وفصله عن إقليم الناظور بموجب مرسوم ملكي رقم 2.03.319 الصادر بتاريخ 11 يونيو 2009، فهو ينتمي إلى الجهة الشرقية حيث يحده إقليم الناظور شرقا وإقليم الحسيمة غربا وإقليم جرسيف جنوبا وإقليم تازة بالجنوب الغربي، وهو بذلك يعتبر مجالا انتقاليا بين الناظور والحسيمة.

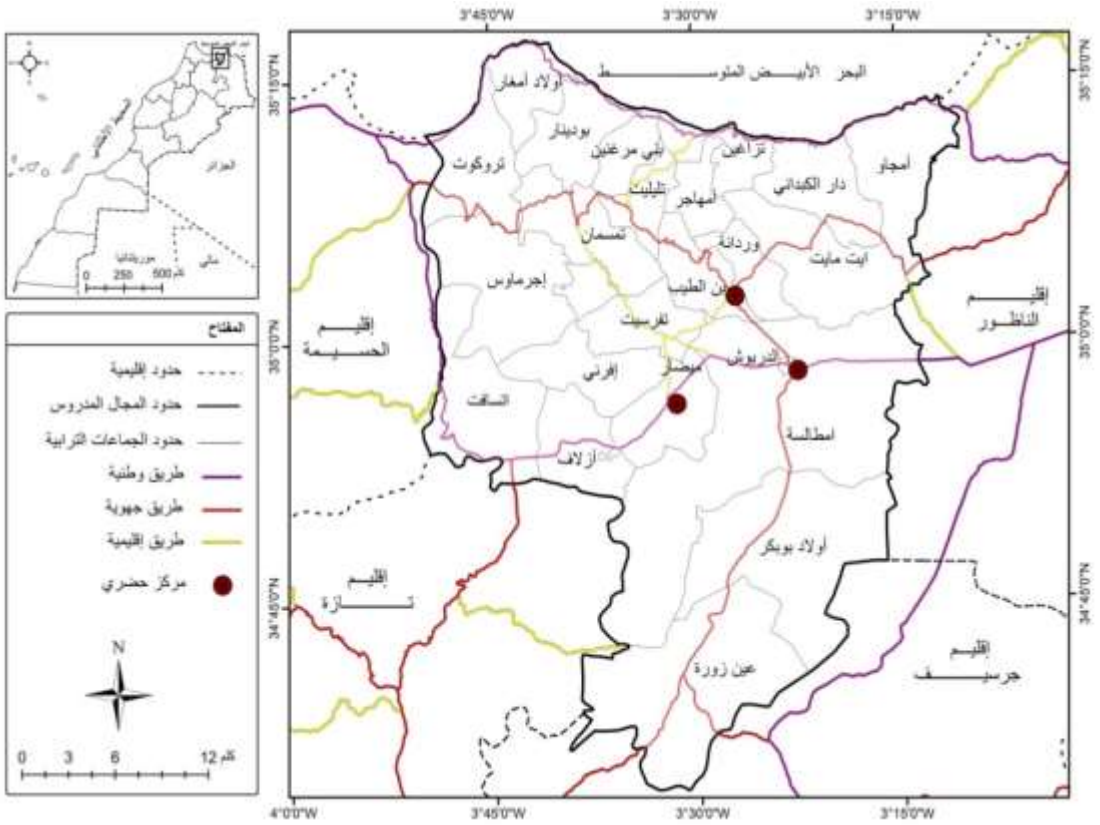

خريطة 1. الموقع الجغرافي والتقسيم الإداري لمجال الدراسة

المصدر: خريطة التقسيم الإداري للمغرب 2015، عمل شخصي 2023

تبلغ المساحة الإجمالية لمجال الدراسة حوالي 2867 كلم^2 أي ما يعادل 3.2% من المساحة الإجمالية للجهة و0.40% من مجموع مساحة التراب الوطني، يتكون من دائرتين: دائرة الدريوش ودائرة الريف، وثمان قيادات و3 باشويات و 23

جماعة ترابية منها ثلاث جماعات حضرية. وبلغ العدد الإجمالي للسكان حسب آخر إحصاء رسمي سنة 2014 حوالي 211552 نسمة (9.16% من مجموع سكان جهة الشرق) موزعين على الشكل التالي: 55778 نسمة حضريون؛ أي بنسبة 26.36% و155774 نسمة سكان قرويون يمثلون بذلك نسبة 73.63% من مجموع سكان الإقليم.

2. النتائج والمناقشة

سنحاول في هذا المحور تسليط الضوء على إشكالية مهمة ألا وهي آليات اشتغال الحيازات الفلاحية بالمجال الذي نحن بصدد دراسته، من خلال التعرف على بنية المجتمع الفلاحي وطبيعة الاستغلال ووسائل الانتاج الفلاحي.

1.2. هيمنة الاستغلاليات الفلاحية الصغرى والمتوسطة بالجزء الغربي للريف الشرقي

يقدر عدد الاستغلاليات الفلاحية بالمجال المدروس بحوالي 23982 وحدة تُستغل من طرف 40623 فلاح، تتركز معظمها في الاستغلاليات الصغرى التي تقل مساحتها عن 5 هكتارات بنسبة 65.55% (15720 وحدة) من مجموع عدد الاستغلاليات، تليها نسبة 28.4% من عدد الاستغلاليات (6811 وحدة) والتي توجد ضمن الاستغلاليات المتوسطة التي يتراوح حجمها ما بين 5 و20 هكتارا ، بينما لا يتجاوز عدد الاستغلاليات التي توجد ضمن الملكيات الكبرى 1451 وحدة ممثلة بذلك نسبة 6.05% من مجموع الاستغلاليات بالجزء الغربي للريف الشرقي، مع تسجيل تفاوتات واضحة بين الجماعات الترابية[201]. حيث تستحوذ كل من أولاد بوبكر وأمجاو ودار الكبداني وامطالسة واتسافت وتمسمان على نسبة 36% من الاستغلاليات، بينما تتركز 23% من مجموع الاستغلاليات في كل من افرني وتروكوت واجرماوس، وباقي الجماعات تختلف فيها النسبة، حيث تبلغ أعلاها بجماعة أزلاف نسبة 5% وأدناها بجماعة ايت مايت التي لم تتجاوز 2%. وأهم ما يميز الاستغلاليات الفلاحية بالمجال تشتتها الجغرافي وبعدها عن مساكن الفلاحين.

2.2. أرباب الأسر الفلاحية يغلب عليهم طابع الشيخوخة والأمية

إن الكفاءة التعليمية والمهنية غير كافية لوحدها لضمان الفعالية والتدبير المحكم للحيازة الفلاحية، بل لابد بالإضافة إلى ذلك من الكفاءة الجسمانية. ومعلوم أن هذه الكفاءة تنقص تدريجيا وبشكل طبيعي بعد تجاوز المرء ل 40 أو 45 سنة[202]. بمعنى آخر استغلال الأرض وتهيئتها واستصلاحها يتطلب قوة عضلية ومجهودات بدنية كبيرة وطاقات شابة قادرة على الرفع من الانتاجية والمردودية الزراعية.

كشف العمل الميداني بهذا الخصوص على أن نسبة مهمة من فئة المزارعين تتجه نحو الشيخوخة وما يؤكد ذلك أن 73% من المستجوبين يتراوح عمرهم ما بين 31 و60 سنة وأغلبهم يتجاوز الخمسين، هذه النسبة هي التي لا زالت تحافظ على استمرارية النشاط الفلاحي. ويفسر هذا بهجرة الشباب من البوادي وعزوفهم عن الاستمرار في العمل الفلاحي مما يطرح إشكال صعوبة تعويضهم وضمان استمرارية الاقتصاد الفلاحي ومن ثم الاقتصاد القروي بهذا المجال.

201 - معطيات عن المديرية الإقليمية للفلاحة بالدريوش 2022

202 - الأكحل المختار (2000)- دينامية المجال الفلاحي بهضبة بنسليمان، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، ص 320

أما بخصوص المستوى التعليمي لصاحب الحيازة، "باعتباره الموزع الرئيسي للأدوار داخلها وصاحب القرارات الحاسمة في تدبيرها، يلعب دورا كبيرا في استقرار أو في اختلال الاشتغال العادي للحيازة"[203]، فقد كشف العمل الميداني عن حقائق مهمة مرتبطة بهذا الجانب، بحيث تصل نسبة الفلاحين الذين لا يتوفرون على أي مستوى تعليمي إلى أزيد من نصف العينة المستجوبة (52%) تليها فئة المزارعين الذين يتوفرون على التعليم الابتدائي بنسبة 31%. أما المستوى الإعدادي والتأهيلي فلا يمثل سوى 15% وأخيرا التعليم العالي يشمل فقط 2% من فئة الفلاحين. وبصورة عامة، تدل هذه الأرقام على تدني المستوى التعليمي لدى معظم أرباب الأسر الفلاحية، وهذا من طبيعة الحال كانت له مجموعة من الانعكاسات السلبية التي تحد من تنمية وتطوير القطاع الفلاحي وتراجع مردوديته، ومن أبرز هذه التحديات صعوبة التعامل مع الآلات الفلاحية الحديثة وضعف المهارات والتقنيات الموظفة أثناء عمليات الحرث والحصاد والتسميد.

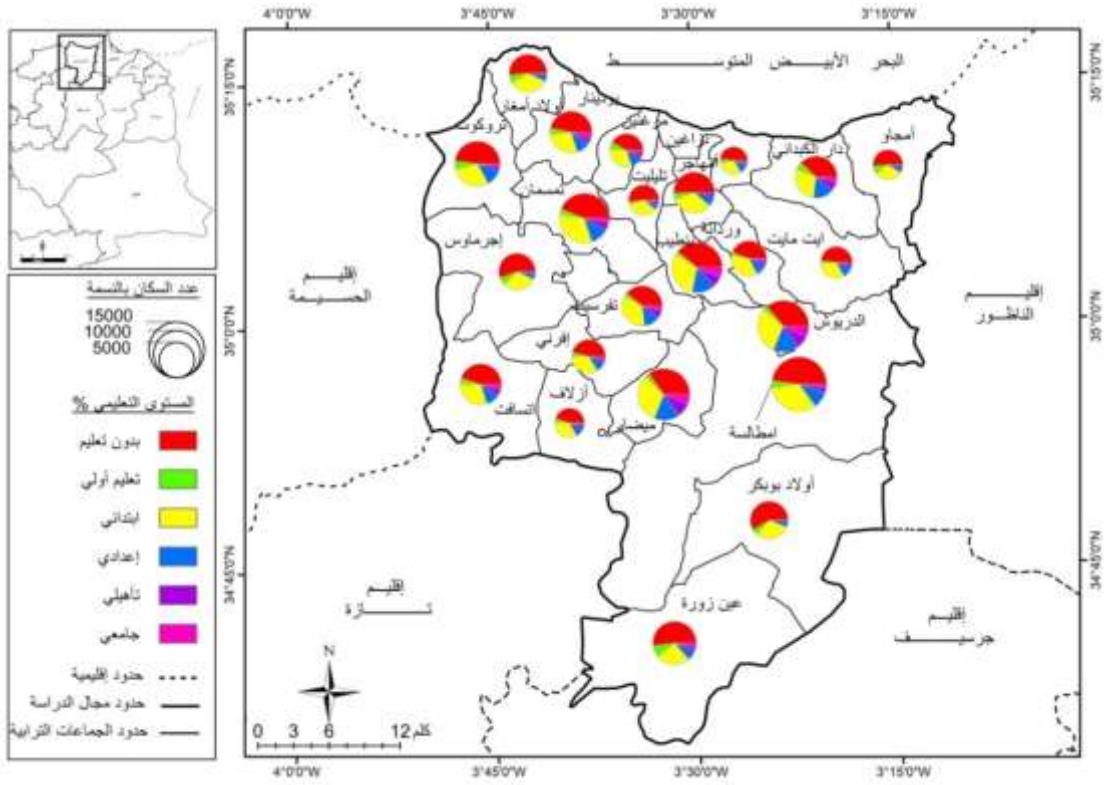

خريطة 2. توزيع ساكنة الجزء الغربي للريف الشرقي حسب المستويات التعليمية

المصدر: معطيات من المندوبية السامية للتخطيط لجهة الشرق 2022

3.2. سيادة الاستغلال المباشر للأرض الفلاحية بالجزء الغربي للريف الشرقي

203 - الأكحل المختار (2000)- مرجع سابق، ص 318.

يقصد بصفة الاستغلال، النظام الذي يحدد الحقوق والترتيبات التي تمكن المستغل الزراعي من استغلال الأرض، ويحدد هذا النظام حسب المستغل أو المستغلين[204]. وينعكس نمط الاستغلال على المردودية والإنتاج، فمجالنا يتميز بسيادة الاستغلال المباشر؛ أي أن الأرض الفلاحية تستغل مباشرة من طرف صاحب رسم الملكية أو ذوي الحقوق المشروعة أو من طرف المستغل الزراعي بدون مقابل عيني أو مالي.

بناء على نتائج العمل الميداني، توصلنا إلى أن الاستغلال المباشر للأراضي الزراعية هو الغالب؛ حيث يشكل نسبة 87% من مجموع المساحة الصالحة للزراعة المستغلة بالجماعات المدروسة، مسجلا تفاوتات طفيفة بين هذه الجماعات بل حتى داخل الجماعة الواحدة. بينما الاستغلال غير المباشر لا يمثل سوى نسبة ضعيفة لا تتجاوز 13%، حيث يحتل الكراء ضمنه الرتبة الأولى بنسبة 78.85% وتعتبر هذه الصيغة هي السائدة بشكل كبير، بحيث يتفق الطرفان على مبلغ نقدي معين يدفعه المكتري للمالك إما دفعة واحدة أو على شكل أقساط (حسب الاتفاق) ويختلف هذا المبلغ حسب طبيعة الأرض هل هي مسقية أم بورية وحسب موقعها (القرب من الطريق، سهلية، جبلية، تتوفر على بئر أم لا...) بينما النمط الثاني يتمثل في الشركة التي تشمل نسبة 15.38% من الأراضي المستغلة بالطرق غير المباشرة، ففي هذه الحالة يساهم كل طرف بما لديه من وسائل الإنتاج (الأرض، والآلات، والمزروعات) وتكون الشِّركة إما بالنصف أو الربع أو الثلث حسب الاتفاق المبدئي بين الشريكين. ويعزى تفسير هيمنة الاستغلال المباشر بمجموعة من العوامل، منها ما هو متعلق بارتفاع حصة الشركاء المستغلين للأرض إلى أزيد من نصف المحصول الزراعي مما دفع بالعديد من مالكي الأرض إلى الإشراف المباشر على استغلال أراضيهم والاكتفاء فقط باليد العاملة العائلية ومنها ما هو متصل بتوالي سنوات الجفاف وتدني الانتاجية التي لم تعد تشجع الفلاحين في الدخول مع الآخرين في استغلال الأرض عن طريق الشركة، هذا بالإضافة إلى دخول المكننة إلى الميدان الفلاحي وانعدام الثقة بين الملاكين والشركاء والانتشار الواسع للعمل المأجور، كلها عوامل أسهمت في ضعف اتباع أسلوب الاستغلال غير المباشر.

أما بخصوص طبيعة اليد العاملة المشتغلة في الاستغلاليات الفلاحية بمجال الدراسة، فقد أكدت معطيات الإحصاء الفلاحي لسنة 1996 على الهيمنة الواضحة لليد العاملة بنسبة 80% وعززنا ذلك بالعمل الميداني الذي أكد هو الآخر على أن أغلب المشتغلين بالمشارات الزراعية من أفراد العائلة بنسبة 91% بينما يبقى حضور العمال المأجورين ضعيفا لا يتعدى 9% ويتعلق الأمر بالعمال الموسميين الذين يأتون من خارج الدوار المعروفين باسم "الشوالة"*.

4.2. وسائل الإنتاج الفلاحي غير مساعدة على التكثيف الزراعي

204 - بلفقيه محمد (1987)- أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع (صومابروب) الرباط، الطبعة الثانية، ص 65.

** الشوالة: عمال مأجورين قد يكونوا من أبناء المنطقة أو يأتون من مناطق مختلفة في موسم الحصاد، ويشتغلون في الضيعات والحيازات الفلاحية مقابل أجر يومي يقدر ب 120 درهما.

إن الغاية الأساسية من استعمال الوسائل الفلاحية الحديثة والعصرية، رغم أن استخدامها بمجال الدراسة لا زال يقتصر في الغالب على السهول، هي الرفع من المردودية وحجم الإنتاج وكذلك لتنظيم العمل داخل الحقل وربح الوقت وتجاوز بعض الإكراهات. فالجرار يعمل على تسهيل عمليات الحرث وتهيئة الأرض وقلبها، استعدادا للموسم الفلاحي، وآلة الحصاد لجمع وحصد المنتوج، بينما تعمل المضخات الآلية على تسهيل إيصال الماء للمشارات الزراعية وغيرها من الأدوات والوسائل التي تقوم بوظائف أخرى كالتسميد ومعالجة المحاصيل.

1.4.2. آلات الحرث والحصاد، استعمال محدود وعدم التكافؤ بين المجال الجبلي والسهلي

لا زالت معظم الوسائل المعتمدة في مختلف عمليات استغلال الأرض ومراحل الانتاج الزراعي تتسم بالعتاقة والبساطة، ولعل ما بينه العمل الميداني يؤكد ذلك؛ حيث نلاحظ الانتشار الواسع للحرث التقليدي الذي يعتمد بالدرجة الأولى على المحراث الخشبي الذي يعود لسنوات قديمة، كون طبيعة السطح وقوة الانحدارات لا تشجع على إدخال آلات عصرية حديثة، كما أكدت ذلك Gauché بقولها "وفي الجبال، نظرا لشدة الانحدارات، يتم الحرث عادة بالمحاريث التي تجرها الحمير والبغال"[205]. بينما "يستخدم الجرار بالأساس على السفوح الأقل انحدارا، وهي بشكل عام جرارات صغيرة الحجم بسبب صغر حجم قطع الأرض، ويتم الحرث إما وفقا لمنحنيات الاستواء عندما يسمح المنحدر بذلك أو وفقا لاتجاه المنحدر"[206]. بالفعل لا زالت هذه الثنائية حاضرة بقوة بالجزء الغربي للريف الشرقي، فالسفوح والمرتفعات تخصص لها المحاريث التقليدية التي تجرها الدواب، بينما ينتشر الجرار على نطاق واسع بالأراضي البورية الشاسعة. حيث "يتميز الجرار بالنسبة للمجال البوري بسرعة تنفيذ عمليات الحرث وبالخصوص خلال السنوات التي يتأخر فيها سقوط الأمطار، حيث يستطيع الفلاحون تدارك فوات وقت الحرث، وبهذا يشكل الجرار وسيلة لتصحيح التفاوت بين يومية الأشغال الفلاحية ويومية الأمطار، كما يمكن الجرار الفلاحين من حرث أراضيهم جافة الشيء الذي يؤهلها للاستفادة من الأمطار الأولى التي تؤدي إلى ظهور النبتة"[207]. وبخصوص الأدوات الفلاحية المستعملة في الحصاد، هي الأخرى يغلب عليها الطابع التقليدي، بحيث نجد انتشارا محدودا لآلات الحصاد العصرية، فيحين أن أغلب عمليات جمع الثمار وحصد المنتوج تتم بواسطة اليد والمناجل.

205 - Evelyne Gauché (2002)- Les compagnes des bni said (rif oriental, maroc) L'exemple de la crise d'une montagne et de son avant-pays, thése doctorant en géographie, Universite paris X- Nanterre, p83.

206 - Evelyne Gauché (2002)- Op.cit, p84.

207 - زروالي علال (2001)- التحولات الريفية والتمدن في الريف الشرقي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة ، ص 299.

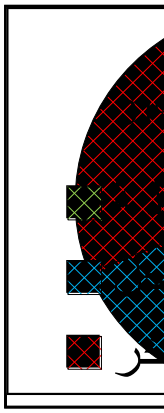

المستعملة في

المصدر: استمارة العمل الميداني 2022

يتضح من البيانات المستخلصة من الاستمارة الميدانية (شكل رقم 2) أن 55% من المزارعين يعتمدون أثناء عمليات قلب الأرض والحرث على الدواب و40% يستعملون الجرار، و5% تعتمد على وسائل أخرى. وبخصوص توزيع الفلاحين حسب الوسائل المعتمدة في عملية الحصاد، نجد 41% يعتمدون على المناجل و28% يستخدمون آلة الدرس العصرية، وأخيرا 31% يعتمدون وسائل أخرى خاصة عندما يتعلق الأمر بالمنتوجات الزراعية غير الشعير والقمح.

يعتبر دخول الآلات الفلاحية إلى بوادي الجزء الغربي للريف الشرقي من بين تمظهرات التحولات المجالية التي تشهدها المنطقة، لكن رغم أهميتها والوظائف التي تقوم بها والديناميات المصاحبة لها، يبقى استعمال هذه الوسائل محدودا بمجال الدراسة، يقتصر على الأسر الفلاحية الميسورة وعلى المجالات السهلية، كون الحيازات الجبلية عبارة عن ملكيات ضيقة ومجزأة لا تسمح بإدخال هذه الآلات خاصة الجرار وآلات الحصاد، كذلك نظرا لارتفاع أسعار استعمالها التي لا تشجع الفلاحين الصغار ذوي الدخل المحدود على استخدامها في حيازاتهم، بحيث يصل ثمن الحرث إلى 250 درهم للساعة الواحدة (أو للهكتار الواحد) وسعر آلات الحصاد يتراوح ما بين 350 و450 درهم للهكتار الواحد؛ بمعنى آخر حسب Gauché "فالمنطقة لا زالت تحتفظ بشكل كبير بالممارسات الفلاحية التقليدية، لأنها، في الواقع، هي الوحيدة القادرة على التكيف مع قيود الوسط"[208]. أما بخصوص عوامل الإنتاج الأخرى، وخاصة استعمال الأسمدة وأدوية المعالجة الزراعية، فإن الوضع ما زال دون المطلوب والهدف المنشود خصوصا أمام ارتفاع أسعار الأسمدة حيث يصعب على الفلاح البسيط

208 - Evelyne Gauché (2002)- Op.cit, p89

اقتناءها.

رث

في حصد الحبوب

ث يستخدم الفلاحون
يقوم بوظيفة الحرث
لى الوسائل العصرية

.2.4.2 استعمال ضعيف للأسمدة الكيماوية

تمثل نسبة المزارعين الذين يعتمدون على الأسمدة في حيازاتهم حوالي 34% وتشمل بالأساس الفلاحين الذين يتوفرون على الأراضي الزراعية الموجودة بالسهل؛ حيث شساعة المساحة ووفرة المياه واستعمال المكننة، بينما نسبة 66% لا يستعملون الأسمدة الصناعية، وبذلك يعتمدون على مخلفات المواشي خاصة روث الأغنام، الذي يعتبر من الأسمدة الطبيعية وتستعمل بالجبال خاصة، كا تشير إلى ذلك الباحثة Gauché بقولها "يستخدم السماد الطبيعي بشكل أساسي في الجبال، بينما تستخدم الأسمدة الفوسفاتية بشكل رئيسي في الأراضي المحروثة بالجرارات خاصة في السهول"[209]. بمعنى نحن أمام

209 - Evelyne Gauché (2002)- Op.cit, p88

مجالين؛ مجال جبلي، يعتمد على سماد طبيعي بامتياز وتبقى فيه الزراعة معاشية بالدرجة الأولى، ومجال سهلي حيث يعتمد المزارعون على السماد الصناعي. وهنا تجدر الإشارة إلى أن استعمال الأسمدة الكيماوية بدأ يعرف إقبالا من طرف الفلاحين بهدف التكثيف خصوصا بعدما عرفت الإنتاجية الزراعية تدنيا واضحا بفعل افتقار التربة لموادها وضعف التساقطات. أضف إلى ذلك التأثيرات القوية لنظام الإنتاج الاقتصادي الرأسمالي الذي يدفع الفلاح إلى البحث عن الربح السريع بشتى الطرق والوسائل حتى وإن كانت تشكل تهديدا للنظم البيئية.

تختلف الكمية الموزعة من الأسمدة حسب نوع التربة وطبيعة الموسم الفلاحي (رطب/ جاف) وكذلك حسب المزروعات والمغروسات، فإذا كانت الحبوب خاصة الشعير والقمح تعتبر من المنتوجات التي لا تحتاج لكثرة التسميد؛ أي أنها تستفيد فقط من المواد الذبالية التي توفرها التربة، فإن بعض المغروسات والخضراوات قد تتطلب عناية فائقة، فمثلا تحتاج الخضراوات للتسميد على الأقل مرتين في السنة خاصة إذا كانت التربة ضعيفة من حيث السمك والبنية كما هو الحال في مجموعة من الأجزاء من جماعة امطالسة وايت مايت وأمهاجر.

يبقى استعمال الأسمدة الطبيعية، على الرغم من فعاليتها البطيئة، أفضل بكثير من الأسمدة الكيماوية، حيث تعمل على تزويد التربة بالمواد الذبالية وتساعدها على امتصاص الرطوبة والاحتفاظ بها لمدة أطول، عكس الأسمدة الكيماوية (الصناعية) التي رغم فعاليتها السريعة، إلا أن استعمالها بطرق عشوائية دون معرفة حاجيات المزروعات والتربة من الأسمدة قد تكون لها نتائج عكسية ليس فقط على جودة المنتوج وإنما على صحة الإنسان والتربة والموارد المائية كذلك.

3.4.2. أساليب الاستغلال الفلاحي للأرض

لقد اتضح من خلال العمل الميداني والاستجوابات التي قمنا بها في مجموعة من الدواوير (لهبارة وأولاد بورحايل وإحسنيون وإميمونن وتسلي) أن نسبة ضئيلة جدا من المزارعين هي التي تقوم بتهيئة الأرض والعناية بالأشجار من خلال السقي والتشذيب والتسميد، مرد ذلك إلى مجموعة من العوامل الطبيعية والتقنية والمادية.

فالأشجار عادة تغرس بشكل عشوائي دون الأخذ بعين الاعتبار المسافة الفاصلة بين الشجرة والأخرى وقلما تقلم بطرق صحيحة وصحية، ناهيك عن استعمال العصا أثناء الجني (الزيتون مثلا) والذي يؤدي إلى تساقط أغصان وأوراق الأشجار، نفس الحديث ينطبق على الخضراوات والزراعة القطنية التي لا تحظى هي الأخرى بأي عناية داخل الحقل، فكل العمليات تتم بطريقة عفوية بدءا من مرحلة الغرس والسقي والازهار إلى جني المحصول. فهذا الإهمال يؤدي طبعا إلى ضعف المردودية وبداية التخلي عن الاستغلال الفلاحي خاصة أمام قلة التساقطات وغياب التجهيزات الهيدروفلاحية اللازمة.

خاتمة

لقد اتضح من خلال هذه الدراسة المقتضبة أن النشاط الفلاحي بالجزء الغربي للريف الشرقي كان ولا زال يعاني من تداعيات سياسة التهميش والإهمال، وظل بعيدا عن ما وصلت إليه السهول الكبرى والدوائر السقوية على المستوى الوطني، فالحيازات الفلاحية تشتغل أغلبها بوسائل تقليدية عتيقة لا تشجع على التكثيف الزراعي أضف إلى ذلك الرأسمال

البشري غير المؤهل الذي يقف أمام أي تحديث فلاحي ممكن، ومن ثم يمكن القول أن المورد الفلاحي بهذا المجال لم يعد لوحده قادرا على حمل أعباء الساكنة وتلبية حاجياتها وتحقيق التوازن الاقتصادي، لذا فإن الوضع الحالي يستدعي البحث عن بدائل اقتصادية حقيقية للساكنة وتشجيع ودعم الفلاحين قصد التغلب على مختلف الإكراهات التقنية والطبيعية التي تواجههم خدمة لاستمرار النشاط الفلاحي وتنميته وتطويره.

المراجع المعتمدة:

- الأكحل المختار (2000)- دينامية المجال الفلاحي بهضبة بنسليمان، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 387 ص.

- بلفقيه محمد (1987)- أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع (صومابروب) الرباط، الطبعة الثانية، 149 ص.

- بنعلي محمد (2021)- دينامية المجال الفلاحي بالريف الشرقي: حالة سهل الكارت، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب- سايس، 443 ص.

- زروالي علال (2001)- التحولات الريفية والتمدن في الريف الشرقي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة، 723ص.

- القلوشي محمد (2019)- الموارد المحلية وآفاق التنمية الترابية بالمجال الساحلي أمجاو- تزاغين (الريف الشرقي)، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 256 صفحة.

- القلوشي محمد (2024)- الموارد الترابية ودورها في التنمية المحلية بالجزء الغربي للريف الشرقي: حالة إقليم الدريوش، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة، 376 ص.

- Belrhitri El Hassane)2020(- Mutations socio-spatiales et leurs impacts sur les ressources territoriales le cas du couloir : Oujda- Taourirt Maroc-Orienatal Thèse d'Etat en géographie rurale- Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Oujda, 306p.

- Evelyne Gauché (2002)- Les compagnes des bni said (rif oriental, maroc) L'exemple de la crise d'une montagne et de son avant-pays, thése doctorant en géographie, Universite paris X- Nanterre, 603 p

- Lévy. j et Lussault M. (2003) - Dictionnaire de la géographie et de l'espace des sociétés, Belin, Tours, 1128 p

-

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد التاسع والعشرون
كانون الثاني – يناير 2025
ISSN 2569-734X

احتياطات الغازفي موريتانيا بين تحديات الو اقع و آفاق المستقبل

Gas reserves in Mauritania between the challenges of reality and future prospects

د. فداء منصور أبو المعاطى محمد الجوهرى.
قسم السياسة والاقتصاد- كلية الدراسات الأفريقية العليا - جامعة القاهرة
fedaa.mansour@faps.cu.edu.eg

الملخص: شهدت موريتانيا اكتشاف عدد من حقول الغاز بكمية احتياطات ضخمة، من شأنها إعادة تشكيل خريطة إنتاج وتصدير الغاز في العالم، وهو الوضع الذي سيضع موريتانيا أمام عدد من التحديات.

في هذا الإطار سعت الدراسة إلى التعرف على طبيعة الغاز الطبيعي ومجالات استعماله، وحجم احتياطات الغاز المتاحة في موريتانيا، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي، والأساليب الوصفية والتحليلية، وقد خلصت الدراسة إلى وجود عدد من العقبات أمام استغلال موريتانيا للغاز المكتشف منها عدم القدرة على تمويل البنية التحتية اللازمة للغاز الطبيعي، بخلاف منافسة مصادر الطاقة المتجددة.

الكلمات المفاتيح: الغاز الطبيعي، موريتانيا، السلحفاة أحميم، احتياطيات الغاز، الصناعات الاستخراجية.

Abstract:
Mauritania has witnessed the discovery of a number of gas fields with huge reserves, which will reshape the map of gas production and export in the world, a situation that will put Mauritania in front of a number of challenges.
In this context, the study sought to identify the nature of natural gas and its areas of use, and the size of the available gas reserves in Mauritania. The study relied on the inductive approach, descriptive and analytical methods, and the study concluded that there are a number of obstacles to Mauritania's exploitation of the discovered gas, including the inability to finance the necessary infrastructure for natural gas, in addition to competing with renewable energy sources.
Key Words: Natural gas, Mauritania, Tortue Ahmeyim, Gas reserves, Extractive industries.

مقدمة:

ISSN 2569-734X

يُعد الغاز الطبيعي الوقود الأحفوري الأسرع نموًا؛ حيث يتمتع بعدد من الخصائص التي تميزه عن مصادر الوقود الأحفوري الأخرى، وقد شهدت العقود الأربعة الماضية تطور في صناعة الغاز الطبيعي، وأصبح يحتل مكانه مميزة من بين مصادر الطاقة، ومن المتوقع أن يرتفع الطلب العالمي عليه في المستقبل، حيث ارتفعت حصة الغاز الطبيعي في مزيج الطاقة لتغطي نحو 25% من احتياجات الطاقة في العالم، لارتفاع الطلب عليه في أغلب البلدان لاعتبارات تتعلق ببساطة العمليات الصناعية اللازمة لاستخراجه فضلاً عن اعتبارات الكفاءة والبيئة، باعتباره أقل أنواع الوقود الأحفوري تلويثًا للبيئة.

تشير التقارير أن الغاز الطبيعي بحلول عام 2025 سيحل محل الفحم الحجري، كثاني أكبر مصدر للطاقة الأولية في العالم بعد النفط، لذا اتجهت إليه الأنظار، وزادت حجم استثماراته العالمية، وأصبح اكتشاف حقول جديدة للغاز أمر يَعد بالفرص والنمو، وهو ما لفت الأنظار إلى موريتانيا، حيث شهدت موريتانيا خلال السنوات الأخيرة اكتشاف كميات كبيرة من احتياطات الغاز، من شأنها الإسهام في إعادة تشكيل خريطة إنتاج وتصدير الغاز في العالم.

تتطلع موريتانيا إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغاز، وتعزيز الاقتصاد من خلال الأعمال الإضافية التي سترافق تطوير حقول الغاز، بالإضافة إلى إمكانية تحقيق عائد من التصدير، وأن تصبح موريتانيا مصدر لإمدادات الغاز الأفريقية، وهو الوضع الذي سيضعها أمام عدد من التحديات، ومع ذلك، فإن فرص التنمية الاقتصادية الجديدة التي تشتد الحاجة إليها، وعائدات التصدير الإضافية يمكن أن تكون عوامل جذب متاحة.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية الدراسة من حجم الاحتياطات المكتشفة في موريتانيا، والتي من الممكن أن تكون بوابات توعِد بتحول موريتانيا إلى واحدة من الدول الغنية، بالإضافة إلى عرضها لأهم التحديات التي تواجه استغلال الغاز الطبيعي في موريتانيا، باعتبارها خطوة تساعد على اقتراح توصيات عملية من شأنها مواجهة هذه التحديات.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أهمها:

1- التعريف بطبيعة الغاز الطبيعي وخصائصه، واستعمالاته، ومراحل تصنيعه.
2- الكشف عن حجم احتياطات الغاز في موريتانيا، ومشاريع الغاز الطبيعي الحالية والمحتملة.
3- رصد أهم العقبات التي تواجه الاستفادة من الغاز الطبيعي في موريتانيا، مع عرض جهود حكومة موريتانيا لمواجهه تلك التحديات.

اشكالية الدراسة وتساؤلاتها: تمثل اشكالية الدراسة في امتلاك موريتانيا ثروات طبيعية ضخمة ومتنوعة، كما أنها كشفت مؤخرًا عن امتلاكها لاحتياطات غازية هائلة ضخمة، تؤهلها لتصبح في صدارة الدول المُصدرة للغاز، إلا أن هناك عدد من التحديات تعوق الاستفادة من الاكتشافات الغازية بها.

وينبثق من هذه الإشكالية عدد من التساؤلات وهي:

1- ما طبيعة الغاز الطبيعي؟ وما هي خصائصه؟ وفي أي المجالات يمكن استعماله؟ وما هي مراحل تصنيعه؟
2- ما مقدار احتياطات الغاز في موريتانيا؟ وما هي مشاريع الغاز الحالية؟
3- كيف يمكن الاستفادة من الغاز الطبيعي المكتشف في موريتانيا؟ وهل هناك تحديات تمنع من استغلاله؟

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي، والأساليب الوصفية والتحليلية، لوصف واقع وحجم احتياطات الغاز الطبيعي في موريتانيا، فضلاً عن تحليل التحديات التي تواجه الاستفادة من الغاز المُكتشف.

المبحث الأول: خصائص الغاز الطبيعي واستعمالاته ومراحل صناعته

يحتل الغاز الطبيعي مكانه خاصة في أسواق الطاقة العالمية، نظرًا لإمكانية استخدامه بفاعلية وكفاءة في العديد من الاستخدامات، ولكونه أقل أنواع الوقود الأحفوري تلويثًا للبيئة.

أولاً: طبيعة الغاز الطبيعي وخصائصه:

يُعد الغاز الطبيعي نوع من الهيدروكربونات العضوية، التي تحتوي على عنصري الهيدروجين والكربون، ويحتوي على خليط من المركبات الغازية أهمها الميثان-وهو مكونه الأساسي بنسبة من70% إلى95%-، يمثل الغاز الطبيعي نحو 25% من مجموع الطاقة المستهلكة في العالم؛ كما احتل استهلاكه المرتبة الثالثة عام 2023 بعد البترول والفحم الحجري، (الشهرستاني، 2023، ص63) ويبين الشكل رقم (1) نسبة استهلاك الوقود الأحفوري إلى إجمالي الطاقة المستهلكة عالميًا عام 2021. حيث بلغت الطاقة المستهلكة عالميًا من الوقود الأحفوري حوالي 80%، يمثل النفط منها نحو 30,9%، و26,1% فحم، و23,2% غاز طبيعي. (الطاقة، 2022)

شكل رقم (1): نسبة مصادر الطاقة المستهلكة عالميًا عام 2021

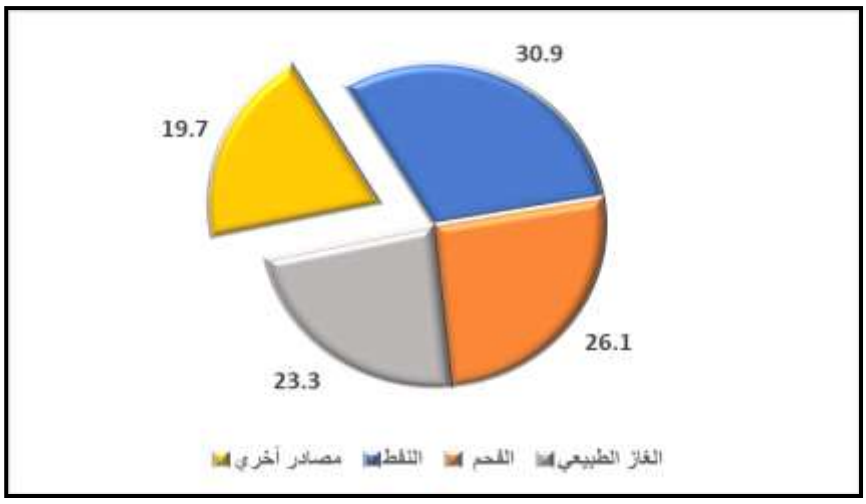

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على: الطاقة (2022). "توقعات مزيج الطاقة العالمي بحلول 2045.. النفط المصدر الرئيس (إنفوغرافيك)".
At: https://attaqa.net/2022/11/02/توقعات-مزيج-الطاقة-العالمي-بحلول-2045-الن/

بلغت الاحتياطات العالمية المؤكدة من الغاز الطبيعي نحو 6641,8 تريليون قدم مكعب عام 2020، (Looney, 2021 p34) ومن المتوقع أن زيادة استخدامه في السنوات القادمة على حساب باقي أنواع الوقود الأحفوري، ورغم أن الغاز الطبيعي وقودًا أحفوريًا ينتج عن احتراقه غازات الاحتباس الحراري الملوثة للبيئة، إلا أنه يُعد من أنظف المصادر الأحفورية للطاقة، كما أن المعالجات اللازمة لإعداده كوقود نظيف أقل بكثير مما قد يحتاجه كل من الفحم والبترول، فلا يحتاج إلا لإزالة الشوائب، علاوة على سهولة استخدامه، وللغاز الطبيعي ثلاثة أنواع هي: (رشيد، 2016، ص178)

1- الغاز الجاف: وهو الغاز الذي يتواجد بكميات كبيرة عند حفر البئر، وتكون نسبة الماء أو البترول فيه قليلة.

2- الغاز الرطب: المصاحب للبترول الخفيف، وتكون نسبته 80% غاز طبيعي، 16% بترول خفيف، 4% غازات مميعة.

3- الغاز المصاحب: يوجد في حقول البترول بنسب قليلة، إما طافيًا على سطح البترول، أو مذاب فيه.

هذا بخلاف الغاز غير التقليدي، وهو عبارة عن تجمعات غاز طبيعي موجودة داخل تكوينات صخرية في أعماق أكبر من التي يتواجد بها الغاز التقليدي، وقد شهد إنتاج الغاز غير التقليدي مؤخرًا نموًا سريعًا مع توافر تكنولوجيا التعامل معه، وتعد الكميات المحتملة منه ضخمه جدًا، حيث قدر الاحتياطي العالمي عام 2013 بنحو 7299 تريليون قدم مكعب، وقدر الانتاج بحوالي 693,81 مليار متر مكعب عام 2014. (رولامي، 2019، ص 73-82)

خصائص الغاز الطبيعي:

الغاز الطبيعي طاقة أولية غير متجددة، موزعة في جميع جميع أنحاء العالم، تتسم بالوفرة النسبية، ومرونة الاستخدام، ويمكن بيان الخصائص الطبيعية والاقتصادية للغاز الطبيعي في التالي:

- **التجانس والتنوع:** يتميز الغاز الطبيعي بالتجانس فهو مصدر هيدروكربوني عضوي، يتكون من الهيدروجين والكربون، وعناصر أخرى مثل النيتروجين، بالإضافة إلى بعض الغازات الخاملة. (بورنان، 2007، ص 44)

- **سلامته من الناحية البيئية:** يعتبر الغاز الطبيعي مصدر نظيف نسبيًا للطاقة مقارنة بالفحم وأنواع الوقود الأحفوري الأخرى، فلا ينتج عن احتراقه الكبريت أو النفايات الصلبة، كما أنه ينتج كميات أقل من النيتروجين والأكسجين وثاني أكسيد الكربون، بنسبة تصل إلى 50% أقل من الفحم عند حرقه، وكمية كربون لا تتجاوز 0,63 طن لكمية تعادل طن من النفط تطلق نحو 1,05 طن كربون.

- **الوفرة النسبية:** على الرغم من أن الغاز الطبيعي من موارد الطاقة غير المتجددة إلا أنه يمكن أن يتسم بالوفرة بالنظر إلى الغاز الطبيعي غير التقليدي، خاصة إذا أُخذ في الاعتبار حقيقة أنه من عام 2009 تم دمج موارد الغاز غير التقليدية في الاستخدام العالمي بحوالي 921 ألف متر مكعب، كما أشارت معدلات الاحتياطي والإنتاج لعام 2009 إلى أنه يمكن إنتاج الغاز التقليدي لمدة 70 عامًا أخرى وغير التقليدي لمدة 180 عامًا، وهذا يعني أنه سيكون الغاز الطبيعي متوفر لمدة تصل إلى 250 سنة أخرى. (Roca, 2013, p16)

- **سهوله استخدامه وامداداته:** لا يحتاج الغاز الطبيعي لعمليات تحويلية قبل استخدامه، مثل المستخدمة في تحويل زيت البترول إلى منتجات مكررة، كما يتمتع قطاع الغاز الطبيعي بأكبر سجل أمان في الصناعة فيما يتعلق بإمداداته، بخلاف سهولة نقله بخطوط أنابيب تدفن في باطن الأرض، وبالتالي لا تعوق استغلال الأراضي أو الأسطح، كما يمكن للغاز الطبيعي أن يشكل شريكًا مرنًا في توليد الطاقة لمصادر الطاقة المتجددة المتقطعة مثل طاقة الرياح والطاقة الشمسية، مما يسمح بدمج هذه المصادر في المستقبل.(Roca, 2013, p18)

- **انخفاض التكاليف الاستثمارية الأولية:** تنخفض تكلفة محطات الغاز الطبيعي ذات الدورة المركبة لتوليد الكهرباء بنسبة تصل إلى 50% من تكلفة محطات الفحم، وأقل بنسبة 67% من محطات الطاقة النووية، وأقل بنسبة 80% من طاقة الرياح.(Roca, 2013, p17)

- **ارتباط تسعيره بالنفط في السوق العالمي:** على الرغم من أن الغاز الطبيعي مطلوب في السوق المحلي والإقليمي والدولي كغيره من مصادر الطاقة، إلا أن سوق الغاز الطبيعي سوق إقليمي يصعب إلى حد ما فيه التفاعل بين جميع الأسواق لتحديد سعر مرجعي موحد كما هو الحال في سوق النفط، لذلك يعتمد تسعير الغاز الطبيعي على النفط باعتباره أكثر مرونة من حيث الطلب والعرض.

-**ارتفاع كفاءه استخدامه في توليد الطاقة الكهربائية:** من مزايا الغاز الطبيعي إمكانية استخدامه كبديل للنفط الخام والمنتجات النفطية في مجال توليد الكهرباء، وقد تبين أن محطات الغاز الكهربائية ذات الدورة المركبة الطبيعية الحديثة أكثر كفاءة بنسبة 40% من محطات الفحم، وكفاءتها في استخدام الطاقة تقترب من 65%، فهي فعالة في احتراقها، كما أن محطات الغاز الطبيعي تتطلب وقت بناء أقل بكثير من محطات الطاقة النووية أو محطات الفحم. (Roca, 2013, p18)

- **الطبيعة التكاملية:** يعتمد استغلال الغاز الطبيعي كطاقة على استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية والمراقبة الفنية لسلسلة الغاز بأكملها، عبر كل مرحلة من المراحل، والتي تبدأ من الاستكشاف، ثم الإنتاج والمعالجة والتسييل ثم النقل والتوزيع، مع الربط بين حجم الاستثمار في كل مرحله وتوقيته، وحجم السوق المرتبطة بالنشاط الإنتاجي أو الاستهلاكي. (Belkacem & Lakhdar, 2013, p 3)

ثانيًا: استخدامات الغاز الطبيعي:

- **يستخدم الغاز الطبيعي بشكل متزايد في إنتاج الكهرباء:** حيث يمكنه تحقيق كفاءات عالية جدًا، مقارنة بالنفط ومشتقاته، وتميزت محطات توليد الكهرباء المعتمدة على الغاز الطبيعي بعدة مزايا منها: (بورنان، 2007، ص 51)

أ- أنها أقل حجمًا من المحطات المعتمدة على الفحم والمصادر الأخرى، وهو ما يسمح بإنشاء تلك المحطات بجوار المناطق الحضرية دون الإخلال بالنسيج العمراني.

ب- التكلفة الاستثمارية لبناء محطة كهربائية تعمل بالغاز الجاف أقل من مثيلاتها التي تعمل بالأنواع الأخرى من الوقود، كما أن سرعة تركيب محطة توليد الكهرباء بالغاز الطبيعي يقلل من التكاليف الرأسمالية ويسارع في دخول المحطة لمرحلة الاستغلال.

ج- محطات توليد الكهرباء بالغاز الطبيعي خالية من الشوائب وخاصة الماغنيسيوم والصوديوم، وذلك لكونه وقود نظيف مقارنةً بأنواع الوقود الأخرى.

د- تمتاز محطات توليد الكهرباء كونها أكثر ملائمة في المناطق الجافة، والتي تعاني من قلة أو ندرة المياه، فلا تحتاج تلك المحطات إلى كميات كبيرة من الماء لتبريد التجهيزات، بخلاف المولدات الأخرى التي تحتاج لأجهزة تبريد وإعادة التكييف للتخلص من البخار الناتج عن حرق الوقود.

- **استخدام الغاز الطبيعي في الصناعة:** (بيات وصياغ، 2023، ص36) تُعد مصانع إنتاج البتروكيماويات من أكبر القطاعات الصناعية في العالم المعتمدة على الغاز الطبيعي، حيث يتم استخدام مكوناته في التالي:

أ- غاز الميثان لتوليد الميثانول والأمونيا، (Roca, 2013, p18) ويستخدم في إنتاج النشادر ثم اليوريا كسماد عضوي.

ب- الإيثانول ويستخرج منه البولي إيثيلين، الذي يستخدم لإنتاج العديد من المواد الكيماوية والبلاستيكية.

ج- البروبان وينتج عنه مادة البولي بروبلين، والتي تُعد أساس للعديد من الصناعات البلاستيكية.

د- يستخرج من النافتا المركبات العطرية، والتي تستخدم في صناعة الدهانات ومساحيق الغسيل والمنظفات الصناعية. هذا بخلاف استعماله في الصناعات البترولية.

- **استخدام الغاز الطبيعي في المنازل:** تتعدد استخدامات الغاز الطبيعي في المنازل ما بين تسخين المياه، وطهي الطعام كما أنه يستخدم كوقود للأفران، وللتدفئة والمواقد، بجانب استخدامه كمصدر للحرارة في عملية تكييف الهواء وخاصة في الدول التي يتوافر بها احتياطات والقريبة من مصادر استخراج الغاز، وعلى الرغم من انخفاض التكلفة الرأسمالية لمعدات التكييف المعتمدة على الكهرباء مقارنة بالأجهزة المعتمدة على الغاز الطبيعي، إلا أن تكلفة التشغيل والصيانة لمعدات الغاز أقل، وباحتساب تكاليف توليد الكهرباء والمعدات اللازمة، فإن التكاليف الإجمالية للغاز ستكون أقل.

- **استخدام الغاز الطبيعي في النقل:** (بورنان، 2007، ص 56) تم احلال الغاز الطبيعي ومشتقاته في عدد من وسائل النقل البرية والجوية والبحرية، نظرًا لكفاءته الاقتصادية، علاوة على انخفاض انبعاثاته الكربونية، فمثلاً يتكون الغاز الطبيعي المستخدم في السيارات من الميثان والذي يتميز بعدم احتوائه على أكسيد الكربون، كما أنه خال من الرصاص، ولا ينبعث منه جزيئات صلبة، ويصدر أكسيد آزوت أقل بثلاث مرات من أنواع الوقود الأخرى.

ثالثًا: مراحل صناعة الغاز الطبيعي:

تمر صناعة الغاز بعدة مراحل تجمع بين النشاط الصناعي الاستخراجي والنشاط الصناعي التحويلي، وهي:

1- مرحلة البحث والتنقيب: هي المرحلة التي تتضمن الدراسات التحليلية، بهدف تحديد تواجد الاحتياطات وتقييمها الكمي والنوعي، وكذلك موقعها الجيولوجي والجغرافي، ومدى اقتصادية ومردودية استغلال هذه الاحتياطات.

2- مرحلة الإنتاج والمعالجة: تأتي هذه المرحلة بعد التأكد من جدوى الاكتشاف تجاريًا، وتتضمن استكمال حفر الآبار وتهيئتها لتكون صالحة للإنتاج، وتركيب المعدات والتجهيزات الصناعية من مكامن وأنابيب نقل وصهاريج التجميع، وتنقية الغاز من الشوائب، ويتم ذلك في منشآت ضخمة لمعالجة الغاز. (الشهرستاني، 2023، ص 66)

3- مرحلة النقل: وتهدف إلى نقل الغاز من مناطق الإنتاج إلى مناطق التصدير أو التصنيع، ويوجد طريقتان لنقل الغاز من موقع الإنتاج، الطريقة الأولى النقل بالأنابيب، والطريقة الثانية تحويل الغاز إلى حالة سائلة تحت درجة حرارة منخفضة ونقله بناقلات خاصة تحافظ على حالته السائلة، وفي حالة وجود ممرات برية فإن ضخ الغاز الجاف من خلال أنابيب لها أقطار كبيرة إلى مناطق الاستهلاك هو الحل الأفضل والأرخص، وهو ما تستخدمه روسيا لتصدير الغاز إلى أوربا؛ حيث تمتد أنابيب غاز ضخمة لآلاف الكيلومترات بين روسيا والعديد من الدول الأوربية.

بينما تعتمد دول الخليج على الطريقة الثانية لنقل الغاز فتعمل على تسييله في منشآت ضخمه ونقله سائلاً إلى شرق آسيا وأروبا الغربية نظرًا لبُعد المسافة، وفي موانئ الاستلام تُرفع درجة حرارة الغاز المُسال ليعود غازًا مرة أخرى ويضخ من خلال الأنابيب إلى مناطق الاستهلاك. (الشهرستاني، 2023، ص 67)

4- مرحلة التسويق والتوزيع: وهي المرحلة التي تهدف إلى تسويق وتوزيع الغاز الطبيعي إلى مناطق وأماكن استعماله واستهلاكه القريبة والبعيدة، وعلى نطاق محلي أو إقليمي أو عالمي.

المبحث الثاني: احتياطات ومراكز الغاز الطبيعي في موريتانيا

تقع جمهورية موريتانيا الإسلامية غرب قارة أفريقيا، في الحوض الجيولوجي MSGBC، المكون من مياه موريتانيا والسنغال وغينيا بيساو وغامبيا وغينيا كوناكري، والذي عُرف باحتوائه على احتياطيات كبيرة من النفط والغاز، ورغم أن اكتشاف النفط في موريتانيا بدأ في الستينيات بعد استقلالها عن الاستعمار الفرنسي، إلا أن ارتفاع تكاليف الإنتاج من جهة، وانخفاض الأسعار العالمية للغاز الطبيعي من جهة أخري، جعلت إنتاج الغاز في موريتانيا غير مجديًا تجاريًا.

أولاً: نظرة عامة على دولة موريتانيا:

تحتل موريتانيا مساحة قدرها 1,030,700 كم^2، بلغ عدد سكانها عام 2022 نحو 4,7 مليون نسمة، (The World Bank, 2023) وهي تُعد من بين الدول ذات الكثافة السكانية المنخفضة حيث تصل الكثافة السكانية نحو 4,6 نسمة لكل كيلو متر مربع، (Population Pyramid, 2022) تُقدر نسبة العمالة إلى السكان نحو 36,6%، مما يشير إلى أن نسبة كبيرة من السكان في سن العمل لا يشاركون بشكل مباشر في الأنشطة الاقتصادية.

يعتمد النمو في موريتانيا اعتمادًا كليًا على قطاعات التعدين والبناء والزراعة والصادرات السلعية، وقد شهد النمو الاقتصادي ارتفاعًا عام 2022 حيث بلغ 5,2%، بعد أن كان 2,4% عام 2021 بفضل ارتفاع صادرات الصناعات الاستخراجية، بالإضافة إلى توسع القطاع الزراعي.(World Food, 2024, p3)

بلغ الناتج المحلي الإجمالي لموريتانيا عام 2022 نحو 9,8 مليار دولار بالقيمة الحالية للدولار الأمريكي، ويصل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي نحو2065 دولار أمريكي،(The World Bank, 2023) وقد بلغت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر الداخلة إلى موريتانيا عام 2022 نحو 14,30% من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي.(International Trade Center, 2022)

نظرًا لطول شاطئها المطل على المحيط الأطلسي لنحو 754 كم، وكونها تتمتع بموقع جغرافي مميز يتوسط مفترق الطرق البحرية، وقربها من الأسواق الدولية سواء في الشرق أو الغرب، يُعد قطاع الصيد والاقتصاد البحري أحد أهم

مرتكزات الاقتصاد في موريتانيا، ويُشكل مع قطاع التعدين حوالي 50% من إيرادات الصادرات الموريتانية، وفي عام 2019 ارتفعت حصة قطاع التعدين إلى نحو 60% من إجمالي الصادرات، في حين انخفضت حصة مصايد الأسماك إلى نحو ثلث إجمالي إيرادات الصادرات. (Ouki, 2020, p7)

تتوفر في موريتانيا احتياطات كبيرة من الثروات الطبيعية من المحروقات والمعادن مما جعلها في مقدمة دول القارة من جهة تنوع وتطور أنشطة الصناعات الاستخراجية، كما أنها منتج رائد للمعادن الحيوية مثل الزنك والتيتانيوم وخام الحديد والنحاس والفوسفات.(Extractive Industries, 2022, p1)

تمتلك موريتانيا إمكانات قوية لتطوير الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والطاقة الهيدروليكية، (فرحات، 2023، ص2) وترتفع بها قدرات توليد الكهرباء من مصادر الطاقة المتجددة، حيث أنها لم تكن تملك أي مصادر محلية للوقود الأحفوري حتى عام 2010، اعتمدت على مصدرين للطاقة الكهربائية، أولهما استيرادها مولدة من سد مانانتالي المقام في مالي على نهر السنغال قدرة 30 ميجاوات، وثانيهما محطتّ توليد عرفات ونواذيبو في نواكشوط بقدرة توليد 42 ميجاوات، و20 ميجاوات على الترتيب، وتحتوي كل منهما على وحدات توليد ديزل تعمل على الوقود الثقيل. (فرحات، 2023، ص 36)

وفي محاولة لخفض فاتورة استيراد الوقود عملت حكومة موريتانيا على توليد الكهرباء باستخدام الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، واستخدمت للأولى محطة توليد شمسية من إهداء دولة الامارات عام 2013 بقدرة 15 ميجاوات، وقام الصندوق العربي بتمويل إنشاء محطة توليد هوائية بقدرة 30 ميجاوات عام 2015. (فرحات، 2023، ص 36)

ورغم اشتهار موريتانيا بثرواتها الطبيعية والاقتصادية إلا أنها تُعد من البلدان ذات الدخل المنخفض الأدنى، كما أنها في عداد البلدان ذات دليل التنمية البشرية المنخفض طبقًا لتصنيف عام 2022؛ حيث تحتل المرتبة 158 من أصل 191 دولة على مؤشر التنمية البشرية، (World Food, 2024, P3)

يعاني نحو ثلث سكان موريتانيا يعانون من الفقر، وترتفع هذه النسبة إلى 51,5% في حال الأخذ في الحسبان معايير الفقر المتعدد الأبعاد، وتتسع الفجوة بين معدلات الفقر في المناطق الريفية والحضرية؛ حيث تصل في الأولى إلى نحو 73,1% مقارنة بنحو 25,6% في المناطق الحضرية، ويعود انتشار الفقر في موريتانيا لعدة عوامل منها الأخطار الطبيعية، وفترات الجفاف الطويلة والعجز في الحوكمة. (أبو إسماعيل، 2023، ص ص 79-81)

ثانيًا: احتياطيات الغاز الطبيعي في موريتانيا:

بدأت الاكتشافات الحديثة في موريتانيا باكتشاف حقل شنقيط النفطي في عام 2001 من قبل شركة وودساید Woodside الأسترالية للنفط والغاز، وبدأ إنتاج النفط من هذا الحقل عام 2006 بمعدل 75 ألف برميل يوميًا، لكنه انخفض بسرعة كبيرة إلى 15 ألف برميل يوميًا في عام 2007، وإلى 7000 برميل يوميًا عام 2013، وإلى أحجام أقل بكثير بعد ذلك، إلى أن توقف الإنتاج في عام 2017 وتم التخلي عن الإنتاج من هذا الحقل تمامًا. (Ouki, 2020, pp 3-4)

بالإضافة إلى اكتشاف شنقيط، تم اكتشاف عدد من الحقول النفطية والغازية في الساحلي الموريتاني منذ أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ومن هذه الحقول: حقل باندا Banda عام 2002، وحقل والاتا Walata والبجع Pélican عام 2003، وتيفيت Tevet عام 2004، ولعبيدنه Labeidna عام 2005، وإيغريت Aigrette عام 2006.

تم اكتشاف حقل باندا للغاز الطبيعي بواسطة شركة وودساید الأسترالية، وأعلنت عن وجود باحتياطات قابلة للاستخراج تصل إلى نحو 1,2 تريليون قدم مكعب، وفي عام 2011 تولت شركة تالوTullow البريطانية تشغيل الحقل، والتي قررت الاكتفاء بمد الغاز لوحدات الطاقة المقرر قيامها بالقرب من العاصمة نواكشوط لصغر حجم احتياطات

حقل باندا، إلى أن شهد عام 2014 انخفاض الطلب الدولي على منتجات التعدين مع انهيار أسعار النفط، ومن ثم تخلت الشركة عن تطوير الحقل، وفي فبراير 2020 تم سد الحقل والتخلي عنه.(Ouki, 2020, p4)

كما اكتشفت شركة وودساید عن حقل بيلكان باحتياطي قدر بحوالي 1,6 تريليون قدم مكعب، كما تم اكتشاف حقلين آخرين من الشركة نفسها في عاميّ 2004 و2005، وهما تيفيت باحتياطي قدره 400 مليون برميل ولعبيدنه باحتياطي50 مليون برميل، إلا أن شركة وود ساید لم تتمكن من تقديم مخططات تنموية لاستغلالهما اعتمادًا على دراسات الجدوى الابتدائية.

وفي عام 2015، قامت شركة كوزموس إنيرجي Kosmos Energy الأمريكية باكتشاف كبير للغاز الطبيعي، وهو حقل السلحفاة أحميم الكبير(The Grand Tortue Ahmeyim (GTA، في منطقة تقع في المياه العميقة بين موريتانيا ومنطقة سانت لويس بروفوند في السنغال، تفيد التقارير أن الحقل يتضمن حوالي 25 تريليون قدم مكعب من الغاز المتاح في الخزان، منهم نحو 15 تريليون قدم مكعب من احتياطيات قابلة للاستخراج، وفي ديسمبر 2016 قامت شركة كوزموس إنيرجي بنقل 61% من حصتها في مشروع السلحفاة أحميم الكبير (GTA) إلى شركة بريتيش بتروليوم (BP) البريطانية، ويجري تطوير حقل السلحفاة أحميم (GTA) لتزويد مشروع تصدير الغاز الطبيعي المسال.

وفي أكتوبر 2019 أعلنت شركة كوزموس إنيرجي وبريتيش بتروليوم عن اكتشاف حقل غاز كبير آخر في المياه العميقة الموريتانية، على بعد حوالي 100 كيلو من ساحل البلاد، وهو بئر غاز أوركا1 Orca1 بمنطقة بئر الله الواقعة شمال حقل السلحفاة أحميم، ووفقًا لشركة كوزموس إنيرجي، تقدر احتياطيات أوركا بنحو 13 تريليون قدم مكعب من الغاز المتاح في الخزان، كما تم اكتشاف بئر مارسوين Marsouin عام 2015 بالقرب من أوركا1 في نفس المنطقة بئر الله، (Ouki, 2020, p4) وبهذا تحتوي المنطقة على نحو 50 تريليون قدم مكعب من الغاز المتاح في الخزان، (وكالة ترقيه.. الاستخراجية، 2023، ص18) ويبين الجدول رقم (1) احتياطات موريتانيا من الغاز الطبيعي.

الوحدة: تريليون قدم

جدول رقم (1): احتياطات موريتانيا من الغاز الطبيعي

الحقل أو المنطقة	تاريخ الاكتشاف	إجمالي الغاز في الخزان	الاحتياطي القابل للاستخراج	الحالة
حقل باندا	2002	--	1,2	متوقف
حقل السلحفاة أحميم (GTA)	2015	12,5	7,5	تحت التطوير
منطقة بئرالله	2019	50	--	استكشاف

Source: Ouki, Mostefa. (2020). "Mauritania - Senegal: an emerging New African Gas Province –is it still possible?" OIES PAPER: NG163 (Oxford- United Kingdom: Oxford Institute for Energy Studies) p. 4.

ويبين الجدول إجمالي احتياطات الغاز الطبيعي المتاحة في موريتانيا من الحقول الرئيسية والتي تبلغ حوالي 63 تريليون قدم مكعب، وهو ما يمثل نحو 13,8% من احتياطات أفريقيا البالغة 455 تريليون قدم مكعب، ووفقًا لشركة كوزموس انيرجي يُعتقد أن حقل السلحفاة أحميم وحده يحتوي على ما بين 50 إلى 100 تريليون قدم مكعب، (Kosmos Energy, 2022)وبذلك تصبح موريتانيا الثالثة أفريقيًا بعد كل من نيجيريا والجزائر البالغ احتياطاتهم نحو 193,3 و80,5 على الترتيب. (Looney, 2021, p34)

رابعًا: مشاريع مراكز الغاز الطبيعي في موريتانيا:

في الوقت الحالي، لا يوجد استخدام للغاز الطبيعي في موريتانيا، وإن كانت بدأت في العمل على عدد من مشاريع الغاز للاستفادة من الموارد الغازية المتاحة والتي تقدر بنحو 38 تريليون قدم مكعب من الاحتياطات القابلة للاستخراج، من إجمالي 63 تريليون قدم مكعب متاحة في الخزان.

- **مشروع تطوير الغاز في السلحفاة أحميم الكبير(GTA):** يركز مشروع تطوير الغاز السلحفاة أحميم على تصدير الغاز الطبيعي المسال، لتمكين تحقيق الدخل السريع والمرحلي من موارد الغاز المكتشفة، يحتوي الحقل على خزانين للغاز على عمق 2000 متر تحت قاع البحر، وهذا من شأنه أن يتيح إمدادات الغاز الطبيعي ليس فقط لأسواق الطاقة المحلية في موريتانيا، ولكن أيضًا للتصدير.

في سبتمبر 2015 أثناء حضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، التقى رئيسا موريتانيا والسنغال وقررا العمل معًا لتطوير حقل الغاز الطبيعي السلحفاة أحميم، وبعد شهر من هذا اللقاء، وفي اجتماع للجنة المشتركة بين موريتانيا والسنغال، وقع البلدان مذكرة تفاهم حول التعاون في أنشطة النفط والغاز.

وفي يناير 2016 تم التوقيع على اتفاقية إطارية بشأن تقييم وتطوير واستغلال الموارد الهيدروكربونية المشتركة لمنطقة السلحفاة أحميم بين شركة النفط السنغالية بتروسين Petrosen، والشركة الموريتانية للهيدروكربونات والتراث التعديني (SMHPM)، وشركة كوزموس إنيرجي Energy Kosmos، ثم انضمت شركة بريتيش بتروليوم BP إلى المشروع، وهي الآن مشغل المشروع.(Ouki, 2020, p18)

وفي فبراير 2018 وقعت حكومات البلدين على اتفاقية تعاون تنص على تطوير حقل غاز السلحفاة أحميم، مع تقسيم أولي بنسبة 50-50٪ للموارد والإيرادات، وآلية لإعادة تحديد الأسهم المستقبلية على أساس الإنتاج الفعلي والبيانات الفنية الأخرى.

وفي ديسمبر 2018 أعلنت شركة بريتيش بتروليوم وشركاؤها عن قرار الاستثمار النهائي للمرحلة الأولى من مشروع الغاز الطبيعي المسال في السلحفاة أحميم، وهو ما مهد الطريق أمام قرارات واتفاقيات هامة أخرى.

في فبراير 2019 وقع شركاء مشروع السلحفاة أحميم (Energy Kosmos، BP، SMHPM، Petrosen) بقيادة بريتيش بتروليوم BP اتفاقية تأجير وتشغيل لمدة 20 عامًا مع شركة (LNG Golar) لاستئجار وحدة عائمة للغاز الطبيعي المسال لصالح المشروع، بقدرة تصميمية متوسطة تبلغ 2,45 مليون طن سنويًا من الغاز الطبيعي المسال.

في أوائل عام 2020، وقع شركاء مشروع السلحفاة أحميم اتفاقية بيع وشراء مدتها 20 عامًا مع شركة BP Gas Marketing Limited لبيع 2,45 مليون طن سنويًا من الغاز الطبيعي المسال الذي سيتم إنتاجه من منشآت المشروع.

سيتم نقل الغاز غير المعالج من الحقل إلى سفينة عائمة للإنتاج والتخزين (FPSO) بسعة معالجة تبلغ نحو 500 مليون قدم مكعب في اليوم، ولها قدرة على التعامل مع المكثفات، ثم يتم إرسال الغاز المعالج إلى منشأة الغاز الطبيعي المسال العائمة (FLNG) الراسية على كاسر أمواج جديد بالقرب من الشاطئ. (Ouki, 2020, p19)

وبذلك يتكون مشروع السلحفاة أحميم من 4 مكونات هي:

1- الحاجز الصخري: أو حاجز كسر الأمواج، والذي يُعد بمثابة ميناء.

2- المنصة العائمة للمعالجة والتخزين(FPSO): وهي سفينة تم تصنيعها في الصين، وقد استغرقت نحو ثلاث سنوات ونصف وخضعت لأكثر من 330 ألف فحص تقني، ستعالج السفينة الغاز الطبيعي لإزالة الزيوت والمياه والسوائل والشوائب الأخرى، قبل نقله عن طريق خط الأنابيب المتجه إلى المنصة العائمة للغاز الطبيعي المسال (FLNG) على بعد 10 كيلومترات من الشاطئ، إذ ستعمل المنصة العائمة من خلال 8 وحدات للمعالجة والإنتاج،

على معالجة نحو 500 مليون قدم مكعب من الغاز يوميًا، وهي التي سيتم من خلالها تصدير الغاز إلى الأسواق المحلية والخارجية.

3- الآبار: وقد تم بالفعل حفر أربعة آبار، وهي جاهزة للعمل.

4- أسطول السفن: وهو المسئول عن صنع أنابيب استخراج الغاز، وقد تم تصنيع عدد كبير من الأنابيب ووضعها في الأعماق. (المركز الدولي، 2023)

كان من المقرر أن يتم تشغيل المرحلة الأولى من مشروع الغاز السلحفاة أحميم عام 2022، إلا أن جائحة فيروس كورونا تسببت في تأجيل التشغيل، تم أيضًا تأجيل قرار الاستثمار النهائي للمرحلتين الثانية والثالثة من مشروع السلحفاة أحميم والتي كان من المقرر تنفيذها في عام 2020، على أن يتم النظر في هذه المراحل بعد تشغيل المرحلة الأولى.

ثم تأجل تشغيل المرحلة الأولى مرة أخرى، بسبب انخفاض الطلب المحلي وانكماش الاقتصاد بنسبة 1% تقريبًا، والناتج عن التباطؤ الاقتصادي في أوروبا والصين -الشركاء التجاريين الرئيسيين لموريتانيا- وانخفاض صادرات موريتانيا إلى هذه المناطق،(Ouki, 2020, p10) على أن يبدأ إنتاج الغاز الطبيعي منتصف عام 2024.

وفي فبراير 2024 أعلنت موريتانيا عن وصول المنصة العائمة لتسييل الغاز الطبيعي إلى منطقة السلحفاة أحميم، وتبلغ قدرة هذه المرحلة الأولى بحوالي 2,5 مليون طن سنويا من الغاز المسال، وتقدر التكلفة الاستثمارية لهذه المرحلة بنحو 4.8 مليار دولار.

ومن المقرر أن تتمتع كل مرحلة من المرحلتين الثانية والثالثة بقدرة إنتاجية تبلغ 3,75 مليون طن سنويًا من الغاز الطبيعي المسال، في المجمل ستشكل المراحل الثلاث للمشروع مركزًا للغاز الطبيعي المسال يبلغ حوالي 10 ملايين طن سنويًا.

وقد تم بالفعل تنفيذ أعمال التصميم الهندسي للواجهة الأمامية للمرحلتين الإضافيتين، ومع ذلك ستتطلب المرحلتان الثانية والثالثة -في حالة تنفيذها-، توسيع قدرة المنصة (FPSO) على الإنتاج العائم وتفريغ التخزين. (Ouki, 2020, p20)

- **مشاريع الغاز الطبيعي الأخرى: مشروع بئر الله:** بالإضافة إلى "مركز الغاز الطبيعي المسال" بحقل السلحفاة أحميم الذي تبلغ طاقته الإنتاجية حوالي 10 ملايين طن سنويًا بمراحله الثلاث، تم التخطيط لمركز آخر للغاز الطبيعي المسال لتطوير واستثمار موارد الغاز الطبيعي المكتشفة فيه وهو حقل بئر الله.

من المخطط لهذا المشروع المنفصل للغاز الطبيعي في موريتانيا أن يستخدم منصة ثابتة، وأن يكون له قدرة نهائية للغاز الطبيعي المسال تبلغ حوالي 10 ملايين طن سنويًا، بحيث يصل معدل الإنتاج اليومي بالحقل حوالي 277 مليون قدم مكعب من الغاز، ونحو 13 مليار قدم مكعب من الغاز الطبيعي المسال، وهو يُعد ثاني أهم مشروعات الغاز الجديدة المرتقبة في أفريقيا، (المركز الدولي، 2023) يخضع الحقل لعدد من الدراسات الهندسية، بهدف تسريع قرار الاستثمار النهائي في النصف الأول من عام 2025.

مشروع حقلي باندا وتفت: وقعت موريتانيا ممثلة في الشركة الوطنية للمحروقات وشركة "گوغاز" بدولة الإمارات العربية المتحدة والشركة المصرية "طاقة عربية" في أبريل 2024 عقدًا لاستكشاف وإنتاج الغاز من حقلي باندا وتفت الواقعين في الحوض الساحلي الموريتاني، باستثمارات تزيد عن مليار دولار أمريكي، تغطي الاتفاقية مراحل استخراج ونقل وتوزيع الغاز وتوليد الكهرباء، مع بناء محطة جديدة ومنشآت لنقل الغاز، يقضي العقد بتوفير مخزون كهربائي إضافي، حيث يتوفر من الحقلين احتياطيات اجمالية تقدر بنحو 2,2 تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي. (محمد حرمه، ص 2024)

المبحث الثالث: أفاق الاستفادة من الغاز الطبيعي في موريتانيا وتحدياتها

تمثل اكتشافات الغاز في موريتانيا رصيدًا استراتيجيًا واقتصاديًا، من شأنه فتح آفاق جديدة للتعاون الإقليمي، نظرًا لموقع بعضها الجغرافي بين موريتانيا والسنغال في الحوض الساحلي MSGBC، هذا بخلاف الاكتشافات الواقعة في مياهها الإقليمية، وهو الوضع الذي سيضع موريتانيا أمام عدد من التحديات، ومع ذلك فإن آفاق التنمية الاقتصادية وعائدات التصدير يمكن أن تمنحها مزيدًا من الفرص.

أولاً: آفاق الاستفادة من الغاز الطبيعي في موريتانيا:

تدل الشراكة بين موريتانيا والسنغال وشركات الطاقة الكبرى على الأهمية الاستراتيجية لهذه الاكتشافات الغازية، حيث تقدر هذه الاحتياطات مجتمعة بأكثر من 3,1 تريليون مليون متر مكعب من الغاز، ومن المتوقع لتلك الاحتياطات أن تستمر لمدة 30 عام، الأمر الذي سيكون له تأثير كبير على موريتانيا، فمن من الناحية الاقتصادية:

- الاستغلال المشترك بين موريتانيا والسنغال لحقل السلحفاة أحميم من شأنه رفع الكفاءة الفنية والتجارية، وهو ما يقلل التكاليف ويرفع نسبة الأرباح.
- سيسهم تطوير حقل السلحفاة أحميم واستخدام الغاز الطبيعي في تقليل فاتورة استيراد الوقود الأحفوري، نظرًا لزيادة استهلاك الطاقة الأولية في موريتانيا إلى نحو 0,002 كوادربليون وحدة حرارية بريطانية (MMBtu)، مقابل إنتاج طاقة أولية لا يتجاوز 0,002 كوادربليون وحدة حرارية بريطانية (MMBtu).(Energy Information, 2022)
- كما أن تطوير حقل السلحفاة أحميم يحقق استقلال موريتانيا في مجال الغاز الطبيعي، حيث يكفي إنتاج المرحلة الأولى منه لتغطية الطلب المحلي.
- تعزيز المكانة الجيواقتصادية لموريتانيا، حيث تتيح هذه الاكتشافات لموريتانيا أن تصبح في مصاف منتجي ومصدري الغاز في القارة، وأن تلعب دور استراتيجي في أمن الطاقة الإقليمي والعالمي.
- ستساعد تلك الاكتشافات على زيادة إنتاج الكهرباء، وبالتالي توفير إمكانية إطلاق وتنفيذ مشروعات وطنية لتنشيط الاقتصاد، وزيادة معدلات التنمية، وخفض البطالة.
- ومن شأن هذه الاكتشافات أيضًا ضخ مئات المليارات من الدولارات لموريتانيا؛ حيث تشير التوقعات الاقتصادية إلى أن المرحلة الأولي من مشروع السلحفاة أحميم وحدها ستدر عوائد كبيرة على خزينة موريتانيا، تقدر بنحو 100 مليون دولار، لتصل تلك العوائد في المرحلة الثانية والثالثة إلى نحو مليار دولار سنويًا، ورغم احتمال انخفاض هذه الأرقام نتيجة تعثر تنفيذ المشروع أكثر من مرة وارتفاع تكاليفه، إلا أنه لازال من المتوقع أن يحقق عوائد كبيرة.
- بفضل موقع موريتانيا الإستراتيجي، وقربها من دول أوروبا، وتمتعها باحتياطات كبيرة من الغاز الطبيعي والغاز المسال، يمكن أن يصبح الغاز الطبيعي بموريتانيا بديلاً مثاليًا لسد عجز الإمدادات الأوروبية من روسيا، وتنويع مصادر الغاز المستورد من قبل أوروبا، خاصة وأن دول الاتحاد الأوروبي تسعى إلى تقليص وارداتها من الغاز الروسي منذ قيام روسيا بإعلان الهجوم على أوكرانيا في فبراير 2022، ورفض الدول الأوروبية دفع مستحقات الغاز بالروبل الروسي كما طلبت روسيا، وقد أسهمت أزمة الغاز تلك في تركيز الأنظار على تطوير حقول الغاز المكتشفة على المدى القصير مثل حقول موريتانيا والسنغال.

- يشهد ميناء نواكشوط المستقل (ميناء الصداقة) عملية نقل وتوزيع وتخزين المعدات والأنابيب المستخدمة في مشروع السلحفاة أحميم، وهي حركة ستوفر دخلاً للميناء يقدر بنحو 25 مليون دولار.

- هذا بجانب ما هو متوقع من تأثيرات اجتماعية: حيث يمثل الغاز الطبيعي بجانب البترول العنصر الأساسي في تأمين الخدمات الاجتماعية مثل الكهرباء ووسائل النقل والتدفئة والتبريد وغيرها من الحاجات المنزلية الأخرى، كما توفر شركات الغاز مئات فرص العمل للموريتانيين، وهو ما تشتد إليه الحاجة خاصة مع ارتفاع معدل البطالة في موريتانيا إلى نحو 12% عام 2023.(Corbo, 2023, p1)

- ومن الناحية السياسية: تسهم تلك الاكتشافات في تعزيز الاستقرار السياسي، كما ستسمح بالتقارب الاستراتيجي بين موريتانيا والسنغال، بخلاف التقارب مع دول الجوار بالمنطقة الإقليمية.

ثانيًا: تحديات الاستفادة من الغاز الطبيعي في موريتانيا:

على الرغم من فائض الاحتياطي من الغاز الطبيعي المُكتشـف في موريتانيا وفائض الإنتاج المتوقع، إلا أن هناك عدد من التحديات أمام موريتانيا للاستفادة من موارد الغاز الطبيعي المكتشفة، ومنها:

1- صعوبة نقل الغاز: من المعوقات الرئيسية لعدم زيادة الإنتاج في الدول التي لديها احتياطات كبرى من الغاز الطبيعي هو صعوبة نقل الغاز من حقول الإنتاج إلى مواقع الطلب، (الشهرستاني، 2023، ص 65) ويبين الجدول رقم (2) الدول الرئيسية التي لديها احتياطات مؤكدة من الغاز الطبيعي، وكمية الغاز المنتجة فيها عام 2020.

جدول رقم (2): حجم الاحتياطي المؤكد وإنتاج الغاز الطبيعي في الدول الرئيسية عام 2020

الدولة	الاحتياطي المؤكد (تريليون متر مكعب)	النسبة من الاحتياطي العالمي	الإنتاج السنوي (مليار متر مكعب)
روسيا	37,4	%20	639
إيران	32,1	%17	251
قطر	24,7	%13	171
الولايات المتحدة	12,6	%7	915
المجموع العالمي	188,1	%100	3854

المصدر: الشهرستاني، حسين. (2023). مصادر الطاقة ومستقبل البشرية (العراق: مركز الرافدين للحوار، الطبعة الأولى، ص ص64- 66.

يتبين من الجدول أن أكثر من نصف الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي يتركز في ثلاث دول رئيسية وهي روسيا وإيران وقطر، بينما كمية الإنتاج لا تربط بحجم هذا الاحتياطي، فروسيا الأولى عالميًا في حجم الاحتياطات المؤكدة التي تصل إلى نحو 37,4 تريليون متر مكعب بنسبة 20% من إجمالي الاحتياطات العالمية المؤكدة للغاز الطبيعي، إلا أنها لا تنتج سوى 639 مليار متر مكعب سنويًا، وفي حين بلغ احتياطي الولايات المتحدة 21,6 تريليون متر مكعب وهي في المرتبة الخامسة عالميًا من حيث الاحتياطي المؤكد، إلا أنها أكبر الدول إنتاجًا للغاز الطبيعي بكمية تصل إلى 915 مليار متر مكعب سنويًا. (الشهرستاني، 2023، ص 66)

وبينما مناطق الطلب الرئيسية للغاز الطبيعي هي أمريكا الشمالية وأوروبا والاتحاد السوفيتي السابق والشرق الأقصى، بالإضافة إلى آسيا وأستراليا، ويعد نقل الغاز إلى مسافات بعيدة مكلفًا، حيث تواجه أنابيب الغاز زيادة في نفقات النقل متعلقة بالحجم على مسافات تزيد عن 2000 ميل، وهو ما يفسر قلة كمية الغاز الطبيعي الداخلة في التجارة

الدولية، وانحسار استهلاك الغاز الطبيعي محليًا في بلد إنتاجه بنسبة تصل إلى 75%، مقابل 25% فقط من الإنتاج العالمي للغاز الطبيعي تدخل في التجارة العالمية. (جبار، 2017، ص 79)

2- **تمويل البنية التحتية للغاز:** على الرغم من إجراء دراسات فيما يتعلق بتطوير بنية تحتية محلية للغاز الطبيعي، والتركيز تحديدًا على البنية التحتية للغاز اللازمة لتوصيله من نقطة وصول الغاز بالسلحفاة أحميم (GTA) بالقرب من الحدود السنغالية إلى محطة توليد الطاقة المزدوجة الحالية حول نواكشوط، للاستفادة من الحجم الأولي من الغاز الطبيعي المتاح في المشروع والمخصص للطاقة المحلية الموريتانية، إلا أنه ليس من الواضح بعد كيف سيتم تمويل التطوير المحتمل لهذه البنية التحتية للغاز، خاصة في ظل الموارد المالية المحدودة للدولة. (Ouki, 2020, p12)

3- **حصص أسهم الشركات الأجنبية:** تعود ملكية جميع الحقول الأولية بين موريتانيا والسنغال إلى شركتين دوليتين للنفط والغاز هما بريتيش بتروليوم (BP)، وكوزموس إنيرجي (Kosmos Energy)، إلى جانب شركات النفط والغاز الوطنية للدولتين وهما الشركة الموريتانية للهيدروكربونات والتراث(SMHPM) ، والشركة السنغالية للبترول(Petrosen)، ويبين الجدول رقم (3) حصص هذه الشركات في الكتل الواقعة بالكامل داخل حدود المياه الإقليمية لموريتانيا، وفي مشروع السلحفاة أحميم (GTA) المشترك بينها وبين السنغال.

جدول رقم (3): حصص الشركات العاملة في موريتانيا في الانتفاع بالغاز الطبيعي

اسم الشركة	الحصة من منطقة بئر الله	الحصة من حقل GTA
BP	%62	%61
Kosmos Energy	%28	%29
SMHPM	%10	%5
Petrosen	--	%5

Source: Kosmos Energy (2024). "Mauritania", At: https://www.kosmosenergy.com/mauritania/

Ouki, Mostefa. (2020). "Mauritania - Senegal: an emerging New African Gas Province –is it still possible?" OIES PAPER: NG163 (Oxford- United Kingdom: Oxford Institute for Energy Studies) p. 7.

يتبين من الجدول النسب الضئيلة التي تحصل عليها موريتانيا والسنغال، حيث تمثل شركة النفط الوطنية لكل دولة حصة الدولة في كل عملية تطوير غاز جارية أو مخطط لها، وهي لا تتجاوز 10% للشركة الموريتانية للهيدروكربونات من منطقة بئر الله، و5% من السلحفاة أحميم، في حين أن الحصص الأكبر للشركات الأجنبية.(Ouki, 2020, p7)

4- سوء الإدارة: شهدت موريتانيا طفرة سابقة في مجال التعدين عاميّ 2007 و2014، حيث حققت مكاسب كبيرة من احتياطات النحاس والنفط الخام والذهب وخام الحديد، ومع ذلك تم تبديد عائدات هذه الموارد الطبيعية، بسبب سوء الإدارة العامة والمشكلات الإدارية، ولم تكن موريتانيا قادرة على الاستفادة من إيرادات مواردها الطبيعية وأفرطت في إنفاق إيراداتها، هو ما جعل البلاد عرضة لانخفاض أسعار السلع الأساسية في عام 2015، وبدلاً من وضعها في وضع مالي مستقر. (Corbo, 2023, p1)

5- **الفساد:** تحتل موريتانيا المرتبة 130 من جملة 180 دولة في مؤشر مدركات الفساد لعام 2023، الذي تصدره سنويًا منظمة الشفافية الدولية، ويلقي انتشار الفساد بظلاله على مؤسسات الدولة وخاصة في المشاريع الكبرى المتعلقة بالموارد الطبيعية والطاقة، وهو ما يتضح من النسب الضئيلة التي كانت تحصل عليها موريتانيا من الشركات التي تستغل مناجم الذهب على أراضيها، والتي لم تكن تتجاوز 3%، ثم تمت مضاعفتها إلى 6% لاحقًا على أثر جدل شعبي واسع.

6- **ارتفاع كثافة استهلاك الكهرباء في موريتانيا:** تعرف كثافة الكهرباء بأنها كمية الطاقة المستهلكة لكل فرد مقارنة بنصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، وكلما ارتفعت درجة الكثافة كان ذلك مؤشر على الاستهلاك المفرط في الكهرباء دون وجود مردودية على الاقتصاد مقابل الاستهلاك، وفي الوقت الذي اتجهت فيه أغلب الدول إلى تخفيض كثافة الكهرباء، اتجهت تلك الكثافة إلى الزيادة في موريتانيا لتصل إلى 3,5 ميجا جول/ ألف دولار عام 2022، مقارنة بنحو 2,16 في فرنسا، و2,9 في مصر، و1,95 في أسبانيا لنفس العام، ويبين الشكل رقم (2) ارتفاع كثافة استهلاك الطاقة في موريتانيا من3,20 ميجا جول/ألف دولار عام 2002 إلى 3,50 ميجا جول/ألف دولار عام 2012، وذلك على الرغم من طبيعة موريتانيا ذات الكثافة السكانية المنخفضة.

(بالميجا جول/ ألف دولار، بالأسعار القياسية لعام 2017)

شكل رقم (2): تطور كثافة استهلاك الطاقة في موريتانيا

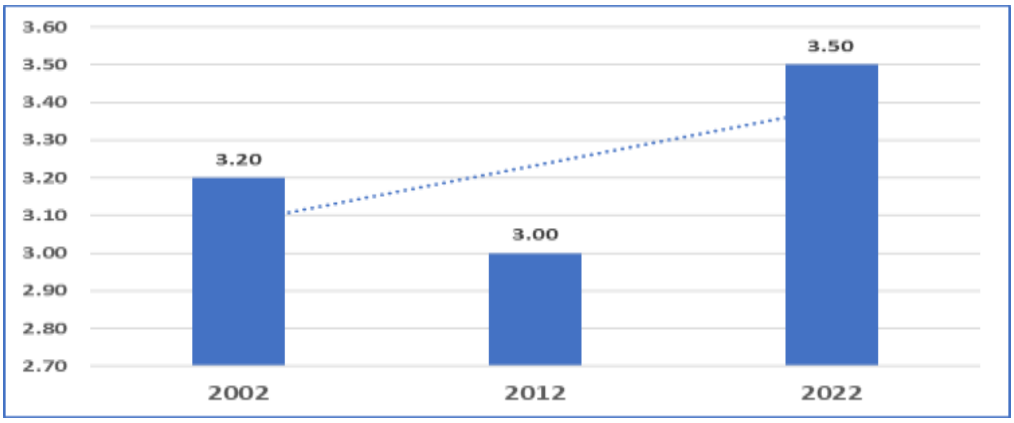

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على: فرحات، محمد (2023)، "دور قطاع توليد الطاقة الكهربائية في تحقيق الاستدامة وأمن الطاقة"، بحث مقدم إلى مؤتمر الطاقة العربي الثاني عشر الطاقة والتعاون العربي (الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، 11-12 ديسمبر 2023م) ص2.

7- **انخفاض الطلب المحلي على الطاقة:** بسبب طبيعة موريتانيا ذات الكثافة السكانية المنخفضة فإن المناطق الريفية معزولة عن شبكات الطاقة ولديها مستوى منخفض من الوصول إلى الكهرباء، في عام 2017 كانت مستويات الكهرباء تزيد قليلاً عن 80% في المناطق الحضرية، وأقل من 10% في المناطق الريفية، ويشكل هذا تحديًا تنمويًا كبيرًا للحكومة الموريتانية نظرًا لأن حوالي نصف سكان البلاد يعيشون في هذه المناطق الريفية، علاوة على ذلك لن يتمكن عدد كبير من الأسر الريفية من دفع ثمن الكهرباء حتى لو تم تسعيرها بمستويات منخفضة.(Ouki, 2020, p10)

باعتبار أن هذه المناطق الريفية لديها موارد مالية محدودة للغاية لدفع تكاليف إمدادات الكهرباء الجديدة، ففي عام 2018 على سبيل المثال قدر متوسط تعريفة الكهرباء للمستخدم المنزلي بحوالي 0,09 دولار أمريكي/كيلووات ساعة، وحوالي 0,12 دولار أمريكي/كيلووات ساعة للاستخدام الصناعي، وهذه تعريفات مرتفعة نسبيًا بالنسبة للمناطق الريفية حيث تعيش الكثير من الأسر تحت خط الفقر؛ تم تصنيف 44% من سكان الريف على أنهم فقراء و25% على أنهم فقراء مدقعون، ولذلك فإن توسيع نطاق الكهرباء المتصلة بالشبكة للمجتمعات الريفية دون دعم كبير للكهرباء سيكون أمر صعب.(Ouki, 2020, p11)

8- **افتقار شركات الطاقة المحلية إلى الجدارة الائتمانية:** التحدي الرئيسي الذي يواجه المستثمرين المحليين المحتملين في مشاريع الطاقة التي تعمل بالغاز والتي تستهدف الصادرات دون الإقليمية هو الافتقار إلى الجدارة الائتمانية للمشترين المحتملين، والذين سيكونون بشكل رئيسي شركات مرافق الطاقة المعنية في موريتانيا.

9-**المخاطر السياسية والأمنية:** هناك أيضًا بعض المخاطر السياسية والأمنية في أجزاء من هذه المنطقة دون الإقليمية والتي يجب معالجتها قبل الانخراط في مشاريع طاقة كبيرة عبر الحدود، وبالتالي على المدى القصير إلى المتوسط، يظل الاستخدام المحتمل للغاز الطبيعي داخل موريتانيا لاستهلاك الكهرباء المحلي أو لصادرات الكهرباء دون الإقليمية محدود. (على، 2018، ص 33)

10- ندرة الموارد البشرية: يشكل نقص الكوادر المدربة -من مهندسين وفنيين- وغياب مؤسسات التعليم والتدريب المختصة في مجال الطاقة والمناجم عائقًا آخر أمام موريتانيا للاستفادة من موارد الغاز الطبيعي، وخاصة فيما يتعلق بالحقول الخالصة في المياه الإقليمية الموريتانية.

11- منافسة مصادر الطاقة المتجددة: على الرغم من تزايد أهمية صناعة الغاز الطبيعي في سوق الطاقة العالمي، مع التوجه العالمي لمستقبل طاقة نظيف، وأن المرجح استمرار إنتاج الغاز الطبيعي ولعبه دور أساسي في مزيج الطاقة، إلا أن التنافس مع مصادر الطاقة المتجددة كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح تتزايد، ومن المتوقع أن يزداد ضغط الرقابة على انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من إنتاج الغاز الطبيعي واستهلاكه في المستقبل.

ثالثًا: جهود موريتانيا للاستفادة من الغاز الطبيعي:

اكتشاف الغاز الطبيعي من أهم الركائز الجيوستراتيجية لموريتانيا في المنطقة، وهو مجال اهتمام للشركات النفطية والغازية العالمية، وقد عملت موريتانيا على إجراء العديد من الإصلاحات في قطاع الصناعات الاستخراجية وقطاع الطاقة والقطاعات المتصلة بهما للاستفادة من الغاز الطبيعي المُكتشف، كما تسعى من خلال استراتيجياتها للاستغلال الأمثل للموارد المتاحة، ومن هذه الجهود:

1- رفع مُناخ الاستثمار: عملت موريتانيا على إجراء العديد من الإصلاحات في مجال تشجيع الاستثمار، منها قانون الاستثمار والمنطقة الحرة بانواذيبو، والقانون التجاري، وكذلك تسهيل ممارسة الأعمال، وحوافز وحماية المستثمرين، (وزارة الاقتصاد، 2017، ص 12) وقد أدى هذا المُناخ إلى جذب كبار المستثمرين العالميين في مجال الصناعات الاستخراجية، وعلى وجه الخصوص خمس من أكبر شركات الطاقة حول العالم مثل (TOTAL) الفرنسية، و(EXXONMOBIL) الامريكية، و(PB) البريطانية، و(SHELL) البريطانية الأيرلندية، و(KOSMOS ENERGY) الامريكية، تعمل هذه الشركات حاليًا لاستغلال نحو نصف مقاطع الحوض الساحلي الموريتاني، البالغة نحو 33 مقطعًا، مجهزة لأشغال التنقيب عن النفط والغاز، (وكالة ترقيه.. الاستخراجية، 2023، ص 19) ورغم هذه الاصلاحات وإقبال الشركات الأجنبية، وعدم وضع أي قيود تُذكر في هذا الاتجاه، إلا أنه لايزال الاستثمار الخاص المحلي دون التوقعات. (وزارة الاقتصاد، 2017، ص 12)

2- تطوير البنية التحتية: سعت موريتانيا إلى تطوير البنية التحتية الخاصة بالكهرباء وشبكات التوزيع، حيث تم إنشاء نحو ست محطات كبيرة لإنتاج الكهرباء في نواكشوط، منها محطة لتوليد الكهرباء تعمل بالغاز الطبيعي بقدرة 180 ميجاوات، ومن المتوقع أن يساهم إنتاج الغاز بداية من عام 2024 في مضاعفة قدرة إنتاج الكهرباء. (وزارة الاقتصاد، 2017، ص 25)

3- الأطر الاستراتيجية: عملت موريتانيا على صياغة عدد من الاستراتيجيات بهدف تحسين قطاع الطاقة، وتلافي العديد من التحديات، ومن هذه الاستراتيجيات:

أ- **استراتيجية النمو المتسارع والرفاه المشترك:** للفترة من 2016-2030، يمثل التوسع في الوصول إلى الكهرباء - وخاصة في المناطق الريفية- أحد الجوانب الرئيسية لهذه الاستراتيجية، لذا تدور الاستراتيجية في قطاع الطاقة حول زيادة حصة مصادر الطاقة المتجددة في مزيج الطاقة، مع إضافة قدرات توليد جديدة معتمدة على موارد الدولة المحلية وخاصة الطاقة المائية والغاز الطبيعي، وتطوير شبكات النقل والربط مع الدول المجاورة، مع العمل على ضمان الوصول إلى خدمات طاقة جيدة، وبسعر مناسب للمستهلكين المحليين.(Ouki, 2020, p8)

ب- **الاستراتيجية الوطنية للتحول في قطاع الطاقة 2020:** تهدف هذه الاستراتيجية إلى تحقيق ضمان أمن الطاقة، وجعل الطاقة محرك أساسي للاقتصاد الوطني، وشبه الإقليمي والدولي، مع ضمان وصول الكهرباء لجميع المواطنين بحلول عام 2030، وتحقيق ذلك الهدف يتطلب العمل في ثلاث اتجاهات وهي: إنهاء المرحلة الأولي من تطوير حقل السلحفاة أحميم، وإنتاج الغاز بداية من عام 2024، واتخاذ القرار النهائي المتعلق بالاستثمار في بئر الله عام 2025، بالإضافة إلى تطوير مشاريع إنتاج للهيدروجين الأخضر.

4- ملائمة الأطر القانونية: عرف الإطار القانوني لقطاع الصناعات الاستخراجية في موريتانيا تحسن كبير خلال السنوات الأخيرة، تم بموجبه تعديل قوانين المعادن والمحروقات عدة مرات لتتلاءم مع مستجدات الاستثمار على مستوى الأسواق العالمية في هذا المجال، وفي هذا الإطار تم تعديل قانون المحروقات ثلاث مرات كان أخرها عام 2015، بهدف تحسين مناخ الاستثمار. (وكالة ترقيه.. الاستخراجية، 2023، ص 21)

5- مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية (EITI): موريتانيا عضو في مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية، والتي تهدف إلى تحسين إدارة القطاع الاستخراجي، وهو ما يتطلب أن يمر منح العقود للشركات البترولية بإجراءات قانونية واضحة، وفي إطار قانون المحروقات الخام، كما تنشر الاتفاقيات بتفاصيلها على مواقع وزارة البترول والمعادن والطاقة، واللجنة الوطنية للشفافية، بما يضمن مكافحة الفساد، وسوء استخدام الموارد.(Clark, 2023, pp4-5)

6- التعاون مع دول الجوار: عملت موريتانيا على تحقيق تعاون إقليمي مع دول الجوار بهدف تعظيم الاستفادة من الغاز المكتشف، من خلال المشاركة في منتدى الدول المطلة على الحوض الساحلي MSGBC، ومنتدى الدول المُصدرة للغاز الطبيعي، للبحث عن طرق استغلال الغاز الطبيعي، وتعزيز مجالات التعاون مع دول الجوار وخاصة الجزائر، لما تقدمه من دعم فني لموريتانيا من شأنه رفع الخبرات، ودفع الاستثمارات ونقل تكنولوجيا.

الخاتمة:

أولاً: النتائج:

- يعُد الغاز الطبيعي وقودًا مثاليًا من الناحية البيئية، ويرجع ذلك لقلة ما يسببه من تلوث للبيئة، وهو ما يفسر زيادة الطلب العالمي عليه مؤخرًا.
- تهيمن اعتبارات ملائمة البنية التحتية على صناعة الغاز الطبيعي، باعتبار أنه يحتاج إلى أنابيب طويلة المدى وخزانات كبيرة عند تخزينه.
- انخفاض الطلب المحلي على الكهرباء خاصة في المناطق الريفية في موريتانيا، نتيجة محدودية الموارد المادية لهذه المناطق والارتفاع النسبي لأسعار الكهرباء.
- يوجد مجموعة من المعوقات أمام استغلال الغاز الطبيعي المكتشف في موريتانيا، كعدم القدرة على تمويل البنية التحتية اللازمة لتوصيل الغاز، بخلاف منافسة مصادر الطاقة المتجددة.

- تظل الشركات الأجنبية هي المستفيد الأكبر من الاكتشافات الغازية، ما لم يكن هناك دور فعّال للشركات المحلية، مع الاستعانة بالأيد العاملة الوطنية.

ثانيًا: التوصيات:

- سن إطار مؤسسي وتنظيمي مناسب لقطاع الغاز الطبيعي، بما في ذلك سياسة تسعير الغاز المحلي بما يتلاءم والقدرة المادية للمواطنين.
- العمل على إزالة عقبات الاستثمار أمام القطاع الخاص في قطاع الغاز الطبيعي، وتعزيز الشراكة ما بين القطاعين العام والخاص، من خلال أليات لتحفيز المشاركة المحتملة من استثمارات القطاع الخاص، بجانب الميزات الضريبية التفضيلية التي يمكن أن يمنحها القانون.
- الاستعانة بوكالات التنمية المتعددة الأطراف أو الثنائية لتمويل مشاريع البنية التحتية، وتسهيل تمويل البنية التحتية من المؤسسات المالية الوطنية والدولية، من خلال آليه تضمن التزام تلك المؤسسات بالتمويل مع منح ضمانات السداد عن الاستثمارات التي يتم تنفيذها.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

أ) المقالات والدوريات العلمية:

1. بيات، رمضان. وصياغ، أحمد رمزي. (2023). "الغاز الطبيعي الجزائري كمورد لتحقيق الانتقال الطاقوي آفاق 2030"، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية (الجزائر: جامعة قاصدي مرباح-ورقلة، المجلد 12، العدد1).
2. جبار، أحمد جاسم. (2017). "تطورات صناعة الغاز الطبيعي وآثارها في سوق النفط العالمية"، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية (العراق: جامعة الكوفة كلية الإدارة والاقتصاد، المجلد 14، العدد3).
3. رشيد، غريس. (2016). "الغاز الطبيعي خيار وبديل استراتيجي وبيئي لاستهلاك الطاقات الوقودية التقليدية (وقود غاز البترول المميع سيرغاز GPL/C والغاز الطبيعي المضغوط GNC)"، مجلة البشائر الاقتصادية (الجزائر: كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، بجامعة طاهري محمد بشار، العدد 7).
4. رولامي، عبد الحميد. (2019). "تطور الغاز غير التقليدي في العالم وتأثيراته على أسواق الغاز الطبيعي الكبرى"، مجلة مينا للدراسات الاقتصادية (الجزائر: كلية العلوم الاقتصادية، التجارية وعلوم التسيير- جامعة غليزان، المجلد 2، العدد 3).
5. على، محمد أبو سريع. (2018). "صراع الطاقة وإعادة تشكيل التحالفات العالمية"، مجلة السياسة الدولية (القاهرة: مؤسسة الأهرام، العدد 2013).

ب) الكتب:

1. الشهرستاني، حسين. (2023). مصادر الطاقة ومستقبل البشرية (العراق: مركز الرافدين للحوار، الطبعة الأولى).

ج) الرسائل العلمية والبحوث غير المنشورة:

1. بورنان، إبراهيم. (2007). الغاز الطبيعي ودوره في تأمين الطلب على الطاقة في المستقبل حالة الجزائر (*رسالة دكتوراه*، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر، 2007).
2. فرحات، محمد. (2023). "دور قطاع توليد الطاقة الكهربائية في تحقيق الاستدامة وأمن الطاقة"، بحث مقدم إلى مؤتمر الطاقة العربي الثاني عشر الطاقة والتعاون العربي (الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، 11-12 ديسمبر 2023م).

د) التقارير:

1. أبو إسماعيل، خالد. (2023). "التقرير العربي الثاني حول الفقر المتعدد الأبعاد" (بيروت: لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا)).
2. وزارة الاقتصاد والمالية (2017). الاستراتيجية الوطنية للنمو المتسارع والرفاه المشترك 2016-2030 (نواكشوط: الجمهورية الإسلامية الموريتانية وزارة الاقتصاد والمالية، المجلد الثاني).
3. وكالة ترقيه الاستثمارات في موريتانيا (2023). دليل الاستثمار في مجال الصناعات الاستخراجية بموريتانيا (نواكشوط: وكالة ترقيه الاستثمارات في موريتانيا).

هـ) شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

1. الطاقة (2022). "توقعات مزيج الطاقة العالمي بحلول 2045.. النفط المصدر الرئيس (إنفوغرافيك)".

At: https://attaqa.net/2022/11/02/توقعات-مزيج-الطاقة-العالمي-بحلول-2045-الن/

2. المركز الدولي للدراسات الاستراتيجية (2023). "الغاز في موريتانيا والسنغال.. تحديات الاستكشاف والإنتاج". At: https://icss.ae/studies/view/gas-in-mauritania-and-senegal-challenges-of-exploration-and-production

3. محمد حرمه، الشيخ. (2024). "موريتانيا.. استثمار مليار دولار في إنتاج الكهرباء من الغاز". At: https://saharamedias.net/223009

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

A) Books:

1. Roca, Álvaro Ríos. (2013). The Role of Natural gas in the Economic and Social Vevelopment of latin America and the Caribbean (Quito – Ecuador: Latin American Energy Organization (OLADE)).

B) Theses and unpublished research:

1. Belkacem, Berretima El Hadj. & Lakhdar, Aribi. (2013). LA Deshydratation DU Gaz Techniqueset Problèmes (Master Academique, Domaine: Sciences et Techniques, Départementde Génie des Procédés, Faculté des Sciences et Technologie et Sciencesde la matière, Universite KasdiA Marbah Ouargla- Algeria).

C) Working Papers:

1. Ouki, Mostefa. (2020). "Mauritania - Senegal: an emerging New African Gas Province –is it still possible?" Oies Paper: NG163 (Oxford-United Kingdom: Oxford Institute for Energy Studies).
2. World Food Programme, (2024) "Mauritania country strategic plan (2024–2028)", WFP/EB.1/2024/6-A/6 (Rome: World Food Programme).

D) Yearbooks and Reports:

1. Clark, Helen. (2023). "EITI Progress Report 2023" (Norway: Extractive Industries Transparency Initiative (EITI)).
2. Corbo, Sebastiano. (2023). Gas Reserves in Mauritania are an Opportunity to Drive Economic Development (London: The London School of Economics and Political Science).
3. Extractive Industries Transparency Initiative (EITI) (2022). Pathways to Energy Transition Mauritania, (Norway: Extractive Industries Transparency Initiative (EITI), Factsheet).
4. Looney, Bernard. (2021). Statistical Review of World Energy 2021 (London: Statistical Review of World Energy, 70th edition).

E) International Network Resources:

1. Energy Information Administration, (2022). "Mauritania 2022 primary energy data". At :https://www.eia.gov/international/overview/country/MRT
2. International Trade Center (ITC), Investment Map, (2022). "List of countries investing in Mauritania". At: https://www.investmentmap.org/investment/indicators-by-country
3. Kosmos Energy, (2024). "Mauritania", At: https://www.kosmosenergy.com/mauritania/
4. ..... (2022). "Mauritania & Senegal: Greater Tortue Ahmeyim". At: https://www.kosmosenergy.com/greater-tortue/
5. Population Pyramid.net, (2022). "الكثافة_السكانية موريتانيا". At: https://www.populationpyramid.net/ar/populationdensity/2022/موريتانيا/
6. The World Bank (2023). "GDP per capita (current US$) – Mauritania". At: https://data.worldbank.org/indicator/NY.GDP.PCAP.CD?locations=MR.
7. ..... (2023). "Population, total – Mauritania". At: https://data.worldbank.org/indicator/SP.POP.TOTL?locations=MR

Changement climatique et migration forcée au Maroc entre vérité et mensonge

التغير المناخي و الهجرة القسرية بالمغرب بين الحقيقة و الادعاء

Climate change and forced migration in Morocco :Between truth and falsehood

AAZIZI Dalila[210] - IDALI Mouhsine[211]

ملخص:

أصبحت التغيرات المناخية التي يشهدها العالم في السنين الأخيرة تأخذ من انشغالات الدول المتقدمة أو السائرة على السواء في طريق النمو، وتعتبر هذه التغيرات من أهم التحديات التي تواجه العالم حاليا. ويتصارع سكان دول الجنوب والشمال لأجل البقاء على الحياة إزاء الجفاف والعواصف والفيضانات، لكن إذا كانت الدول الأكثر فقرا هي الأكثر تأثرا بالتغيرات المناخية، فإنها في نفس الوقت أقل مسؤولية في حدوثها. ونعلم أن الدول النامية بصفة عامة ليست بقادرة على تحصين نفسها من مضاعفات الظاهرة والتكيف معها كما هو الحال بالنسبة للمغرب. فهذه التغيرات تزيد من احتدام الوضعية الهشة للساكنة الأكثر حرمانا و تؤثر عليها وتجعلها تنطلق في رحلة البحث عن مكان آمن للعيش تضمن فيه استمراريتها وتحسن فيه مستواها المعيشي كل هذا في إطار ما يسمى " بالهجرة القسرية". ومن هذا المنطلق، تنبع الإشكالية الأساسية لهذا المقال ، و التي يمكن صياغتها على الشكل التالي: هل يمكن اعتبار التغيرات المناخية دافعا حاسما في هجرة الساكنةّ بالمغرب؟ و في هذا السياق سنقوم في البداية بالوقوف على أهم المفاهيم المؤطرة لهذا الموضوع و هي على سبيل المثال لا الحصر الهجرة ، التغيرات المناخية،...، و ذلك نظرا لأن مقاربة هذه المفاهيم تعد ركيزة مهمة لفهم الموضوع عامة و تحديد مساره. و سنحاول التعرف على خطر التغيرات المناخية على المستوى العالمي و في افريقيا وصولا للمغرب. ثم سنتطرق لدراسة العلاقة بين التغيرات المناخية و الهجرة القسرية بالمغرب مع الوقوف على المجالات الطاردة و الجاذبة ، و ذلك وفق المنهج الوصفي و التحليلي ثم المنهج الاستقرائي.

الكلمات المفاتيح: التغيرات المناخية ، الهجرة ،الساكنة، الهجرة القسرية، المغرب.

Résumé :

Les changements climatiques que connait le monde dans les dernières décennies, sont des préoccupations importantes aussi bien pour les Etats développées que pour les pays en voie de développement. Les changements climatiques sont l'un des plus grands défis auxquels notre monde est confronté aujourd'hui. Les populations des pays du Sud comme celles du Nord se battent pour survivre face aux sécheresses, aux tempêtes, et aux inondations, Mais les pays les plus pauvres du monde sont les plus vulnérables face aux effets du changement climatique, alors qu'ils sont les moins responsables .Les pays en développement ne sont en effet pas en mesure de se prémunir contre les impacts du phénomène et de s'y adapter comme le Maroc. Les changements climatiques accentue les situations précaires des populations les plus démunies et l'affecter et le faire partir d'une mobilité a la recherche d'un lieu de vie sûr pour assurer sa continuité et améliorer son niveau de vie tout cela dans le cadre d'une migration nommée « migration forcée ». la problématique fondamentale de cet article peut être formulé comme suit : Est-ce que les changements climatiques au Maroc peut-il être considérés comme un raison majeur des migrations de population **?** Dans ce contexte, nous aborderons d'abord les concepts les plus importants qui encadrent ce sujet, par exemple : la migration, le changement climatique,... par ce que, l'approche de ces concepts est un pilier important pour comprendre le sujet en général et déterminer son orientation. Nous essaierons aussi d'identifier la menace du changement climatique au niveau mondial, en Afrique et au Maroc. Ensuite, nous étudierons la relation entre les changements climatiques et la migration forcée au Maroc, tout en identifiant les zones répulsives et attractives, selon l'approche descriptive et analytique puis l'approche inductive.

Mots-clés :les changements climatiques , migration, population, migration forcée, Maroc.

[210] Doctorantes à la faculté des lettres et des sciences humaines- Université Sultan Moulay slimane Beni Mellal.
[211] Professeur d'enseignement supérieur- Faculté des lettres et des sciences humaines Beni Mellal et directeur du pôle des études doctorales à l'université sultan Moulay slimane Beni Mellal.

ISSN 2569-734X

Abstract:

Climate change, which has been witnessed globally in recent years, has become a significant concern for both developed countries and those on the path of development. These changes are considered one of the major challenges the world currently faces. People in both the Global South and North are fighting for survival in the face of droughts, storms, and floods. However, while the poorest countries are the most affected by climate change, they are also the least responsible for its occurrence. It is well known that developing countries, in general, are not equipped to protect themselves from the consequences of climate change and to adapt to it, as is the case with Morocco. These changes exacerbate the already fragile conditions of the most deprived populations, affecting them and pushing them to seek a safe place to live, where they can ensure their continuity and improve their living standards. All of this falls within the framework of what is known as "forced migration."

From this perspective, the main issue of this article arises, and it can be formulated as follows: Can climate change be considered a decisive factor in the migration of populations in Morocco? In this context, we will first address the key concepts framing this topic, such as migration, climate change, and others, since understanding these concepts is essential for grasping the topic in general and determining its trajectory. We will then examine the global impact of climate change, particularly in Africa and Morocco. Finally, we will explore the relationship between climate change and forced migration in Morocco, focusing on the push and pull fields, following a descriptive, analytical, and inductive approach.

Keywords :Climate change,Migration,Population,Forced migration,Morocco.

Introduction :

Tout au long de l'histoire humaine, la migration et le climat ont toujours été associés aux effets de ce dernier et de la dégradation de l'environnement, que ce soit par des facteurs naturels ou humains pour modifier les modèles de stabilité humaine à grande échelle, et de ce type de migration lié aux changements climatiques est devenu l'une des menaces les plus importances affectant la survie de la personne et la préservation de son existence. Il existe une relation bilatérale entre la migration et les changements climatiques, qu'ils soient rapides comme les inondations ou lents comme la désertification, ils accélèrent la migration. Et la migration à son tour affecte l'environnement en épuisant ses ressources de flux migratoires.

Dans les années 1990 la G.I.E.C a montré que les impacts les plus graves du changement climatique sont ceux qui affectent la migration humaine.

La chose la plus importante qui affecte l'environnement est peut être les changements climatiques qui conduisent à des catastrophes naturelles et conduisent à un manque de ressources et à leur retrait, ce qui affecte les conditions de base qui garantissent la survie de l'individu et la préservation de sa présence.la nature de l'activité humaine est liée à la qualité de l'environnement sont décrits comme facile, ou le climat est adapté et l'abondance de nourriture et la facilité de vivre tandis que d'autres sont décrits comme des environnements difficiles qui obligent ses résidents à supporter le climat rigoureux et à défier les difficultés, de sorte que vous le trouvez s'adapter parfois aux conditions et parfois les surmonter et devoir partir dans l'un des types migrations , appelées « migration forcée ».

Nous allons travailler à travers cet article pour identifier l'impact des changements climatiques sur la migration forcée au Maroc et révéler l'étendue de leur validité ou mensonge.

L'importance du sujet :

L'importance du sujet est que les changements climatiques affectent de nombreux niveaux, parmi lesquels la mobilité de la population, car ils constituent un poids significatif dans le monde et la gravité de leur impact varie d'un pays à l'autre, et pour cela nous sommes intéressés à étudier ces changements climatiques au Maroc.

L'objectif du sujet :

Les objectifs du sujet sont les suivants :

- L'étude des changements climatiques au Maroc.
- Déterminer l'effet des changements climatiques sur la migration de la population à travers le Maroc.

Problématique :

La problématique que nous cherchons à résoudre dans ce sujet réside dans la question principale suivante :

- **Est-ce que les changements climatiques au Maroc peut-il être considérés comme un raison majeur des migrations de population ?**

Afin d'informer et de résoudre ce sujet, nous avons divisé cette problématique en idées partielles qui ont généré les sous-questions suivantes :

- Quelle est la nature des changements climatiques dont souffre le Maroc ?
- Comment cela affecte-t-il la migration de la population ?

Hypothèse :

Pour répondre à la problématique nous suivons un ensemble d'étapes, dont la première consiste à formuler des hypothèses aux questions de recherche. Alors l'hypothèse centrale peut être formulée de la manière suivante :

Les changements climatiques au Maroc, notamment l'aggravation de la sécheresse, la désertification et la rareté des sources en eau constituent un facteur majeur poussant certaines populations, en particulier rurales, à migrer vers les zones urbaines ou à l'étranger pour améliorer leurs conditions de vie.

Concernant les réponses hypothétiques secondaires, elles peuvent être résumées comme suit :

- La nature des changements climatiques dont souffre le Maroc se caractérise principalement par l'augmentation des températures, la diminution des précipitations, la multiplication des périodes de sécheresse ainsi que la progression de la désertification.

- Le changement climatique entraine une augmentation des migrations internes et externes de population en raison de la dégradation des conditions de vie, à cause de la désertification, la

baisses de ressources en eau, de la diminution de la productivité agricoles et des impacts économiques sur les zones rurales, poussant les populations à migrer vers les zones urbaines ou à l'étranger.

Les méthodes :

1- La méthode descriptive :

Ce qui aide à collecter des informations et des données concernant les changements climatiques en général, puis à les décrire et à les interpréter afin d'atteindre les objectifs spécifiques.

2- La méthode analytique :

A travers lequel nous allons essayer d'analyser les données collectées sur le terrain.

3- La méthode inductive :

Nous étudierons des exemples de migration affectées par les changements climatiques, puis tirerons les résultats les plus importants afin de rendre une décision générale.

Localisation du domaine d'étude :

Notre domaine d'étude est le Maroc qui situé au Nord-Ouest de l'Afrique. Il est délimité au Nord par le Détroit de Gibraltar et la Mer Méditerranée, au Sud par la Mauritanie, à l'Est par l'Algérie et à l'Ouest par l'Océan Atlantique. La côte marocaine s'étend sur 3500 km.

- Superficie: 710. 850 km2.

- Deux façades maritimes: Atlantique: 2.934Km, Méditerranéenne: 512Km.

- Climat à dominance méditerranéenne, atlantique et désertique au Sud.

– Principales chaînes montagneuses: Rif, Haut, Moyen et Anti-Atlas,.

– Principaux fleuves: Loukkos, Sebou, Bouregreg, Moulouya, Drâa, Oum Rbia, Souss, Tensift, Ziz.[212]

[212] Le site d'ambassade du royaume du Maroc en France, https://www.amb-maroc.fr/_maroc/geographie.html.

Fig1 : la carte du Maroc[213]

- Le climat

Le climat dominant au Maroc est méditerranéen; tempéré à l'Ouest et au Nord par l'Océan Atlantique. A l'intérieur, le climat est plus continental avec des écarts importants de températures. La zone de l'Atlas est humide, l'enneigement y est fréquent. Le Sud a un climat désertique.

Les précipitations moyennes annuelles varient de: 500 à 2.000 mm dans la zone la plus arrosée au Nord-Ouest soumise à l'influence atlantique. 200 à 1.000 mm dans l'Ouest et le Centre, soumis à l'influence atlantique. 100 à 200 mm dans la partie orientale du pays, et moins de 100 mm dans le Sud du pays.[214]

I- Cadre conceptuel:

1- Changement climatique :

La CCNUCC (article 1), définit « le changement climatique » comme étant des changements de climat qui sont attribués directement ou indirectement à une activité humaine altérant la

[213] Carte Maroc, https://www.routard.com/guide_carte/code_dest/maroc.htm.

[214] Le site d'ambassade du royaume du Maroc en France, https://www.amb-maroc.fr/_maroc/geographie.html.

composition de l'atmosphère mondiale et qui viennent s'ajouter à la variabilité naturelle du climat.[215]

2- Migration :

Selon le rapport des Nations Unies sur les migrations internationales en 2005, une migration humaine est un déplacement du lieu de vie d'individus ayant quitté leur pays pour vivre et se fixer dans un autre pays pour au moins un an. C'est un phénomène probablement aussi ancien que l'humanité. Il mesure un stock et comprend la migration volontaire et la migration forcée. Les migrations internes aux pays sont également en augmentation, mais on parle alors plutôt de déplacements de populations (qui sont également volontaires ou forcés).[216]

3- Migration forcée:

Mouvement de personnes ayant été forcées ou contraintes de fuir ou de quitter leur foyer ou leur lieu de résidence habituelle, notamment en raison d'un conflit armé, de situations de violence généralisée, de violations des droits de l'homme ou de catastrophes naturelles ou provoquées par l'homme ou pour en éviter les effets.[217]

Comme celle des migrations volontaires, l'histoire des migrations forcées se confond avec celle de l'humanité. De tout temps, des circonstances diverses (conquêtes, transferts de population, persécutions, catastrophes naturelles…) ont contraint des hommes à quitter leur lieu d'habitation pour s'installer ailleurs. Tantôt ordonnées, tantôt dictées par les exigences de la survie, ces migrations prennent un tour individuel, mais aussi et plus souvent collectif.[218]

II- Changements climatiques:

1- A l'échelle Mondiale :

Beaucoup des changements climatiques sont observée au niveau mondial, la concentration des gaz à effet de serre dans l'atmosphère est directement liée à l'augmentation de la température globale moyenne sur la Terre, selon l'organisation météorologique mondiale la période entre 2015 et 2019 est bien partie pour être la plus chaude jamais enregistrée. Durant la même période l'élévation du niveau de la mer a été de 5mm/an, en plus la contribution de la fonte des glaces a augmenté au fils du temps et les océans se réchauffent. Pour cela le dernier rapport de la G.I.E.C est concentré sur la hausse de température des océans et la dégradation de la cryosphère, par ce qu'elles menacent la survie de l'humanité.

- La concentration du gaz à effet de serre :

En absorbant les rayonnements infrarouges, ces gazes contrôlent la manière dont l'énergie naturelle circule dans le système climatique. Par suite des émissions anthropiques. Le climat a commencé à s'adapter à une couche plus épaisse de gaz à effet de gaz à effet de serre pour

[215] Demba ba, « INCIDENCES SANITAIRES DE LA VAGUE DE CHALEUR DU MOIS DE MAI 2013 DANS LES DEPARTEMENTS DE MATAM ET DE BAKEL : ANALYSE GEOGRAPHIQUE », mémoire de master, UNIVERSITE CHEIKH ANTA DIOP, DAKAR, 2014-2015, page.22.
[216] Lambert agodo,«les migrations de populations dans la commune de Savalou : impacts socio-économiques », université d'abomey calavi, abomey calavi, 2009.
[217] Franci M .Deng,OIM ONU migration, https://www.iom.int/fr/termes-cles-de-la-migration .
[218] Catherine teitghen-colly, « Le défi international des migrations forcées », https://www.cairn.info/l-enjeu-mondial-2--9782724611311-page-123.htm#, page.123. (consulté le 11-02-2020)

maintenir l'équilibre entre l'énergie provenant du soleil et celle qui est renvoyée dans l'espace.[219]

- l'augmentation de la température globale de l'atmosphère :

Les observations montrent que les températures Mondiales se sont élevées d'environ 0.6 c° au cours du XX siècle. Il est de plus en plus évident que la plus grande partie du réchauffement observé au cours des 50 dernières années est imputable aux activités humaines. Les modèles climatiques annoncent que la température de la planète augmentera de 1.4 à 5.8 C° d'ici 2100, cette hausse serait beaucoup plus importante que toutes celles survenues au cours des 10000 dernières années.[220]

Elévation température moyenne du globe combinant terres émergées et océans de 1880 à 2012 : + 0.85 c° (0.65 à 1.06).[221]

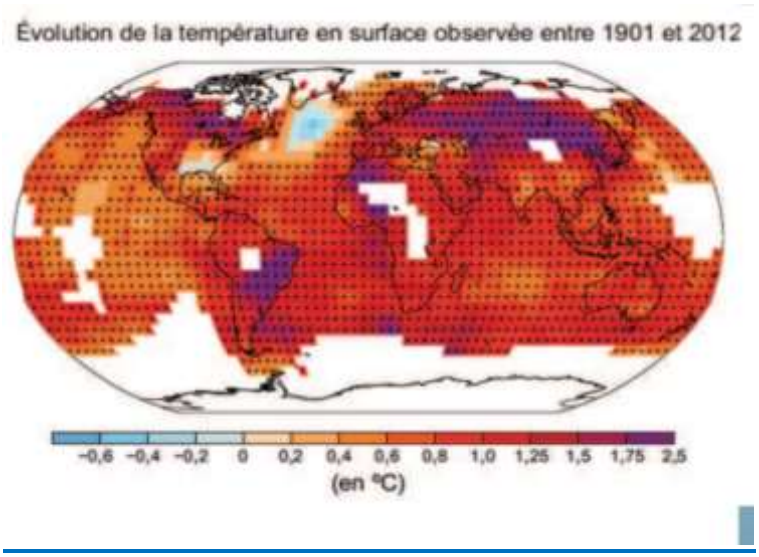

Fig 2 : IPCC-GIEC 2014

- l'élévation du niveau de la mer:

La hausse du niveau des océans est sans aucun doute la conséquence la plus redoutée et la plus connue du réchauffement climatique. De nouvelles estimations montrent qu'au moins trois fois plus de personnes que prévues seront affectés par des inondations marines, principalement en Asie. Mais la France ne sera pas épargnée comme le montre la carte

[219] PNU et UNFCCC, « changements climatiques », France, 2001, file:///C:/Users/AAZIZI/Desktop/gaz/fiche_chgmts_climatiques.pdf.(consulté le 11-02-2020)
[220] Ibid.
[221] Benoit Laignel , « le changement climatiques et sec effets de l'échelle globale à régionale : Etat et lieux », .(consulté le 11-02-2020)
https://www.google.co.ma/search?sxsrf=ACYBGNQ7dGt6Qzm702QfTya1Oz8TRuXn0Q%3A1581414581238&source=hp&ei=tXhCXo-WDMmTlwTTzIugAg&q=les+changements+climatiques +a+l%27échelle+mondiale&oq_.&gs_l=mobile-gws-wiz-hp.1.035.i362i39l7j46i362i39.0.0.8.....0.....0.0.0..1.0...10642..Ngfm0ZhPbKE

interactive de l'augmentation du niveau de la mer.[222] En s'attend à une élévation moyenne du niveau de la mer de 9à88 cm d'ici à 2100. Ce qui se traduirait par une inondation des régions de faible altitude et par d'autres dégâts.[223]

Fig 3 : En rouge les zones qui seront inondées de manière permanente ou temporaire par l'élévation du niveau de la mer et les submersions marines d'ici 2050 avec un scénario pessimiste d'émissions de gaz à effet de serre (celui que nous suivons). [224]

- la fonte massive de neige et de glace :

Les régions de petits glaciers (par exemple Europe centrale, Caucase, Scandinavie ou Asie du Nord), devraient perdre plus de 80% de leur masse glaciaire d'ici à 2100 avec le scénario d'émissions dit «haut» (8.5). Au total, dans le monde, les glaciers pourraient perdre jusqu'à plus d'un tiers de leur masse entre 2015 et 2100.

« Pour les deux à trois prochaines décennies, quel que soit le scénario des émissions, cela ne changera pas grand-chose. Les glaciers continueront de fondre même si la température est stabilisée a +1,5 ou 2°C.[225]Les calottes de l'Antarctique et du Groenland, qui peuvent atteindre jusqu'à 3 km d'épaisseur, contiennent plus des deux tiers de l'eau douce de la planète, Suffisamment pour provoquer une hausse des océans respectivement de 58 et 7 mètres, si elles fondaient complètement.[226]

2- En Afrique :

Parmi les régions du monde considérées les plus exposées au changement climatique, l'Afrique apparaît bien comme l'une des plus vulnérables. Du fait de la faiblesse et de la défaillance des systèmes d'encadrement, sécheresses, inondations, glissements de terrain, cyclones… y ont des

[222] Notre planète.info, https://www.notre-planete.info/actualites/3808-augmentation-niveau-mer-carte-mondiale-population .
[223]PNU et UNFCCC, « changements climatiques », France, 2001, file:///C:/Users/AAZIZI/Desktop/gaz/fiche_chgmts_climatiques.pdf.(consulté le 11-02-2020)
[224] Ibid.
[225] Libération, https://www.liberation.fr/planete/2019/09/25/selon-le-rapport-du-giec-oceans-et-glaces-plus-que-jamais-menaces_1753353 .
[226] LeSoleil, https://www.lesoleil.com/actualite/environnement/la-fonte-des-calottes-glaciaires-pourrait-provoquer-un-chaos-climatique-video-698805f10ead3d372403e552ba7be3f7 .

incidences souvent dramatiques (déplacements de populations et « réfugiés climatiques », épidémies, famines, etc.).

la complexité des dynamiques atmosphériques à l'œuvre sur le continent africain impose un questionnement sur la valeur *des* échelles d'observation retenues dans le temps et l'espace. On sait par exemple qu'une augmentation des températures ou des précipitations moyennes annuelles n'a pas de signification précise pour l'agriculteur et l'éleveur des zones semi-arides ou humides à subhumides.

Ce dont il faut tenir compte en revanche, ce sont des moyennes saisonnières car une hausse des températures en saison sèche a moins d'impact sur les champs et les pâturages déjà secs et peu utilisés qu'en période de semis, de récolte ou de pacage. À l'inverse, sur les hautes terres fraîches des montagnes de l'Atlas maghrébin et du Rift est-africain, l'augmentation des températures durant l'hivernage a des effets différenciés, alors qu'en Afrique du Nord le régime d'écoulement des oueds est écourté en raison de la raréfaction des précipitations neigeuses en altitude.[227]

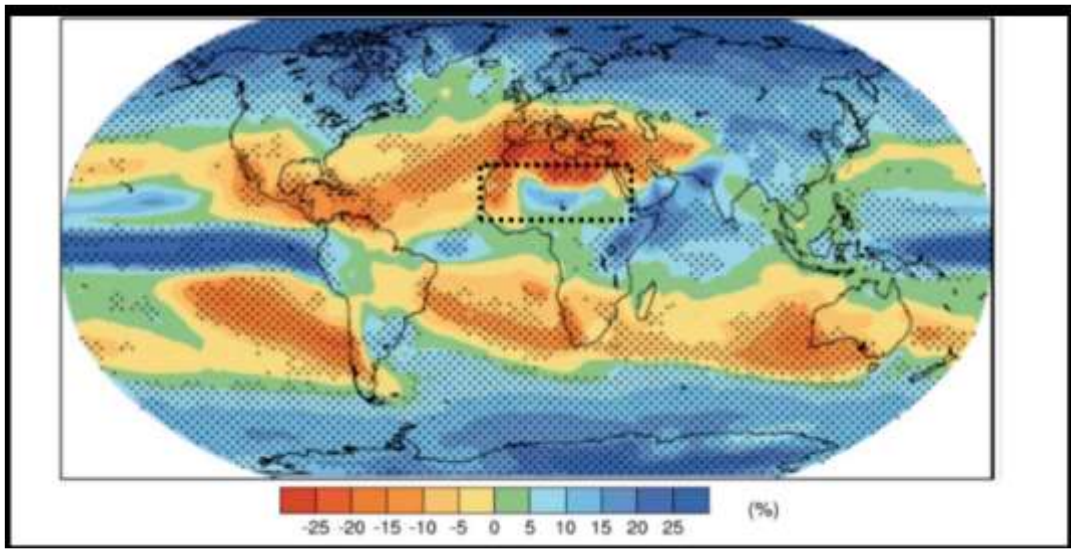

Fig 4: Moyennes des variations des précipitations (en %) calculée à partir de quinze modèles climatiques pour la période 2080_2099 par rapport à la période 1980-1999 (Scénario A1B du SRES) (GIEC, 2007).

3- Au Maroc :

- La sécheresse :

Le Maroc a connu au niveau national la fréquente des années de sécheresse depuis les temps anciens, ce qui indique que la sécheresse est un phénomène inhérent au climat Maroc, car le Maroc a été témoin de plus de 57 sécheresse dont la plupart ont couvert tout le sol marocain.

[227] Alain François et Mohamed Taabni, « L'Afrique face aux changements climatiques », https://journals.openedition.org/com/6692 ,page.459-462.(consulté le 11-02-2020)

[228]Les plus importante de ces périodes de sécheresse sont celles qui ont suivi et caractérisé les années 80et 90.

De plus la plupart des régions du pays ont souffert de températures élevées, mais à des degrés divers selon les régions géographiques.

Les indicateurs de changement de température montrent que le Maroc connait actuellement une augmentation de la température d'environ 0.10 C° à 0.63C° par rapport aux taux habituels. Ceci est confirmé par certaines études récentes sur l'évolution du climat marocain.

Toutes les régions du pays, sans exception ont connu une augmentation remarquable de leurs taux thermiques, mais à un degré différent, il s'agit d'une forte augmentation dans les régions de l'atlantique, du sud, de l'est et une élévation moyenne dans le nord-ouest du pays. Ce réchauffement s'est intensifié ces dernières années depuis le milieu des années 90. Cela coïncidé avec l'hésitation d'années de température mondiale record ce qui signifie que le Maroc est affecté par le réchauffement climatique [229]

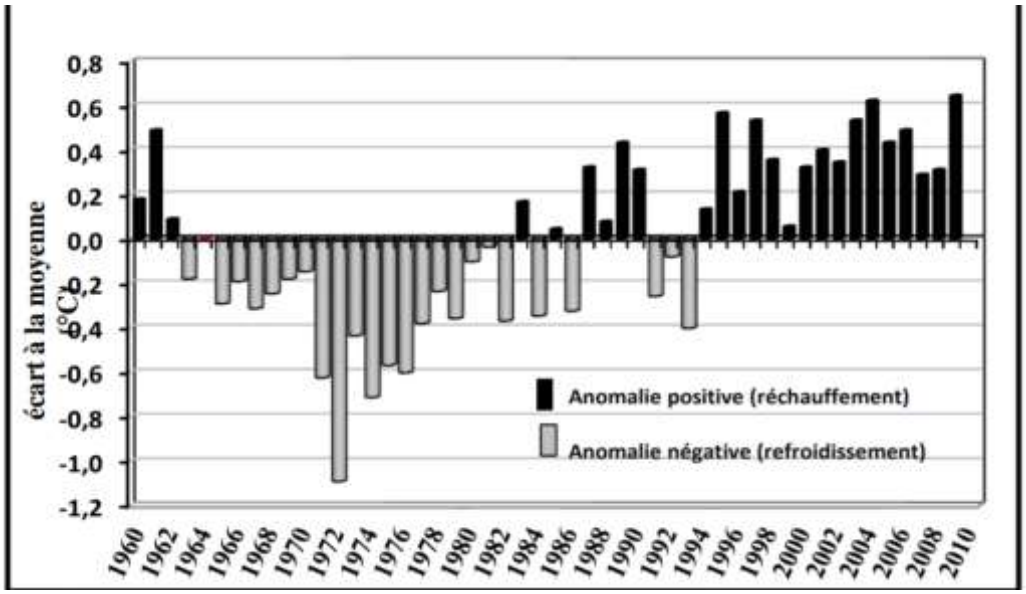

Fig5.L'évolution de températures au Maroc entre 1960 et 2010.[230]

Les changements au cours des trente –cinq dernières années s'est manifesté par la variation des précipitations, qui a augmenté dans les régions centrales plus que dans les régions du nord, tandis qu'elle a diminué dans les régions du sud, et les précipitations ont augmenté dans le centre et le nord au printemps.

[228] محمد الاسعد، اتخاذ القرار لدى الفلاحين في الأنظمة الرعي زراعية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب، مؤسسة دكالة عبدة للثقافة و التنمية، الدار البيضاء،2012،ص.227.

[229]سعيد الهينا، آثار التغيرات المناخية على البيئة المغربية و التدابير المتخذة على مستوى الميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة لمواجهتها، رسالة الماستر في البيئة و التنمية المستدامة، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، 2013-2014،ص.5-6.

[230] المرجع نفسه،ص.5.

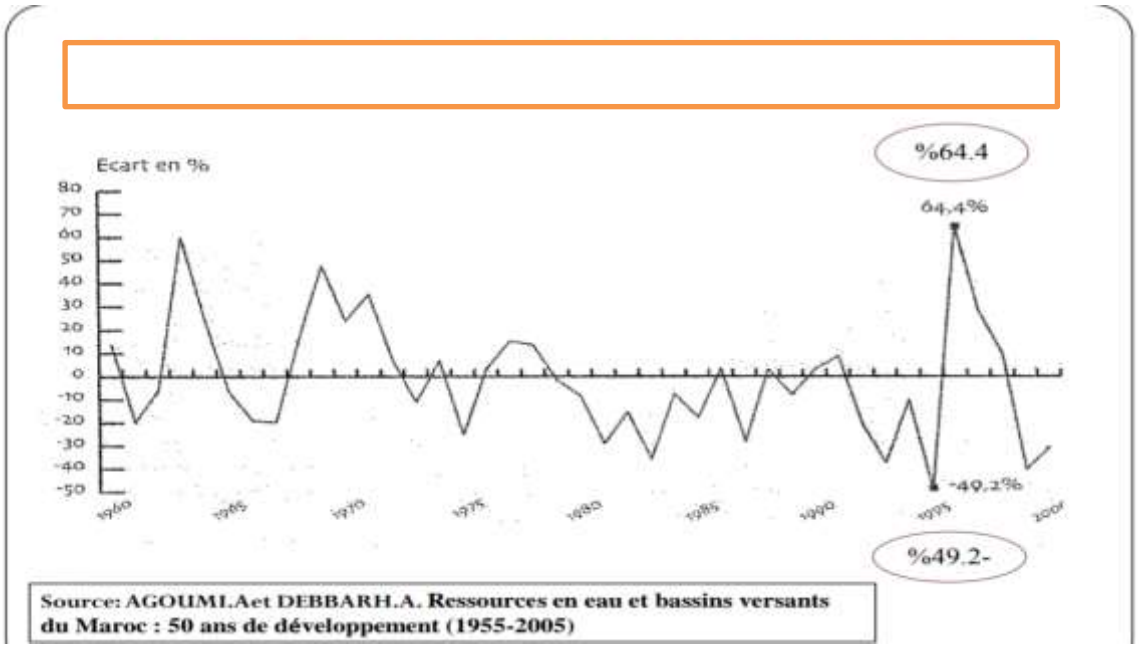

Fig 6.Précipitations annuelles moyennes au Maroc de 1960 et 2000.

Selon ce graphe On peut distinguer deux périodes concernant les précipitations au Maroc :

- Une première période, connue sous le nom de période de pluie régulière, entre 1960 et 1972.
- Une deuxième période est une période de sécheresse et de manque de pluie de 1972 à 2000.

Une étude réalisé par la direction météorologique nationale confirme la différence entre les deux périodes, et estime que les précipitations totales ont diminué de plus de 30% au cours de la période de 1978 à 1996 par rapport à la période entre 1961 et 1978.

Les cinquante dernières années ont vu une augmentation notable de la gravité de la sécheresse et nous sommes donc passés d'une sécheresse tous les dix ans entre les années 50 et 60 du siècle dernier dans deux de sécheresse ou trois cas par décennie.au cours de la période 1955 à 2004, il y a eu 7 périodes sèche à grande échelle au Maroc, dont cinq cas après 1975.

Dans la deuxième période, qui s'étend de 1975 à 2004, elle a été caractérisée par de rares années humides avec des pluies concentrées sur de courtes périodes , des centaines de millimètres tombant dans les zones sèches en quelque jours et pas une baisse le reste de l'année , ce qui entraine des sols arides , l'érosion, le ruissellement excessif et toutes ces caractéristiques du climat marocain , augmente et renforce les dangers et les catastrophes naturelles, en est la meilleure preuve , les inondations de 1996 et 2002 en particulier ces dernières qui ont eu de graves conséquences , sur les activités économiques la population et la production agricole dans différentes régions du pays, comme El-Jadida, Beni Mellal, Tanger.[231]

- La désertification :

[231] سعيد الهيناء، المرجع سابق الذكر،ص.5-6.

Le système désertique fait partie des zones les plus touchées par le phénomène de désertification. C'est un environnement sec à forte orbite thermique, ses plantes sont pauvres et sporadiques en raison de la rareté des ressources en eau. Par conséquent le Maroc est vulnérable à la désertification de sa zone boisée à son oasis, par ce qu'il perd chaque année environ 31000 hectares de sa forêt, ce qui le rend menacé de désertification aujourd'hui et dans le futur.de plus la forêt de Mamoura a perdu sa moitié depuis 1920 es elle est passée entre 1951 et 1992 de 100000 à 60000 hectares. Quant aux forêts dispersées dans le nord du Maroc, elles ont également diminué de 45 % au cours des quarante dernières années.il y a également 30000 hectares d'arganiers endommagés par les inondations d'eau à environ 250mètres sous terre.

Le système désertique du Maroc est un habitat caractérisé par la fragilité qui permet l'augmentation de la désertification et la détérioration de la végétation. Le climat sec et semi-aride avec un terrain désertique. Le domaine marocain comprend des oasis géographiques qui s'étendent sur une superficie de 115563 kilomètres.[232]

La désertification est également connue pour être un élément important dans les zones désertiques et oasis récemment. C'est un phénomène qui détruit les capacités biologiques de la terre et la détruit complètement, entrainant l'émergence de régions désertiques arides ou semi-arides.[233]

Le déclin du couvert végétal dépend de la désertification, qui est un phénomène irréversible contrôlé par les vents, comme les vents subis dans l'oasis de Paklawa, c'est le cas de toutes les oasis de Daraa Al-Awsat des vents forts et plus fréquent soufflent tout au long de l'année. Ce vent contribue à l'exacerbation du phénomène de veuvage qui est devenu une invasion des terres agricoles et des zones d'habitation, et ces vents prennent souvent une direction est ou sud-est, et sa vitesse change chaque mois entre 1,41 mètre par seconde et 3.6 mètres par seconde. En plus de ces vents ordinaire des vents plus puissants soufflent surtout en été et ils sont appelés chergui car ils ont un fort impact sur les produits agricoles.[234]

III- Le lien entre les Changements climatiques et la migration forcée au Maroc:

L'effet des changements climatiques au Maroc à la répartition générale de la population et aux migrations en particulier est très évidente, notamment dans les régions caractérisées par la dureté de la nature et les risques accrus de changement climatique qui sont compensés par une faiblesse de la capacité des individus à s'adapter à ces changements , par exemple au moyen Atlas au début des années 70 la chute massive de neige épaisseur de 4 mètres ont poussé les habitants à immigrer vers les villages voisins . Mais le changement climatique est le plus influent sur la migration des personnes au Maroc est la sécheresse ce qui entraine un manque de récoltes agricoles et pousse la population rurale qui se nourrit de ces récoltes à migrer vers des zones plus vivables, surtout que la réflexion du changement climatique sur le système thermique a conduit à des sécheresses apparaissant en dehors de leurs saisons régulières, ce qui

[232] سعيد الهيناء، المرجع سابق الذكر،ص16-17.
[233] سعيد الهيناء، المرجع سابق الذكر،ص17.
[234] محمد نبو و محمد محي الدين، مداخلة تحت عنوان الانعكاسات الإيكو اقتصادية للتغيرات المناخية بالمجالات الواحية ورهان التدبير و الاستدامة "حالة واحة لكتاوة بإقليم زاكورة «،المؤتمر الوطني الثالث للجغرافيين الشباب جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء،2017.

affecte négativement les activités humaines principalement l'agriculture, Cette migration forcée pourrait être permanente ou temporaire . C'est pourquoi au Maroc en peut distinguer entre les zones répugnantes à la population et d'autres qui les attirent et nous allons présenter un exemple de chaque type des zones précédentes.

1- Les zones expulsant :

La région Deraa-Tafilalt a connu une succession des années de sécheresse et un déclin de la production agricole, qui ont fortement affecté les revenus des familles ce qui conduit à des flux migratoires vers différentes villes à la recherche d'opportunités d'emploi et de bonnes conditions de vie. C'est que la commune rurale Laktawa qui appartient à la province Zagora a réellement vu, et pour cela il est possible de distinguer les types d'immigration que l'Oasis de Laktawa connait comme suit :

- La migration trimestrielle :

Les individus quittent leur famille pour une période limitée allant d'un à trois mois vers les régions de l'ouest et du nord pour travailler dans le domaine de l'agriculture en particulier pendant la période de récolte pour retourner dans leurs villages au début de la saison estivale pour récolter les palmiers et se préparer pour la prochaine saison agricole. Cependant ce type de migration a considérablement diminué après les années 1970.

- La migration temporaire :

C'est celle qui dure longtemps qui peut atteindre plus de six mois et ce type de migration a augmenté ces dernier temps car de nombreux jeunes sont venus travailler dans le domaine de la construction et dans certaines usines, bien sûr après que l'activité agricole dans leurs régions d'origine a été affectée par les changements climatiques.

Le taux de croissance lors du dernier recensement de 2014 a révélé une baisse de la population du communes rurales Lactawa, car il comptait 11157 habitants en 2014 et est devenu 8921 habitants en plus de certains autres communes rurales qui connaissent une diminution de la population , en revanche la population a augmenté dans d'autres communes rurales tels que Zagora +1.4% et Tinzouline +1.42% par conséquent nous concluons que le déclin de la population dans les deux communes rurales mentionnées est du à plusieurs raisons ,y compris la migration résultant du manque de précipitations et de la sécheresse.

- La migration permanente :

Il s'agit de familles entières, car le soutien de famille reçoit un emploi fixe dans les villes ou a pu s'intégrer dans la ville lors de son implication dans le commerce en se déplaçant définitivement vers ces centres. Ces dernières années ce type de migration a pris une autre dimension en raison des années de sécheresse successives qui ont joué un rôle important dans la migration de nombreuses familles vers des zones qui ont trouvent près des villes.[235]

2- Les zones attractives :

Le Maroc a connu plusieurs périodes sévères de sécheresse sont celles enregistrées au cours des saisons suivantes : 1944/1945 ; 1982/1983 ; 1991/1993 ; 1994 /1995. Selon notre étude de

[235] محمد نبو و محمد محي الدين، المرجع سابق الذكر.

terrain sur les changements climatiques et sa relation avec la migration de la population à la région de Beni Mellal Khénifra, nous avons conclu que la sécheresse est le facteur numéro un qui cause la migration forcée vers la région, c'est soit une migration à l'intérieur du même région par exemple la mobilité des tribus Beni Zemmour qui ont trouvent près de Bajaad à la limite de la province khouribga et la province Khénifra ou la migration des personnes de Beni Moussa avant la création du barrage Bin El widane en 1953 vers la commune de Ouled Said, soit une migration d'autres régions vers la régions Beni Mellal Khénifra comme la région de Marrakech Safi , la région de Daraa Tafilalt …..

Nous avons trouvé des exemples de personnes qui ont migré au cours des dernières années et d'autres qui ont nouvellement immigré dans la région , ce qui montre que la mobilité se poursuit pour des raisons climatiques et pas seulement pour les générations qui ont traversé des périodes de grave sécheresse. Ils ont tous déclaré que les activités économiques en particulier l'agriculture dans les zones rurales est influencée négativement par la sécheresse et que la sécheresse rend les conditions de vie plus difficile dans les régions de départ et pousseront la population rural à abandonner leur localités est migrer. Certains témoins ont indiqué que certaines personnes n'ont pas quitté leur région d'origine malgré les changements climatiques, mais ont plutôt réussi à coexister avec elles.

Sur la base des exemples précédents et en fonction de la méthode inductive, on peut dire que les changements climatiques au Maroc affectent et conduisent à des migrations forcées. Cependant, il n'est pas possible d'ignorer certains cas qui n'ont pas migré en raison de ces changements climatiques, mais ont pu s'y adapter et essayez de faire des nouvelles activités.

Conclusion :

A travers ce qui précède, il devient clair que le Maroc est dépendant du problème des changements climatiques et est l'un des pays touchés par plusieurs phénomènes tels que la sécheresse, la désertification…. En effet, il y a aucun doute que les impacts des changements climatiques au Maroc est réel et personne ne peut nier cet impact sur la migration de population, mais il y a des personne qui n'ont pas été touchés par eux et qui sont restés dans leur région d'origine et ne les ont pas amenés à émigrer , alors ce qu'il faut retenir que l'effet du changement climatique sur la migration est relatif et qu'il s'ajoute à un ensemble d'autres facteurs sociaux, économiques….et pour cela il faut élaborer des projets et des stratégies pour l'adaptation humaine, économique et social face aux changements climatiques.

- Référence bibliographique :

- Alain François et Mohamed Taabni, « L'Afrique face aux changements climatiques », https://journals.openedition.org/com/6692 ,.(consulté le 11-02-2020)
- Benoit Laignel , « le changement climatiques et sec effets de l'échelle globale à régionale : Etat et lieux », https://www.google.co.ma/search?sxsrf=ACYBGNQ7dGt6Qzm702QfTya1Oz8TRuXn0Q%3A1581414581238&source=hp&ei=tXhCXo-WDMmTlwTTzIugAg&q=les+changements+climatiques +a+l%27échelle+mondiale&oq . .&gs_l=mobile-gws-wiz-

hp.1.035.i362i39l7j46i362i39.0.0.8.....0.....0.0.0..1.0...10642..Ngfm0ZhPbKE, .(consulté le 11-02-2020)

- Catherine teitghen-colly, « Le défi international des migrations forcées », https://www.cairn.info/l-enjeu-mondial-2--9782724611311-page-123.htm#, (consulté le 11-02-2020)
- Carte Maroc, https://www.routard.com/
- Demba ba, « INCIDENCES SANITAIRES DE LA VAGUE DE CHALEUR DU MOIS DE MAI 2013 DANS LES DEPARTEMENTS DE MATAM ET DE BAKEL : ANALYSE GEOGRAPHIQUE », *mémoire de master*, UNIVERSITE CHEIKH ANTA DIOP, DAKAR, 2014-2015.
- Franci M .Deng,OIM ONU migration, https://www.iom.int/fr/termes-cles-de-la-migration
- Lambert agodo,«les migrations de populations dans la commune de Savalou : impacts socio-économiques »,université d'abomey calavi, abomey calavi, 2009.
- LeSoleil, https://www.lesoleil.com
- Le site d'ambassade du royaume du Maroc en France https://www.amb-maroc.fr
- Libération,https://www.liberation.fr/
- Notre planète.info, https://www.notre-planete.info
- PNU et UNFCCC, « changements climatiques », France, 2001, file:///C:/Users/AAZIZI/Desktop/gaz/fiche_chgmts_climatiques.pdf.(consulté le 11-02-2020)

- محمد الاسعد، اتخاذ القرار لدى الفلاحين في الأنظمة الرعي زراعية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب، مؤسسة دكالة عبدة للثقافة و التنمية، الدار البيضاء،2012.
- محمد نبو و محمد محي الدين، مداخلة تحت عنوان الانعكاسات الإيكو اقتصادية للتغيرات المناخية بالمجالات الواحية ورهان التدبير و الاستدامة "حالة واحة لكتاوة بإقليم زاكورة «،المؤتمر الوطني الثالث للجغرافيين الشباب جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء،2017
- سعيد الهينا، آثار التغيرات المناخية على البيئة المغربية و التدابير المتخذة على مستوى الميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة لمواجهتها، *رسالة الماستر في البيئة و التنمية المستدامة*، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، 2013-2014.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد التاسع والعشرون
كانون الثاني – يناير 2025
ISSN 2569-734X

Patrimoine, mémoire et identité

(Le cas de Maroc)

Najat Fares, Jamila Saidi

*Doctorante ** Professeur d'enseignement supérieur

Laboratoire de recherche : environnement littoral, patrimoine naturel, urbanisation, logistique et tourisme. Université Hassan II, Casablanca, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Mohammedia.

Résume :

Le thème du patrimoine en général est considéré comme l'une des recherches éminentes qui permettent d'explorer la relation entre patrimoine, mémoire, identité et territoire. Ces thèmes se concentrent sur l'analyse de la manière dont le patrimoine culturel et architectural, ainsi que les lieux et événements emblématiques, ont été utilisés pour construire des identités individuelles et collectives et façonner des territoires. Les sujets examinent également comment les questions de tourisme, de géopolitique et de communication influencent la façon dont la mémoire et l'identité sont utilisées dans le contexte du développement régional et de l'action publique. En somme, ces thématiques portent sur les différentes dimensions du rôle du patrimoine, de la mémoire et de l'identité dans la construction et l'aménagement du territoire.

Le thème du patrimoine, de la mémoire et de l'identité en particulier est très important car il concerne la préservation de notre patrimoine culturel, la transmission de nos traditions et de nos valeurs et la construction de notre identité individuelle et collective. Il est très important de réaliser l'importance de ces concepts dans la préservation de la diversité culturelle dans le monde et la préservation de la vie privée de chaque société.

Le patrimoine culturel est un témoignage du passé qui nous permet de mieux comprendre notre histoire et d'apprendre de nos erreurs. Par conséquent, les préserver est essentiel pour nous aider à construire notre avenir en nous appuyant sur nos racines. De même, la mémoire collective joue un rôle majeur dans la préservation de notre identité et de notre patrimoine culturel. Il permet de transmettre des valeurs et des traditions de génération en génération, créant un sentiment d'appartenance et de continuité.

Cependant, il est important de noter que le concept de patrimoine culturel est souvent lié aux discussions sur les biens culturels, l'appropriation culturelle et les droits des communautés

autochtones. Il est donc important de veiller à ce que la préservation du patrimoine culturel ne soit pas utilisée pour justifier des pratiques répressives ou des politiques d'exclusion.[236]

Bref, le thème du patrimoine, de la mémoire et de l'identité est crucial pour préserver la diversité culturelle mondiale et construire un avenir ancré dans notre histoire et notre identité culturelle.

Mots-clés : patrimoine", "mémoire" et "identité" : "mémoire historique" et "mémoire politique.

summary:

The theme of heritage in general is considered one of the eminent research areas that allow exploring the relationship between heritage, memory, identity, and territory. These themes focus on analyzing how cultural and architectural heritage, as well as iconic places and events, have been used to construct individual and collective identities and shape territories[237]. The subjects also examine how issues of tourism, geopolitics, and communication influence the way in which memory and identity are used in the context of regional development and public action. In short, these themes address the different dimensions of the role of heritage, memory, and identity in the construction and development of territory.

Heritage, memory, and identity, in particular, are very important themes because they concern the preservation of our cultural heritage, the transmission of our traditions and values, and the construction of our individual and collective identity. It is very important to realize the significance of these concepts in preserving cultural diversity in the world and the privacy of each society.

Cultural heritage is a testimony of the past that allows us to better understand our history and learn from our mistakes. Therefore, preserving them is essential to help us build our future based on our roots. Similarly, collective memory plays a major role in preserving our cultural heritage and identity. It allows us to transmit values and traditions from generation to generation, creating a sense of belonging and continuity.

However, it is important to note that the concept of cultural heritage is often linked to discussions about cultural property, cultural appropriation, and the rights of indigenous communities. Therefore, it is important to ensure that the preservation of cultural heritage is not used to justify repressive practices or exclusionary policies.

In short, the theme of heritage, memory, and identity is crucial for preserving global cultural diversity and building a future rooted in our history and cultural identity.

[236] Le patrimoine culturel et l'identité nationale au Maroc", Abdeljalil Akkari, dans la Revue des sciences humaines, 2014.

[3]Le patrimoine culturel immatériel au Maroc : entre reconnaissance internationale et revendications locales", Youssef Ait Akdim, dans la Revue Tiers Monde, 2015

Introduction:

La question patrimoniale, dans le cadre d'une réflexion en **t**ermes d'enjeux pour un projet d'agglomération, nécessite, avant même d'évoquer ces enjeux, de préciser quelques points. Qui dit patrimoine dit nécessairement rapport au temps, à la transmission, mais également **à** un processus de valorisation, souvent cumulatif. Les acceptions de ce terme l'inscrivent perpétuellement entre la préservation de la tradition, d'une part, et la construction actuelle d'un bien commun. Cette notion renvoie donc, sur ces bases, à notre capacité à nous inscrire individuellement et collectivement dans une durée et à partager ce bien commun qui structure ce que nous sommes, notre identité**. ** Ainsi patrimoine, mémoire et identité sont-ils profondément liés. Ceci mérite, ne serait-ce qu'en préambule, de se pencher sur les définitions de ces termes et leur évolution, ne serait-ce que pour mieux en percevoir l'actualité.

Les différentes acceptions du patrimoine et leurs paradoxes : entre tradition et modernité. Le mot "patrimoine" est d'abord issu du vocabulaire juridique. Son utilisation, dans les acceptions que nous lui connaissons**, remonte** au début des années 1970. Il est alors utilisé pour désigner l'ensemble des productions humaines à caractère artistique que le passé a laissées en héritage. Il vient s'opposer ainsi à d'autres expressions jugées trop restrictives dans leur contenu, ou limitées au seul contexte français telles que "Monuments historiques", notamment. À la fin des années 1970, le mot "patrimoine" va donc signifier la dimension collective de l'héritage à travers la désignation de monuments, d'objets et de lieux chargés d'une valeur indiscutée. Mais en fait, le concept n'a cessé d'évoluer depuis cette première phase marquée, en particulier, par l'action de **l'**État. On peut même dire qu'il est encore aujourd'hui en voie de formation.

Définition et importance du patrimoine :

Pourquoi le patrimoine ?

Valeur scientifique, de recherche et du savoir : Les techniques de construction et les matériaux utilisés confèrent aux bâtiments une valeur scientifique en raison de l'information qu'ils contiennent. Par exemple, l'origine des matériaux, les outils utilisés ou encore les traces d'interventions ou de modifications passées. Cette valeur est liée à la valeur éducative.

Valeur technique : La technologie utilisée pour la construction d'un site et sa contribution à l'avancement des techniques de construction à cette époque. La valeur technique peut aussi être liée aux systèmes environnementaux intégrés à la conception.

Valeur sociale : La signification d'un site historique pour une collectivité est sa valeur sociale. Un parc peut être apprécié par une collectivité sans égard à sa valeur historique ou architecturale. L'association d'un site à des événements ou des festivals peut aussi contribuer à sa valeur sociale.

Valeur locale distinctive : Une particularité qui rend le site différent de tout ce qui se trouve ailleurs, par exemple des matériaux ou des techniques de construction particuliers à une région.

Valeur émotionnelle : Les personnes qui utilisent ou visitent un bâtiment peuvent ressentir un attachement ou être émues devant la qualité de l'œuvre. Ainsi, on peut être attaché à un bâtiment de notre quartier ou être impressionné par la qualité exceptionnelle d'un emblème de notre milieu ou de notre société.[238]

Valeur symbolique : Érigés pour commémorer des événements historiques importants, les monuments ont souvent une valeur symbolique. La valeur symbolique peut changer avec le temps (selon les événements et la politique) ; elle peut aussi être modifiée par les nouvelles générations, qui n'ont pas les mêmes références.

Valeur religieuse/spirituelle : Pour les pratiquants, les lieux de culte ont une valeur intrinsèque. La valeur spirituelle et religieuse peut aussi s'appliquer à des éléments de la nature, des routes de pèlerinage ou d'anciens lieux de culte qui ont maintenant un nouvel usage.

II. Le patrimoine marocain.

Le patrimoine marocain se compose de nombreux éléments culturels, historiques et architecturaux, tels que les médinas (villes anciennes fortifiées), les kasbahs (châteaux fortifiés), les palais, les mosquées, les jardins, les souks (marchés traditionnels) et les festivals. Ces éléments reflètent l'histoire riche et diverse du Maroc, ainsi que sa culture unique, qui est influencée par les Berbères, les Arabes, les Andalous et les Européens.

La mémoire marocaine est également très importante. Le pays a une histoire riche et complexe qui remonte à des milliers d'années. Les traces de cette histoire peuvent être observées dans les monuments et les sites archéologiques du pays, tels que les ruines romaines de Volubilis, les tombeaux saadiens de Marrakech et les vestiges de la ville romaine de Lixus.

Enfin, l'identité marocaine est marquée par sa diversité culturelle et linguistique, ainsi que par sa religion dominante, l'islam. Le Maroc a également une forte tradition de tolérance et de coexistence entre les différentes communautés religieuses et culturelles, qui est reflétée dans sa Constitution et dans la vie quotidienne des Marocains[239].

En somme, le Maroc est un pays qui prend soin de son patrimoine, de sa mémoire et de son identité, en les préservant et en les célébrant. Cela contribue à renforcer le sentiment d'appartenance des Marocains à leur pays et à leur culture, ainsi qu'à promouvoir leur diversité et leur ouverture sur le monde.

Exemples de sites patrimoniaux au Maroc.

[238] Le patrimoine culturel immatériel au Maroc : entre reconnaissance internationale et revendications locales", Youssef Ait Akdim, dans la Revue Tiers Monde, 2015

[6] Le patrimoine culturel immatériel au Maroc : entre reconnaissance internationale et revendications locales", Youssef Ait Akdim, dans la Revue Tiers Monde, 2015

Il y a de nombreux sites au Maroc qui témoignent de son patrimoine, de sa mémoire et de son identité. Voici quelques exemples.

•La médina de Fès : cette ville ancienne est considérée comme le cœur culturel du Maroc, avec ses rues étroites et sinueuses, ses souks animés, ses palais et ses mosquées.

•La kasbah d'Ait Ben Haddou : située dans la région du sud du Maroc, cette kasbah est un exemple remarquable d'architecture traditionnelle marocaine en terre.

•Les tombeaux saadiens de Marrakech : ces tombeaux datent du XVIe siècle et sont un exemple de l'architecture mauresque marocaine.

•La mosquée Hassan II à Casablanca : cette mosquée est l'une des plus grandes du monde et est un symbole de l'architecture et de l'art islamique marocains.

•Les ruines romaines de Volubilis : situées près de la ville de Meknès, ces ruines témoignent de l'histoire romaine du Maroc.

•Le jardin Majorelle à Marrakech : ce jardin botanique est un exemple de la beauté naturelle du Maroc, avec ses plantes exotiques et sa fontaine bleue éclatante.

Histoire du Maroc.

Le Maroc est un carrefour de plusieurs civilisations. Peuplé dès la préhistoire par les Amazighs, il a connu à des degrés variés l'influence des civilisations phénicienne, carthaginoise, romaine, vandale, byzantine et arabe, ce qui a permis au Maroc de se forger une identité culturelle plurielle[240]

Du VIIIème au XVème siècle, le Maroc était un haut lieu de l'histoire de l'humanité, interagissant avec Al-Andalous, terre de coexistence pacifique entre les peuples des trois religions monothéistes. Cette période s'est caractérisée par les travaux de grands penseurs et savants, dont notamment Al-Bakri, Charif Al Idrissi, Moïse Maïmonide, Ibn Rochd – Averroès –, Ibn Khaldoun et Hassan al-Wazzan – Léon l'Africain. L'ouverture du Maroc sur le monde s'est distinguée également par les voyages à l'étranger d'explorateurs illustres, tels que Ibn Battouta. Elle s'est consolidée avec l'établissement de liens de coopération étroite avec des puissances comme l'Angleterre, pays avec lequel le Maroc a huit siècles de relations diplomatiques.

À partir du XVème siècle, le Maroc s'est replié sur lui-même du fait, au nord, de la fin de l'ère musulmane en Andalousie et, à l'est, de la présence de l'Empire Ottoman. Face à cette situation, le Maroc a donné, à partir du XVIème siècle, la priorité à l'ouverture sur l'Afrique.

Il a fallu attendre la deuxième moitié du XVIIème siècle pour que le Maroc s'ouvre de nouveau sur le monde, avec la construction d'un nouveau port à Essaouira et la restauration d'autres ports

[240] Institut Royal pour la Recherche sur l'Histoire du Maroc : Chronologie de l'Histoire du Maroc : des temps préhistoriques à la fin du XXème siècle (2013).

ISSN 2569-734X

sur l'Atlantique, notamment le port de Casablanca. Par ailleurs, le Maroc a été le premier pays au monde à reconnaître l'indépendance des États-Unis en 1777 et a établi avec la Russie des relations commerciales en 1778. À partir du XIXème siècle, des Marocains se sont installés en Afrique et en Europe. Des liens ont été tissés avec les nouvelles Républiques d'Amérique du Sud grâce, particulièrement, aux Marocains de confession juive.

L'ouverture historique du Maroc aux peuples et civilisations étrangères

L'histoire du voisinage.

Depuis l'Antiquité, plusieurs civilisations ont interagi en Afrique du Nord, nourrissant ainsi une appétence naturelle du Maroc pour le dialogue avec les autres peuples. Le Maroc est l'un des rares pays à avoir préservé son indépendance pendant plus d'un millénaire, du VIIIème au XXème siècle. En outre, il constitue l'un des premiers États-nations du monde[241]

L'empire Almoravide s'étendait au début du XIIème siècle du fleuve Sénégal au centre de la péninsule ibérique. Le Maroc développa des capacités manifestes à intégrer des territoires et des peuples aussi différents que ceux de l'Afrique subsaharienne et de l'Occident. Les fortes interactions nouées entre le Maroc et l'Espagne, au temps d'Al-Andalous, irriguent encore aujourd'hui les relations entre les deux pays.

Figure 1 Les empires almoravide et almohade

[241] Institut Royal pour la Recherche sur l'Histoire du Maroc : Chronologie de l'Histoire du Maroc : des temps préhistoriques à la fin du XXème siècle (2013).

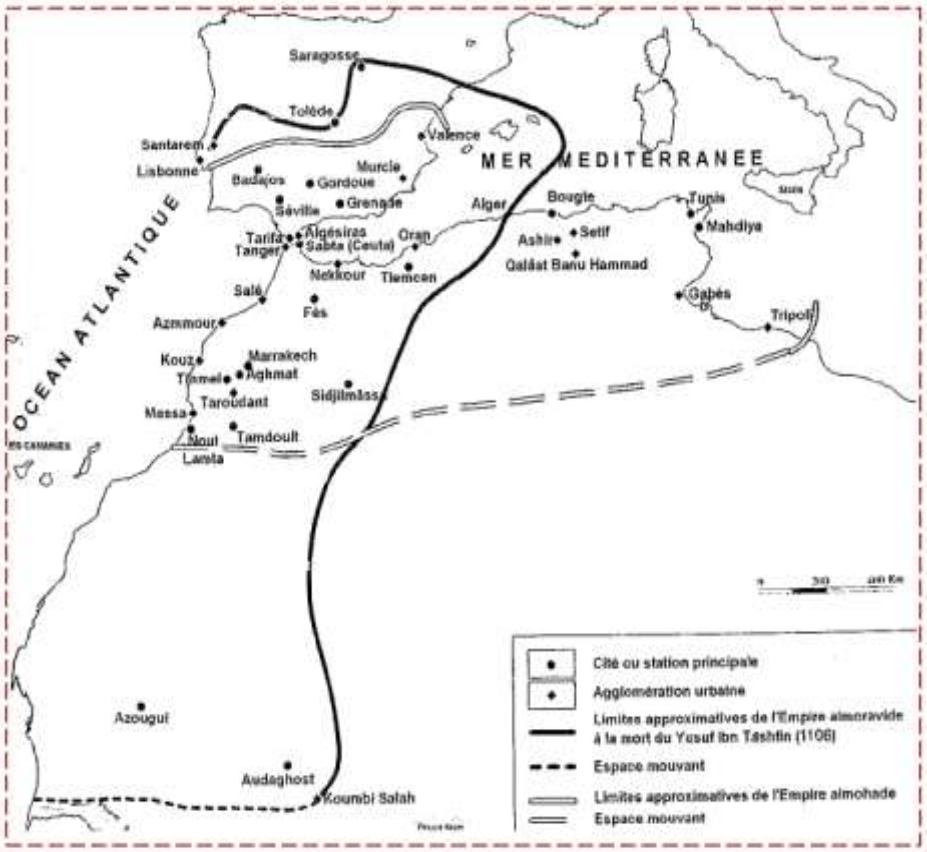

Source : IRRHM Institut Royal pour la Recherche sur l'Histoire du Maroc

Algérie

Soutien multiforme du Maroc à la résistance algérienne dans sa lutte pour l'indépendance[242].

• Établissement des relations diplomatiques entre le Royaume du Maroc et la République d'Algérie le 1 er octobre 1962.

• Guerre des Sables en 1963 et différends politiques avec l'Algérie, en raison de sa position concernant la question du Sahara marocain depuis 1975.

Espagne

• Fermeture des frontières avec le Maroc par l'Algérie en 1994

• Signature le 11 février 1957 du traité diplomatique entre le Maroc et l'Espagne.

[9] Le patrimoine culturel et l'identité nationale au Maroc", Abdeljalil Akkari, dans la Revue des sciences humaines, 2014.

• Accord de Madrid de 1975, établissant les conditions de retrait de l'Espagne du Sahara marocain.

• Signature en 1991 du traité d'amitié et de bon voisinage entre les deux pays

Mauritanie.

• Reconnaissance de l'indépendance de la Mauritanie par le Maroc en 1969, avec établissement en 1970 des relations diplomatiques entre les deux pays.

• Ambivalence des relations bilatérales, en lien avec la position mauritanienne à l'égard de la question du Sahara marocain.

L'histoire de l'appartenance arabo-musulmane

L'Islam a été introduit au Maroc au VIIème siècle. Une grande partie de la population du Maroc est devenue musulmane.

Le Maroc a entretenu des relations politiques, économiques et spirituelles continues avec les pays du Moyen-Orient depuis lors. Dès le Moyen-Age, l'action marocaine fut marquée par l'appui résolu et solidaire du Maroc aux autres nations arabo-musulmanes :

• face aux Croisés dans les pays du Levant,

• face à la Reconquista qui menaçait Al Andalus,

• face à la France, en soutenant l'émir Abdelkader en Algérie. Le Maroc s'est inlassablement engagé sur la voie de l'affermissement de ses relations historiques, culturelles et de coopération avec les pays arabo-musulmans. Ainsi, certains grands rendez-vous de la coopération entre les Etats arabo-musulmans se sont déroulés au Royaume :

• Le 25 septembre 1969, plusieurs dirigeants de pays à majorité musulmane se sont réunis à Rabat, suite à l'incendie de la mosquée Al-Aqsa pour créer l'Organisation de la Coopération Islamique[243].

• Depuis son adhésion à la Ligue arabe le 1 er octobre 1958, le Maroc a abrité six sommets arabes (1965, 1969, 1974, 1981, 1985 et 1989).

Figure2 La Ligue arabe

Figure3 Le Maroc et le monde arabo-musulman

[10]Institut Royal pour la Recherche sur l'Histoire du Maroc : Chronologie de l'Histoire du Maroc : des temps préhistoriques à la fin du XXème siècle (2013).

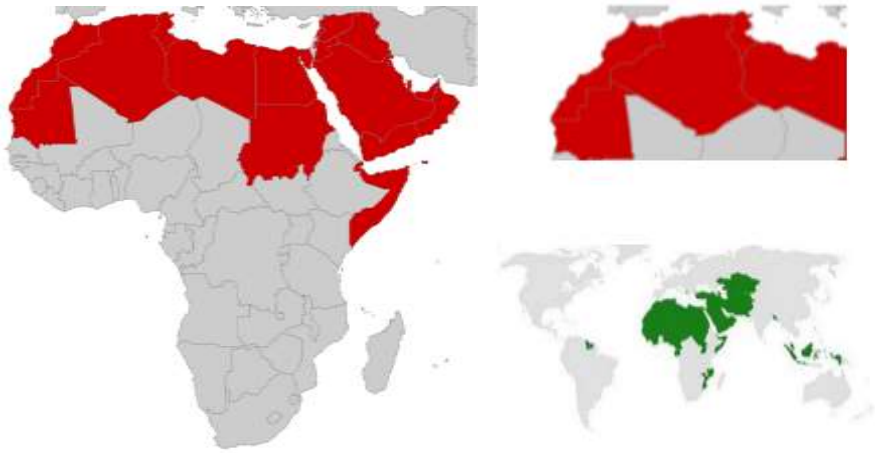

Source : Source : IRES

Source : atlas-historique.net

L'histoire de l'appartenance africaine

Au cours du Paléolithique inférieur (environ un million d'années), Homo erectus a peuplé la quasi-totalité du Maroc. C'est sur le site archéologique de Carrière Thomas 1 à Casablanca qu'un outillage datant de cette période a été découvert. De plus, la moitié des fossiles d'Afrique du Nord a été découverte au Maroc. La relation du Maroc avec l'Afrique est restée liée aux transformations qu'a connues le Sahara qui a fait l'objet de mouvements de migration humaine et d'échanges entre le nord et le sud. Le Maroc a toujours entretenu des relations étroites avec l'Afrique subsaharienne, à travers le commerce caravanier.

• Du XIème au début du XVIIIème siècle, les dynasties qui se sont succédées ont unifié un espace politique et civilisationnel, centré sur le Maroc et étendu jusqu'au fleuve Sénégal et Niger[244].

• Le Maroc s'est engagé, depuis son Indépendance, sur la voie du soutien aux mouvements de libération dans le continent africain et de l'appui résolu et solidaire au mouvement de lutte contre l'apartheid en Afrique du Sud.

• Le Maroc est membre fondateur de l'Organisation de l'unité africaine (aujourd'hui Union africaine), créée en 1963 à Addis-Abeba.

Figure 4 : Le Maroc au XVII-XVIIIème siècle

Sahara, espace d'échanges

[11] B. LUGAN, Histoire de l'Afrique des origines à nos jours (Editions Ellipses, 2009).

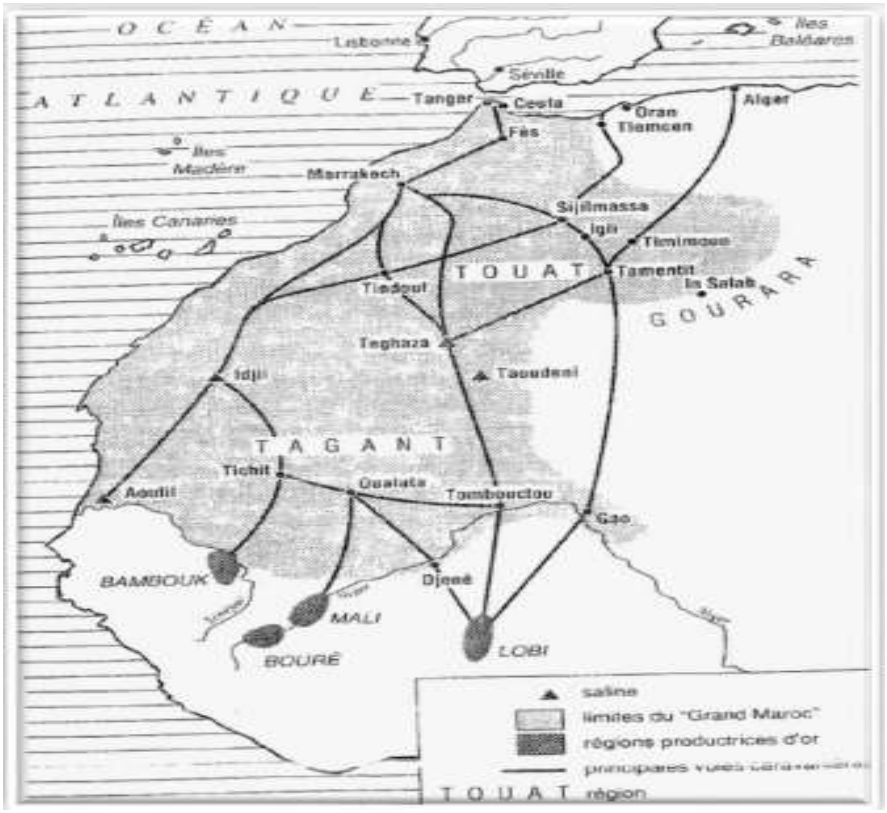

Source : IRRHM Institut Royal pour la Recherche sur l'Histoire du Maroc

L'histoire de l'appartenance euro-méditerranéenne

Une richesse et un patrimoine culturel communs lient le Maroc à l'espace euro-méditerranéen depuis l'Antiquité (3000 ans d'histoire commune) :

• Plusieurs populations venues du pourtour méditerranéen se sont installées en Afrique du Nord depuis l'Antiquité (Grecs, phéniciens, hébreux, romains, vandales et byzantins)[245].

• Du VIIIème au VIème siècle avant Jésus-Christ, il est à noter la présence de comptoirs phéniciens sur les côtes marocaines.

• La Maurétanie Tingitane fut une province romaine pendant plusieurs siècles. Dès le VIIIème siècle, le Maroc a joué un rôle influent en Méditerranée occidentale :

• Huit siècles d'ouverture sur l'Andalousie et les Etats du bassin occidental en Méditerranée.

• Du XIème au XIVème siècle, une succession de dynasties : almoravide, almohade et mérinide ont unifié les deux rives du détroit de Gibraltar (Andalousie).

[12] E. LEVI PROVENCAL, Maroc, Atlas historique, géographique et économique, Edition Horizon de France, 1935.

"Le patrimoine culturel et l'identité nationale au Maroc", Abdeljalil Akkari, dans la Revue des sciences humaines, 2014

• Du XVème au XIXème siècle, le Maroc constitue avec l'Espagne, la France et les Royaumes d'Italie les 4 seules puissances capables de faire face à l'expansionnisme ottoman en Méditerranée[246].

Figure 5 : L'empire romain en 117

Source : Geographical Tour

[13]E. LEVI PROVENCAL, Maroc, Atlas historique, géographique et économique, Edition Horizon de France, 1935.

Figure 6 : Le Sultan du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdellah[247]

L'histoire de l'ouverture du Maroc sur l'Amérique

• Amérique du Nord : le Maroc est le premier pays au monde à avoir reconnu l'indépendance des États-Unis 1777. Un traité de paix a été conclu entre les deux pays en 1786 sous le règne du Sultan Sidi Mohammed Ben Abdellah.

• Amérique du Sud : les Marocains ont été les premiers citoyens de l'orient à amorcer des liens entre le Maroc et les nouvelles républiques d'Amérique du Sud, au début du XIXème siècle. Les relations avec le Brésil ont été officialisées en 1890

vue de géographie du Maroc 2-3 (1928).

Source : IRRHM Institut Royal pour la Recherche sur l'Histoire du Maroc

L'histoire de l'ouverture du Maroc sur l'Asie

Chine : les relations marchandes entre le Maroc et la Chine remontent au Moyen-Age : en 1336, le chinois Wang DAYUAN se rendit au Maroc tandis qu'Ibn Battouta effectuait un voyage en Chine en 1345. Les relations diplomatiques entre le Maroc et la République Populaire de Chine ont été officiellement établies en 1958.

• Inde : les relations entre l'Inde et le Maroc datent du XIVème siècle et du voyage d'Ibn Battouta en Inde. Ses écrits sur la société indienne médiévale constituent une source importante d'information historique. Dans l'histoire moderne, l'Inde avait fortement soutenu le processus de libération du Maroc du protectorat français et avait reconnu l'Indépendance du Royaume en 1956. Les missions diplomatiques, de part et d'autre, ont été établies en 1957.

• Indonésie : les premiers liens entre le Maroc et l'Indonésie ont été tissés durant la phase de préparation de la Conférence de Bandung en 1955, ayant constitué une source d'inspiration pour les pays africains et asiatiques, aspirant à l'indépendance. Les relations officielles ont été établies en 1960.

Le patrimoine d'un pays, d'une région ou d'une ville est le reflet du passé, y compris le métissage de différentes cultures et civilisations, y compris la période historique d'ouverture, mais surtout du présent. Elle questionne ce que nous estimons important de transmettre aux générations futures. Le patrimoine historique peut appartenir à une famille, un village, une tribu, une civilisation, une nation, ou à l'ensemble de l'humanité.

L'UNESCO est la principale organisation de gestion du patrimoine classé au niveau international. Mais au Maroc comme ailleurs,[248] les expressions d'ouverture historique qui ont contribué à l'enrichissement de sa mémoire urbaine et politique se font sentir dans la présence d'autres organisations valorisant certains sites et organisant leur entretien et leur gestion.

L'importance stratégique de la mémoire politique marocaine dans le présent réside dans plusieurs facteurs clés qui ont façonné le positionnement du Maroc sur la scène internationale depuis le XXe siècle. Parmi ces éléments stratégiques figurent :

1. **Position géographique centrale :** Le Maroc occupe une position stratégique au carrefour des continents européen et africain, avec une projection sur le monde arabe. Cette géographie unique place le Maroc au centre des préoccupations des grandes puissances, notamment en matière de sécurité dans le Détroit de Gibraltar, de stabilité politique au sud de la Méditerranée, ainsi que dans la lutte contre le terrorisme et le crime organisé au Sahel.
2. **Comportement international fondé sur la modération :** Le Maroc a adopté une politique étrangère marquée par la modération politique et religieuse. Cette approche a permis au Royaume de jouer un rôle de médiateur privilégié et de pont entre le monde musulman et l'Occident, favorisant le dialogue et la coopération dans des contextes parfois tendus.
3. **Sensibilité aux questions globales :** Le Maroc manifeste une sensibilité accrue aux défis globaux contemporains tels que le développement humain, la sécurité mondiale, le changement climatique, ainsi que la promotion d'un ordre international équitable et juste. Cette implication active renforce son rôle en tant qu'acteur responsable sur la scène internationale.
4. **Choix judicieux pour le développement :** Le Maroc a fait des choix stratégiques en développant des secteurs économiques porteurs, contribuant ainsi à l'émergence d'une nation moderne tout en préservant ses valeurs et traditions ancestrales. Cette approche permet au Maroc de concilier modernité et héritage culturel, renforçant ainsi son attractivité et son influence sur la scène mondiale.

En somme, la mémoire politique du Maroc, forgée par son histoire et ses choix stratégiques, joue un rôle essentiel dans la consolidation de sa position sur l'échiquier international, faisant du pays non seulement un acteur clé dans son environnement régional mais aussi un partenaire recherché pour la coopération globale.

Les enjeux patrimoniaux au Maroc sont divers et cruciaux pour préserver l'histoire et l'identité culturelle du pays.

Le patrimoine marocain est extrêmement riche et diversifié, reflétant la longue et riche histoire de ce pays d'Afrique du Nord. Les défis liés au patrimoine au Maroc sont nombreux et variés, allant de la conservation et la restauration des sites archéologiques aux complexités de la gestion des villes historiques et des monuments religieux.

---

[248] "Le patrimoine culturel et l'identité nationale au Maroc", Abdeljalil Akkari, dans la Revue des sciences humaines, 2014

Voici quelques-uns des principaux enjeux patrimoniaux au Maroc :

1. **Conservation et restauration des sites archéologiques :** Le Maroc abrite plusieurs sites archéologiques importants tels que les ruines romaines de Volubilis et les vestiges de la civilisation islamique à Fès et Marrakech. La préservation de ces sites est essentielle pour préserver la mémoire et l'histoire du pays.
2. **Gestion des villes historiques :** Les villes historiques marocaines comme Fès, Marrakech et Rabat sont renommées pour leurs monuments architecturaux uniques et leurs quartiers anciens. Cependant, la gestion de ces villes est souvent complexe en raison de problèmes tels que la surpopulation, la pauvreté et le besoin d'infrastructures modernes.
3. **Protection des monuments religieux :** Le Maroc compte de nombreux monuments religieux significatifs, notamment les mosquées historiques de Casablanca, Fès et Marrakech. La préservation de ces monuments est cruciale pour sauvegarder la culture et les traditions religieuses du pays.
4. **Conservation des oasis et des ksour :** Les oasis et ksour (villages fortifiés) marocains représentent un élément essentiel du patrimoine culturel et environnemental du pays. Cependant, ces sites sont souvent menacés par la désertification, la pression foncière et le manque d'infrastructures de base.
5. **Promotion du tourisme culturel durable :** Le tourisme culturel joue un rôle vital dans l'économie marocaine, mais il peut aussi avoir des impacts négatifs sur le patrimoine culturel et naturel. Il est donc crucial de promouvoir un tourisme durable qui respecte les sites historiques et culturels du pays.

En somme, les enjeux patrimoniaux au Maroc sont multiples et complexes. La préservation et la valorisation du patrimoine culturel et naturel du pays nécessitent une approche intégrée impliquant les autorités locales, la société civile, les acteurs économiques et les citoyens. Le patrimoine est non seulement porteur de mémoire et d'identité, mais aussi un symbole crucial de l'identité nationale et de la diversité culturelle marocaine.

ISSN 2569-734X

Concluions :

Cet article met en lumière l'importance du patrimoine, de la mémoire et du territoire dans l'enrichissement urbain et l'ouverture historique. Le patrimoine joue un rôle central mais souvent contesté, source de conflits mémoriels et d'enjeux de pouvoir. Utilisé comme vecteur du récit national par les autorités publiques et exploité à des fins politiques pour renforcer la cohésion sociale et l'identité collective, il est également perçu par des acteurs privés comme une ressource économique à travers le développement et le tourisme.

L'avenir du patrimoine est étroitement lié aux enjeux économiques et à une vision parfois utilitaire. Pourtant, sa valeur réside aussi dans sa capacité à transmettre l'histoire et à préserver l'identité culturelle. La gestion, l'entretien et la promotion des ressources patrimoniales doivent être intégrés dans le cadre des politiques et des récits historiques officiels, tout en répondant aux besoins contemporains.

Le patrimoine culturel et naturel du Maroc, riche et diversifié, témoigne de l'histoire et de la culture profondes de ce pays d'Afrique du Nord. Sa conservation et sa valorisation sont cruciales non seulement pour préserver la mémoire collective mais aussi pour promouvoir un tourisme durable et créer des opportunités économiques dans les secteurs culturels et créatifs.

La préservation de ce patrimoine nécessite une approche holistique impliquant les autorités locales, la société civile, les acteurs économiques et les citoyens. Des politiques publiques efficaces, des programmes de sensibilisation et des partenariats internationaux sont essentiels pour assurer une gestion durable et une protection efficace du patrimoine marocain.

En somme, le patrimoine culturel et naturel du Maroc est un pilier essentiel de son identité collective et de sa mémoire. Sa sauvegarde et sa valorisation sont indispensables pour un développement durable et pour promouvoir la diversité culturelle et environnementale, contribuant ainsi à renforcer l'unité et la fierté nationales.

Bibliographie

Ouvrages:

- Cap Gemini, World wealth Report 2018.
- Institut Royal pour la Recherche sur l'Histoire du Maroc : Chronologie de l'Histoire du Maroc : des temps préhistoriques à la fin du XXème siècle (2013).
- Institut Royal pour la Recherche sur l'Histoire du Maroc : Histoire du Maroc, réactualisations et synthèse (2011).
- B. LUGAN, Histoire de l'Afrique des origines à nos jours (Editions Ellipses, 2009).
- Chevallier D. & A. Morel, 1985, "Identité culturelle et appartenance régionale : quelques orientations de recherche", Terrain, n° 5, pp. 3-5
- E. LEVI PROVENCAL, Maroc, Atlas historique, géographique et économique, Edition Horizon de France, 1935.
- R. Ricard, "Des juifs marocains en Amérique du Sud, Revue de géographie du Maroc 2-3 (1928).
- Le patrimoine culturel au Maroc : enjeux, défis et perspectives", Ahmed Skounti, dans la Revue de l'Institut des études africaines, 2017.
- "Le patrimoine culturel immatériel au Maroc : entre reconnaissance internationale et revendications locales", Youssef Ait Akdim, dans la Revue Tiers Monde, 2015.
- "Le patrimoine culturel marocain : état des lieux, enjeux et défis", Mohamed El Faïz, dans la Revue marocaine des sciences sociales, 2016.

- "Patrimoine, mémoire et identité : le cas de la médina de Marrakech", Meryem Belkaid, dans la Revue marocaine des sciences sociales, 2014.

- "Le patrimoine culturel et l'identité nationale au Maroc", Abdeljalil Akkari, dans la Revue des sciences humaines, 2014.

- BESNARD M.-P. (2008), *La mise en valeur du patrimoine culturel par les nouvelles technologies,* Schedae, prépublication n° 10.

- BOUISSET C., DEGREMONT I. (2015), « Postface. Mémoire du patrimoine ou patrimoine aide-mémoire ? », *in Mémoire et nouveaux patrimoines*, Marseille, OpeneditionPress, http://books.openedition.org/oep/460,
  doi : https://doi.org/10.4000/books.oep.460
  DOI : 10.4000/books.oep.460

- BOURGEAT S., BRAS C. (2019), « Patrimonialisation », *Géoconfluences*, http://geoconfluences.ens-lyon.fr/glossaire/patrimonialisation

- BRIGNON J., AMINE A., BOUTALEB B., MARTINET G., ROSENBERGER B. & TERRASSE M. (1967), *Histoire du Maroc*, Hatier, Paris, Librairie Nationale, Casablanca.

- BUSKENS L. (2021), « Invitation au voyage », *in* HOGERVORST B. (dir.), *La maison d'Iligh. Un carrefour historique entre Tombouctou, le Maroc et l'Europe,* Ed. Maison de la Photographie de Marrakech, pp. 4-6.
- CHOAY F. (1988), *L'allégorie du patrimoine,* Paris, Seuil.
- COURLET C., PECQUEUR B. (1996), « Districts industriels, systèmes productifs localisés et développement », *in* ABDELMALKI L., COURLET C. (dir.), *Les nouvelles logiques du développement*, Paris, L'Harmattan, pp. 91-101.
- DAVALLON J. (2015), « Mémoire et patrimoine : pour une approche des régimes de patrimonialisation », *in* TARDY C., DODEBEI V. (eds.), *Mémoire et nouveaux patrimoines,* Marseille, Openedition Press, doi : 10.4000/books.oep.444 DOI : 10.4000/books.oep.444
- DE MAS P. (2021), « La relation tumultueuse entre la Maison d'Illigh et les chorfas alaouites, dans le XVII^{e} siècle », *in* HOGERVORST B. (dir.), *La maison d'Iligh. Un carrefour historique entre Tombouctou, le Maroc et l'Europe,* Ed. Maison de la Photographie de Marrakech, pp. 27-30.
- DURKHEIM E. (1986 [1897]), *Le suicide*, Paris, Presses Universitaires de France, Coll. « Quadrige ».
- EL ANBI A. (2021), *Les représentations de l'identité marocaine et l'action politique chez les jeunes,* Thèse de Doctorat, Université Hassan II de Casablanca.
- EL ANSARI R. (2013), « Patrimoine et développement régional au Maroc », *in Culture, patrimoine et savoir : actes du 50^{è} colloque de l'Association des Sciences Régionales de Langue Française (ASRDLF),* Mons, ASRDLF.
- FAOUZI H. (2019), « Hydraulic heritage of the upstream Souss, Morocco : untapped territorial resource », *Journal of Tourism and Heritage Research, 2-3*, pp. 491-515.
- FAOUZI H. (2021), « Le territoire et son patrimoine entre mémoire, identité, enjeux politiques et développement local : cas de l'héritage colonial espagnol à Sidi Ifni, Maroc », *in* FAOUZI H., LAZZAROTTI O., *Patrimoine, tourisme et territoire*, Paris, Ed. L'Harmattan, pp. 25-51.
- FOJUT N. (2009), « Les origines philosophiques, politiques et pratiques de la convention », *in Le patrimoine et au-delà*, Editions du Conseil de l'Europe, https://rm.coe.int/16806abdeb
- FRANÇOIS H., HIRCZAK M. & SENIL N. (2006), « Territoire et patrimoine : la co-construction d'une dynamique et de ses ressources », *Revue d'Economie Régionale et Urbaine, 5*, pp. 683-700. DOI : 10.3917/reru.065.0683

L'impact humain sur la formation des travertins actuels : le cas du centre de Ras Elma (Sud de Taza, Maroc)

Lahrichi Kamal[1], Fattasse Hamid[1], Makhchane Mohamed[2], Okacha Abdelmonaim[3], Briouel Redouane[4], Gartet Jaouad[1].

1. Département de la Géographie, Université sidi Mohamed ben Abdellah, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines sais, Fès, Maroc.
2 Département de la Géographie, Université Mohamed V, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Rabat, Maroc.
3 Département de la Géographie, Université Cadi Ayyad, Faculté des lettres et sciences humaines, Marrakech.
4 Département de la Géographie, Université sidi Mohamed ben Abdellah, Faculté polydisciplinaire de Taza.

Résumé :

Le site de Ras Elma, au sud de la ville de Taza, se distingue par des formations travertineux importantes, dont la plupart remontent au Quaternaire récent. Ces formations se divisent en trois types principaux selon l'approche de Jean Casanova (1981) : les travertins des sources, des cascades et des vallées. Tous ces types sont actuellement présents dans le centre de Ras Elma. Cette diversité travertineux s'est formée et continue de se former grâce aux eaux de la source de Ras Elma, riches en carbonate de calcium. L'origine de ces eaux est liée à un système hydrogéologique particulier associé au haut bassin du Chikker, où des systèmes karstiques uniques permettent un écoulement souterrain.

L'installation humaine dans le centre de Ras Elma, depuis la période coloniale jusqu'à aujourd'hui, a eu un impact considérable sur le processus de formation des travertins dans la région, influençant ainsi les mécanismes contribuant à leur formation. Agricoles apporté des changements importants, notamment en divisant les eaux de la source entre les différents utilisateurs, en canalisant les eaux à travers des conduites en béton pour irriguer les terres agricoles, et en exerçant une pression directe en supprimant les anciennes masses travertineux. Cet article se concentre sur l'examen des différents impacts humains sur ces formations dans la région.

Mots clés : Travertins, Ras elma, source, système karstique.

ملخص:

يتميز موقع رأس الماء بجنوب مدينة تازة بتشكيلات رصراصية مهمة تعود معظمها إلى العصر الرباعي الحديث، وهي تتخذ ثلاث أنواع رئيسية وفقًا لمقاربة الباحث كازانوفا 1981م، وهي رصراصة العيون، رصراصة الشلالات، ورصراصة الأودية. جميع هذه الأنواع موجودة حاليًا بمركز رأس الماء. هذا التنوع الرصراصي تشكل ولا يزال يتشكل بفضل مياه عين رأس الماء الغنية بكربونات الكالسيوم، ويعود مصدر هذه المياه إلى نظام هيدروجيولوجي مميز مرتبط بعالية حوض الشيكر الذي تنتشر فيه أنظمة كارستية فريدة تسمح بالجريان الباطني.

استقرار الإنسان في مركز رأس الماء منذ الفترة الاستعمارية إلى اليوم أدى إلى تأثير كبير على عملية تشكيل الرصراصة في المنطقة، وبالتالي التأثير على الآليات المساهمة في تشكيلها. فقد قام الإنسان بإحداث تغييرات مهمة بدءًا بتقسيم مياه العين بين مختلف المستخدمين، ثم تحويل مياه العين عبر قنوات إسمنتية لري الأراضي الزراعية، بالإضافة إلى الضغط المباشر عبر إزالة الكتل الرصراصية القديمة. سنقتصر من خلال هذا المقال على التعرف على مختلف أوجه التأثيرات التي أحدثها الإنسان على هذه التشكيلات في المنطقة.

الكلمات المفاتيح: رصراصة، رأس الماء، عين، نظام كارستي.

Introduction:

De nombreuses définitions du travertin sont présentes dans la littérature (Lohest & Forir, 1903 ; Casanova, 1981 ; Lang, 1981 ; Muxart, 1981 ; Choppy, 1985 ; Ford & Williams, 1989 ; Pentecost, 2004), variant considérablement selon les domaines de recherche dans lesquels il est étudié. Le travertin peut être décrit comme une roche sédimentaire calcaire continentale, dense, finement cristalline, compacte ou massive, mais souvent à l'apparence concrétionnée, plus ou moins poreuse, de couleur grise à jaunâtre et grossièrement stratifiée, formée par la précipitation rapide de carbonate de calcium due à l'agitation de l'eau ou à l'évaporation (Foucault & Raoult, 1980). À cette description, il convient également d'ajouter l'influence des algues encroûtantes dans la formation du travertin.

Au Maroc, ces dépôts ont été largement étudiés par de nombreux chercheurs, avec des travaux portant sur les karsts, les calcaires lacustres, palustres, les tufs et les travertins, comme ceux de L. Mathieu (1964), Robillard (1978), Martin (1981), M. Ahmamou (1987), B. Akdim (1991), D. Fassi (1993), A. Baali (1998), L. Gourari (2001), L. Rousseau et al. (2008), C. Falguères (2013), et H. El Asmi (2023).

Par ailleurs, la zone de Ras Elma (sud de Taza) se caractérise par l'existence d'édifices travertineux importants et variés. Ainsi, de nombreux facteurs naturels entrent en jeu dans leur formation géologique dans cette zone, notamment la dominance des roches calcaires et calcaires-dolomitiques solubles. En outre, cette zone bénéficie d'un climat méditerranéen très favorable. De plus, une précipitation importante, en particulier en hiver, s'étend de novembre à avril, et la température reste modérée et appropriée. En ce qui concerne le couvert végétal, il est très dense, notamment aux bords de l'Oued El Heddar, où dominent des plantes telles que les mousses et les ripisylves, qui jouent un rôle essentiel dans la précipitation et dans la fixation du travertin, ce qu'on appelle, scientifiquement parlant, l'opération de la photosynthèse (l'absorption de CO2). D'ailleurs, la topographie de la zone d'étude, où les pentes et les altitudes sont fortement marquées, s'étend de la source de Ras Elma à la confluence de l'Oued El Heddar avec l'Oued Banon. Cette topographie joue un rôle important dans la précipitation du travertin sous l'effet du changement des conditions de turbulence et d'oxygénation des eaux, c'est-à-dire le passage d'un ruissellement calme à un ruissellement fort et accéléré.

1-Localisation de la zone d'étude :

Le bassin versant de Ras Elma se trouve au niveau de la région de Taza entre le Moyen Atlas au sud et les nappes du Prérif au nord. Il est limité de la part d'Ouest par l'oued moukada et oued dfali à l'Est. Il s'étend sur la majeure partie

de la montagne du moyen atlas plissé. Sa superficie est de 40,29km, se localise entre les latitudes (34°-34°15' Nord) et les longitudes (4°10'-4°30' Est).

Administrativement, la zone d'étude fait partie de la région de Taza qui à son tour appartient de la région de Fès-Meknès (fig.1) selon le dernier découpage administratif de 2014. Ce bassin versant contient un Réseau Routier (507) qui relie la commune rurale de Ras Elma par la ville de Taza (fig.1).

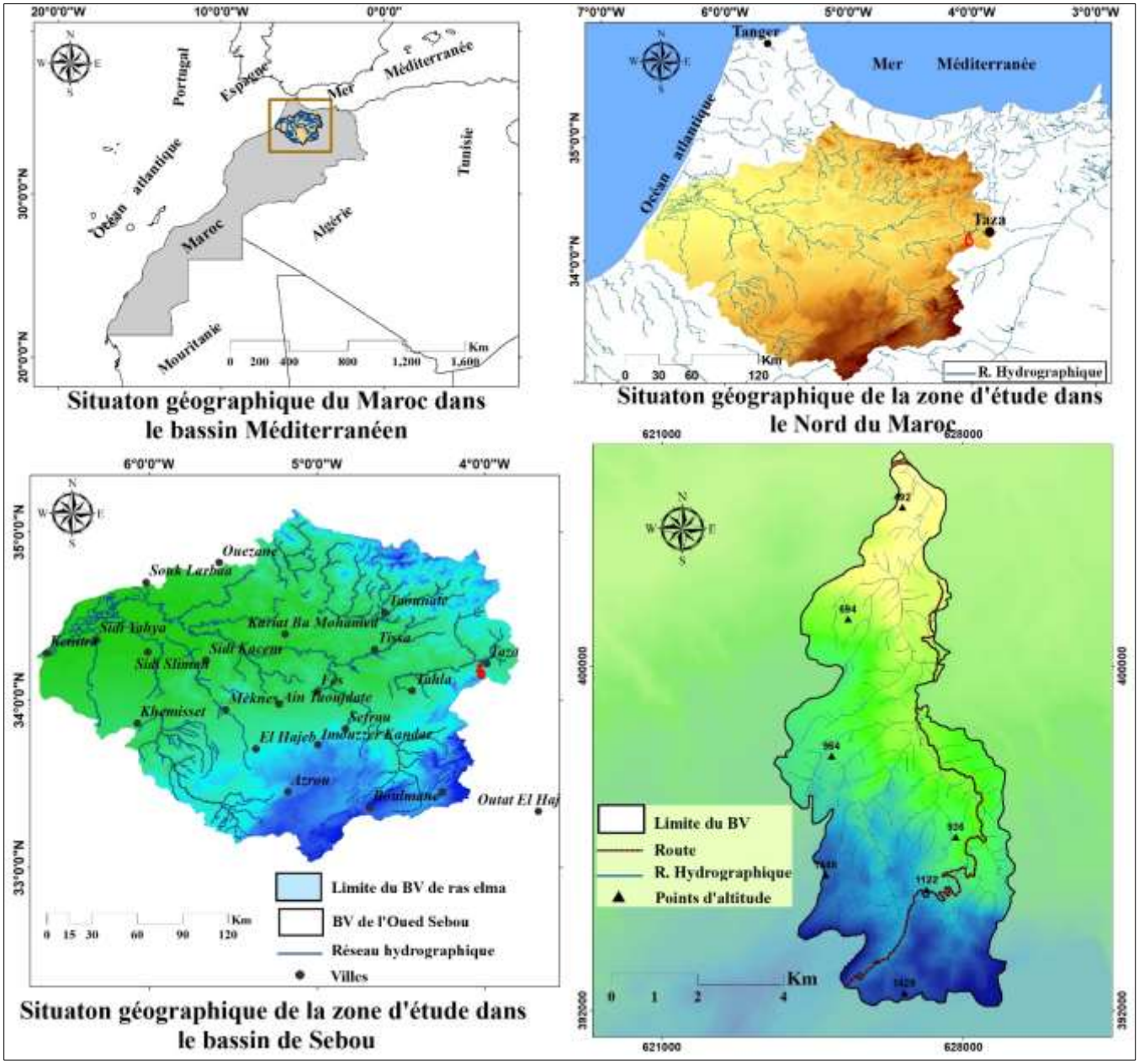

Fig.1 : Localisation du BV de Ras Elma dans la province de Taza.

A cause de son élévation (z=1000m), la zone de Ras Elma constitue l'un des principales sources qui alimente la ville de Taza par l'eau potable, des cours d'eau de fort débit à valeur moyenne de (30) l/s coulent de sud vers le nord.

2-Méthodologie de Recherche:

Afin d'évaluer l'impact direct de la population de Ras Elma sur les formations travertineuses, nous avons basé notre étude sur l'analyse des documents fournis par l'établissement de RADDETA de Taza, ainsi que sur des sorties successives sur le terrain. De plus, nous avons conçu un questionnaire de recherche dont l'objectif est de recueillir les perceptions et informations des populations locales, notamment des paysans, qui exercent une pression considérable sur l'eau issue de la source vauclusienne de Ras Elma. Ce questionnaire nous permet de mieux comprendre les interactions entre les activités humaines et les formations travertineux de la région.

3-Résultat de recherche:

À 13 km au sud de la ville de Taza, aux coordonnées géographiques (x : 627.970 km ; y : 394.816 km ; z : 1041 m), se trouve la source de Ras Elma, dont le débit varie d'une année à l'autre en fonction du climat. Ce débit fluctue entre des valeurs inférieures à 40 litres par seconde en août et des valeurs maximales dépassant 2000 litres par seconde en mars. Cette source est le principal moteur de la travertinisation actuelle dans la région de Taza.

La source de Ras Elma est également la principale source d'eau, non seulement pour la population locale, mais aussi pour les habitants de la ville de Taza. En 2005, l'eau de la source de Ras Elma a été partagée entre l'État et la population locale : une grande quantité d'eau a été réservée pour l'approvisionnement en eau potable de la ville de Taza, tandis que le canal (B), comme le montre la photo 1, est utilisé par la population de Ras Elma. En revanche, l'eau qui s'écoule le long du canal de l'Oued El Heddar est en quantité très faible.

Nous allons nous concentrer sur la manière dont l'eau du canal (B) (voir photo 1) est répartie entre les différents utilisateurs, notamment les agriculteurs qui l'utilisent pour irriguer leurs champs. Nos visites répétées sur le site de Ras Elma et nos enquêtes auprès des agriculteurs dépendant de cette eau pour leur production ont révélé que la répartition de cette eau s'effectue de manière amiable, suivant un calendrier d'irrigation établi. Cette répartition est principalement active d'avril à octobre, période durant laquelle l'eau est généralement disponible en quantité suffisante. Cependant, avant d'examiner la manière dont l'eau de la source est utilisée, il est essentiel de mener une étude historique sur les premières installations humaines dans cette région, le taux de croissance annuel de la population ainsi que leur densité démographique.

Photo 1 : La manière de la séparation de la source de ras elma.

La donnée démographique de la population de centre de Ras Elma :

Au centre de Ras Elma, il y a deux grands douars, celui de Ras Elma et celui d'Aghil. Ces derniers sont installés et s'élargissent près des sources d'eau. D'ailleurs, ces populations ont des origines berbères zénètes et arabes, notamment les tribus des Ghiata et des Bni Ourain. La plupart d'entre eux ont traditionnellement vécu de l'exploitation des terrasses agricoles, aménagées en gradins, notamment entre la source de Ras Elma et le pied de la grande cascade de la zone d'étude, sur une pente abrupte dépassant 60 %.

Selon les résultats du recensement de la population, le douar de Ras Elma compte 194 habitants et celui d'Aghil en compte 411 en 2014, sur une surface de 600 m², avec un taux de croissance annuel moyen (TAMA) négatif de -1,43 pour Ras Elma et -0,19 pour Aghil entre 2004 et 2014. Cette régression peut s'expliquer par les mouvements migratoires des jeunes vers Taza, Echeqqa, voire à l'étranger, à la recherche d'opportunités d'emploi et d'amélioration de leur niveau de vie.

La manière de la séparation d'eau entre population de Ras elma :

Le tour de rôle, comme un droit pour tous les propriétaires des exploitations (terrasse agricole) en effet, chaque propriétaire de terre a le droit de bénéficier de

l'eau de surface de la région dans le cadre de la soi-disant « Nouba =tour de rôle), cette dernière se varie dans le temps d'un douar à un autre, dépendant du nombre des exploitations ou bien les familles concernées, et de la disponibilité de l'eau. Le Tableau 1 montre les noms locaux des rations d'eau et la durée de temps utilisé par les populations de ras elma.

Tableau 1 Session d'irrigation en fonction des contingents et la durée de temps : Source : Enquête de terrain.

Nom de séance	**tour**	**Demi-tour**	**1/4**	**1/8**	**khroba**	**Aadm**	**Demi-Khroba**	**Demi-Aadm**
Durée par (Heure)	**24**	**12**	**6**	**3**	**1 :20**	**1**	**40 min**	**30 min**

Selon cette division, le finage de ras elma a subi à une opération d'irrigation convenu et sous forme démocratique entre les populations chacun arroser ses parcelles selon un planification indiscutable et satisfait pour tous (Tableau).

Tableau 2 L'irrigation des champs selon les journées

Les jours	**Le champs irrigués**
Lundi	Abltoine
Mardi	El koudia
Mercredi	El Twaher
Jeudi	Ras Aghil
Vendredi	Anassra
Samedi	Qantra
Dimanche	Aghram

Source : (R. Brioual 2017 Thèse de doctorat)

La plupart des terrasses agricoles, notamment celles situées au-dessus de la route régionale 507 qui relie les douars de Ras Elma et Aghil, sont irriguées selon le système de subdivision décrit précédemment. En revanche, les terrasses situées en dessous de cette même route jusqu'à la grande cascade sont irriguées par une seguia nommée 'Izdgh', qui utilise un système différent. En effet, chaque parcelle de ces terrasses agricoles est irriguée pendant une demi-journée. Parmi les parcelles bénéficiant de ce système, on peut citer Jnan Ben Hamou, Jnan Youssef, Irkane 1 et 2, Riad, etc. (R. Brioual 2017). Il est à noter que la répartition de l'eau d'irrigation n'est pas stable entre les populations et varie d'une année à l'autre en fonction des précipitations, du type de culture et de la surface irriguée.

Les méthodes d'irrigation utilisés au centre de Ras Elma :

Au centre de Ras Elma, l'irrigation constitue la principale source d'eau pour la production agricole. L'eau provenant de la source vauclusienne de Ras Elma est

distribuée selon un système de dérivation construit par l'État, en consultation avec les populations des douars bénéficiaires (voir Figure 2).

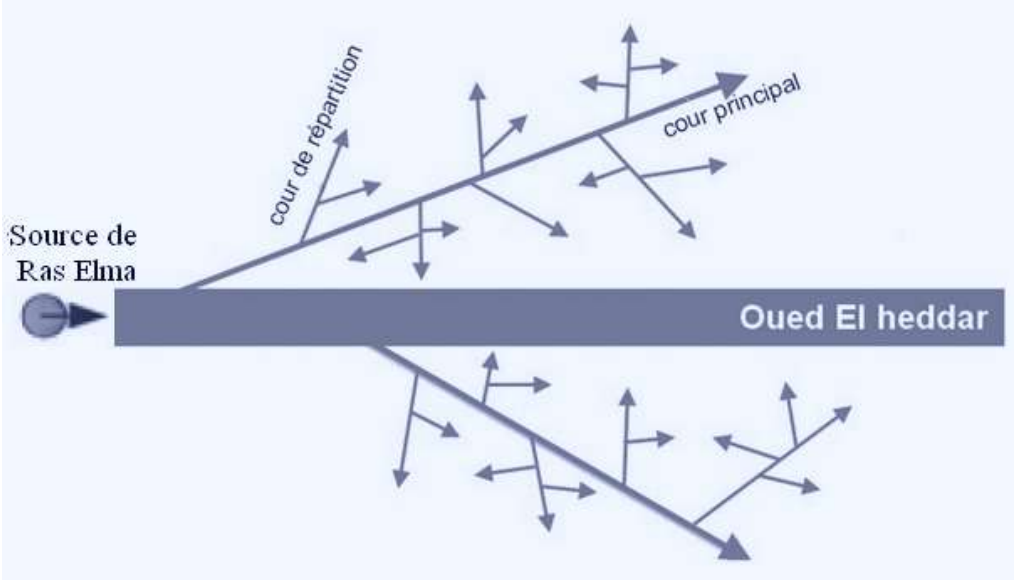

Figure 2 schéma figuratif de la répartition des eaux d'irrigations dans la zone de Ras elma.
(Source : Ouhajou Lekbire. (1996) ; Espace Hydraulique et société au Maroc.
Cas du système d'irrigations dans la vallée de Draa Moyen. P.106).

L'eau de la source circule le long de la pente du talus à travers un réseau de canaux de dérivation (voir Figure 2). Ces canaux sont connectés à un système d'irrigation traditionnel bien structuré, composé d'un canal principal qui se divise ensuite en canaux secondaires, lesquels, à leur tour sont reliés à des canaux d'irrigation desservant les parcelles agricoles cultivées. La longueur totale du canal principal peut atteindre jusqu'à 2 kilomètres.

Les seuils de dérivation d'eau d'irrigations traditionnel et moderne :

L'attachement de l'agriculture au centre de Ras Elma par l'eau de source impose à la population, notamment aux paysans, de réfléchir et de choisir des techniques visant à faciliter la dérivation de l'eau vers leurs parcelles. Par gravité, l'eau coule du replat jusqu'au grand talus entre la source vauclusienne et le pied de la grande cascade, où actuellement sont réparties, comme déjà signalé, plusieurs cultures (amandes, oliviers, pommes de terre, oignons...). Cette diversité témoigne d'une forte intensité d'irrigation.

De nombreuses méthodes ont été utilisées depuis l'installation humaine dans la région jusqu'à nos jours, distinguant entre des méthodes traditionnelles et modernes. Les premières sont utilisées depuis longtemps par les agriculteurs de Ras Elma, qui se basent sur l'utilisation de la force gravitaire et construisent manuellement des canaux et des fossés pour distribuer l'eau provenant de la source de Ras Elma vers leurs parcelles agricoles. Ces agriculteurs choisissent des jours et des périodes spécifiques pour détourner manuellement l'eau des canaux vers les

parcelles, en creusant des fossés temporaires (seguia) ou en retenant l'eau et en créant un débordement artificiel (irrigation par submersion) pour inonder les champs. L'application de cette méthode nécessite une connaissance du milieu naturel, comme les conditions climatiques et le cheminement de l'eau, ainsi que la coopération entre les agriculteurs au sein de la soi-disant 'Jemâa' (voir Planche 1 ; photo 1 ; 2). La seconde méthode, moderne, a débuté pendant la période coloniale avec la construction de seuils de dérivation utilisant des matériaux de maçonnerie et un liant en ciment. Aujourd'hui, la plupart des seuils sont en béton entre la source de Ras Elma et le pied de la cascade. Ces seuils passent principalement près des terrasses agricoles pour que les agriculteurs puissent dériver latéralement l'eau et irriguer leurs champs. Récemment, l'association Al-Manbit, créée au centre de Ras Elma, a aidé les agriculteurs en leur fournissant des tuyaux d'irrigation afin d'adopter un nouveau schéma d'irrigation basé sur le goutte-à-goutte (voir Planche 1 ; photo 3 ; 4).

Planche 1 les seuils de dérivation traditionnelle et moderne utilisés au centre de Ras elma. 1 : irrigation par submersion. 2 : Seguia. 3 et 4 : irrigation basée sur le goutte-à-goutte.

L'influence directe de la population sur les travertins Taza-Ras elma :

Les travertins actuels de Ras Elma ont subi une intervention anthropique, directe ou indirecte, qui menace et perturbe le système de travertinisation. À partir de notre étude sur l'état actuel de la séparation des sources de Ras Elma entre les différents intervenants, nous concluons que le débit d'eau qui continue son chemin

vers l'Oued El Heddar est très réduit, surtout pendant les saisons d'automne, de printemps et d'été. Cette nouvelle situation déséquilibre le fonctionnement du système travertineux dans la région.

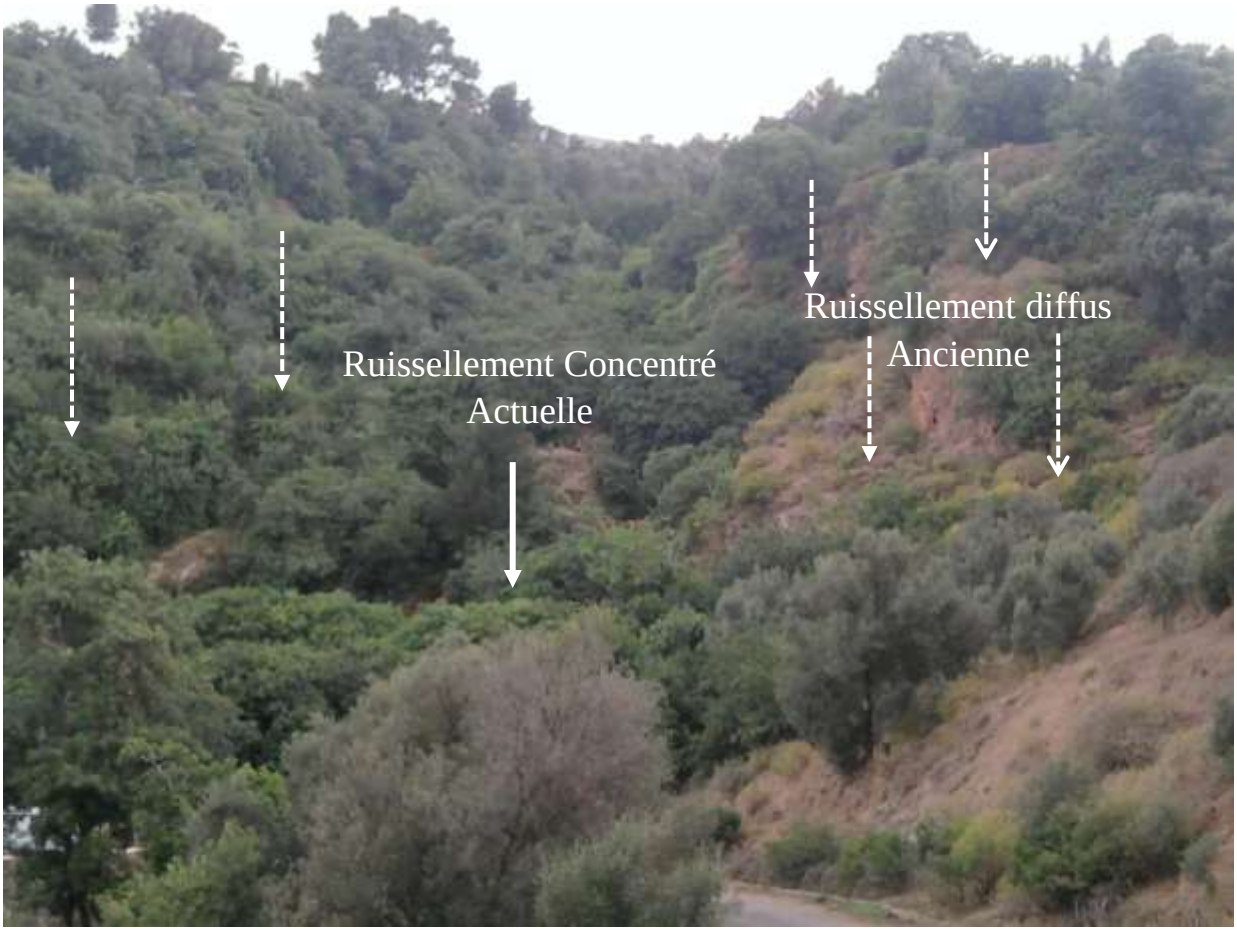

Photo 2 Passage de ruissellement diffus vers un ruissellement concentré

En raison de leur installation au centre de Ras Elma, les populations ont modifié le schéma de ruissellement. En effet, la concentration des eaux dans le chenal principal d'Oued El Heddar a inversé le processus de formation des barrages travertineux. Autrement dit, alors que les eaux des barrages contribuaient auparavant à la formation de travertins, cette concentration due aux activités humaines à travers les modes d'irrigation détruit ce qui avait été construit (K. Lahrichi.2024)

En outre, cette nouvelle situation de ruissellement concentré, résultant de l'intervention humaine, a conduit à des opérations de démantèlement des travertins à Ras Elma. Cela inclut les marchands qui étendent leurs marchandises le long de la route régionale 507, élargissant ainsi les espaces où ils vendent au détriment des travertins, comme illustré dans la planche ci-dessous (Planche 2). De même, les paysans ayant des champs près du chenal d'Oued El Heddar

exercent également une pression sur les travertins dans le but de bénéficier de plus grandes superficies pour leurs cultures.

Planche 2 L'opération de démantèlement des travertins par population local.

Le travertin actuellement en cours de formation, connu localement sous le nom d'El Khiz (الخز) d'après les observations sur le terrain avec les paysans possédant des terrasses agricoles près du chenal actuel d'Oued El Heddar, suscite une vision pessimiste. Son édification se fait au détriment de leurs terres.

Une autre intervention humaine préoccupante est la pollution causée par le comportement des habitants qui jettent des déchets près de la source de Ras Elma et le long d'Oued El Heddar. Actuellement, cette pollution n'a pas encore d'impact sur la formation du travertin. Cependant, si cette pollution persiste, elle pourrait perturber ce processus de formation.

Planche 3 l'intervention humaine au centre de ras elma marquée par la construction et pollution.

1 : Bassin construit par l'État, rempli par l'eau de source de Ras Elma.

2. Des déchets solides sont dispersés ou jalonnent l'eau de source.

Pour l'alimentation en eau potable et l'irrigation, la gestion de la source de Ras Elma a été passée en 2001 aux services de la RADEETA (Régie Autonome de Distribution d'Eau et d'Electricité de TAZA). L'aménagement effectuée par l'état prés de source de Ras Elma via la construction de ce bassin a été mène à la dégradation des travertins de type source d'une part, et d'autre part nombreux aménagements sont-ils apparus en lien avec ce bassin surtout en contre bas via l'édification des canaux d'irrigation pour que la majorité des cultures bénéficient de leurs droits en eau pour irrigués ses champs (Planche).

Conclusion :

Lors de l'installation des populations au centre de Ras Elma, celles-ci ont exercé une forte pression sur la source d'eau de Ras Elma. Les habitants se sont établis près des sources vauclusiennes de Ras Elma, où ils pratiquent une agriculture vivrière. Cette activité principale est réalisée grâce à l'exploitation des terrasses du talus, entre la source et le pied de la grande cascade. La séparation de la gestion de la source de Ras Elma entre l'État et la population locale, ainsi que la construction des seuils de dérivation, ont créé une pression importante, déséquilibrant ainsi l'édification actuelle du travertin dans la région.

Le site de Ras Elma illustre l'influence de l'homme sur la formation des structures travertineuses actuelles. Cependant, plusieurs autres sites au Maroc ont subi des pressions humaines similaires. C'est le cas, par exemple, du site d'Oued Aggaï à Séfrou (Gourari, 2001), de la source d'Aïn Asserdoune à Beni Mellal (T. Ait Omar, 2019), ainsi que de la cascade d'Ouzoud, située à 15 km d'Azilal. Ces sites constituent des archives sédimentaires précieuses, témoignant des événements cycliques, principalement liés au climat. Il est crucial de préserver ces formations travertineuses en tant qu'héritage géomorphologique, car elles sont essentielles à la compréhension des processus environnementaux et climatiques passés.

Bibliographique :

Ait Omar T et al 2019 : Géomorphosite karstique d'Ain Asserdoune, Atlas de Béni Mellal (Maroc) : inventaire, évaluation et mesures de durabilité", Dynamiques environnementales http://journals.openedition.org/dynenviron/4604; DOI: https://doi.org/10.4000/dynenviron.4604.

Brioual r, 2017 - Morphodynamique des domaines karstiques dans la pointe nord-est du moyen atlas montagneux : entre mécanique naturelle et interventions humaines (cas du bassin de chikker et de ses marges) thèse de doct, pp 350-359.

Gartet.j, Janati idrissi.a, Gartet a.2009 - le projet pays d'accueil touristique du moyen atlas au sud de taza. revue géo-maghreb n° 5: ressources territoriales et créneaux du développement local au moyen atlas septentrional maroc, pp.129 - 134.

Gourari, l., 2001 - etude hydrochimique, morphologique, lithostratigraphique, sédimentologique et pétrographique des dépôts travertino-détritiques actuels et plio-quaternaire du bassin karstique de l'oued aggaï (causse de séfrou moyen atlas, maroc). thèse d'état univ, sidi mohammed ben abdallah, fès, 476.

Lahrichi. Kamal , Jaouad Gartet, Marouane Laaraj, Jamal Naaoura , Hamid fattasse , abdelmonaim Okasha 2024 - the chemical state of the watershed in ras elma region (south of taza, morocco) one of the parameters responsible for the decline in the formation of the current travertine formations; environ geochem health **https://doi.org/10.1007/s10653-024-01971-y**

Lahrichi. Kamal ,gartet.jaouad , tailassane.mohammed , arari.khalid 2019 - l'impact de la détérioration climatique et de l'intervention humaine sur la formation des travertins actuels au niveau du bassin versant de l'oued taza ; colloque international la vulnérabilité des territoires face aux risques hydroclimatiques. oujda 15 et16 novembre. 2019.

Lahrichi, K 2024 : Etude Hydrochimique, Morphologique, Lithostratigraphique, Sédimentologique des Dépôts Travertineux de la Région de Taza durant l'ère Quaternaire. Thèse de doct, pp 86-93.

Wengler. l et all 1992 - signification des paléomilieux et évolution du climat au maghreb. le maroc oriental au pléistocène récent; bulletin de la société botanique de france. Actualités botaniques, 139:2-4, 507-529, doi: 10.1080/01811789.1992.10827124